

جامعة الخرطوم

كلية الآداب

قسم التاريخ

منطقة القضاة - القلايات في عهد المهدية
دراسة في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية

١٨٨١-١٨٩٩

إعداد

محمد سعيد القدال

رسالة لدرجة الماجستير

١٩٧٥

١٨٨١ - ١٨٧٨ • ونحن لن ننظر الى تاريخه

هذه المنطقة حسب التسلسل الزمني للأحداث ، ويمكن معالجتها من زاوية

للمياساة الداخلية والخارجية التي سارت عليها الحركة المهدية • وقد اخبرنا

بالتقسيمين الزمنى والموضوعي معا ، فقسمت الرسالة الى ستة فصول في الخمسة

الفصول الاوائل تعنى خمسة مراحل تاريخية مرتبة زمنيا ، ثم قسمت كل فصول منها

الى قسمين قسم عن السياسة الداخلية وقسم عن السياسة الخارجية • اما القسم الاول

السادس: فعبارة عن خلاصة الدراسة وما توصلت اليه من نتائج .

يشمل الفصل الاول فترة المهدى (١٨٨١-١٨٨٥) ويمكن ان نعتبر هذه

الفترة فترة الشبهة المؤدية تحيزاً لها عن فترة الخليفة التي يمكن اعتبارها فترة

بناء الدولة الحديثة • ولذلك فهذا الفصل هو أساسا دراسة لانتهيار الحكم

الشركي - المصري في تلك المنطقة وانتشار الثورة المؤدية فيها • ويعالج هذا الفصل

كذلك بعض الجوانب المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية في عهد المهدى والنسبي

هي في مجموعها جزء من الاجراءات التي اتخذها المهدي بالنسبة لبقية أنحاء البلاد . على ان في دراستنا لهذه الجوانب ما يؤكد المنحى العام للسياسة الداخلية والخارجية التي اتبعها المهدي .

اما الفصل الثاني فهو دراسة لفترة الاولى من عهد الخليفة وهي الفترة التي كان فيها محمد ولد ارباب ويونس الدكيم عاملين على منطقة البشارف - القلايات (١٨٨٥-١٨٨٨) وقد اعتبرت عهد دفين العاملين المرحلة الاولى من عهد الخليفة . لما في السياسة الداخلية فتتمثل هذه المرحلة البدائية الاولى لتكوين دولة المهدية وما صاحب تلك البدائية من مشاكل وصعوبات وحراعات . وفي السياسة الخارجية تمثل هذه المرحلة تساعد الصراع مع الحبشة حتى وصل مرحلة العواجية الا ان الحرب نفسها لم تنشب الا في المرحلة التالية . وتسمى هذا الفصل الى جزئين رئيسيين جزء عن محمد ولد ارباب والآخر عن يونس الدكيم ، وعالجنا في كل جزء منهما السياسة الداخلية والخارجية كل على حدة . وينتهي هذا الفصل بتعيين حمدان اميراً على المنطقة .

وتتعد فترة حمدان هذه الى عامين (١٨٨٧-١٨٨٩)

هي الفصل الثالث . وعلى الرغم من ان هذه الفترة شهدت بعض التحولات في السياسة الداخلية وبرز بعض القضايا الجديدة ، الا ان الصراع مع الحبشة والحروب التي خاضها حمدان ضدها تمثل اهم مظهر من تاريخ هذه الفترة . ولعل عهد حمدان - على قصره - من اخصب العهود في السياسة الخارجية لدولة المهديّة حيث وصلت فيه جيوش المهديّة ابعد مسافة لها خارج حدود السودان .

اما الفصل الرابع فهو دراسة لاربع سنوات من تاريخ الدولة المهديّة هي فترة الزاكي طعل واحمد علي (١٨٨٩-١٨٩٣) . وشهدت هذه الفترة تبلور دولة المهديّة واكتمال تكوينها الداخلي كما تعتبر هذه الفترة كذلك قمة انتصار الخليفة في مجال السياسة الخارجية . وظهر في هذه الفترة كذلك خطر خارجي جديد تمثل في ظهور ايطاليا في جهة كسلا . وشهدت السنوات الاخيرة من هذه الفترة بداية النهاية لدولة المهديّة . فالمشاكل

التي كانت تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر اخذت تظهر بشكل واضح وباستمرار .

اما الفصل الخامس فهو عبارة عن متابعة للسنوات الاخيرة

من حياة الدولة المهدية ؛ كيف اخذت هذه الدولة توهن داخليا ، وكيف اخذت الدول المحيطة بها تنهش من اوصالها حتى جاء عام ١٨٩٨ ليشهد تلاشيها تماما . وقد علا الصراع ضد بريطانيا وايطاليا والحبشة الفراغ الاكبر من هذه افترقة ، وتقلصت القضايا الداخلية حتى لم تعد الا مظاهر للانهايار نلاحظها هنا وهناك .

وحاولت في الفصل الاخير ان اناقش السياسة الداخلية

والخارجية لدولة المهدية معتمدا على الدراسة التي قدمتها في الفصول الخمسة السابقة . وحاولت ان استبين بعض معالم السياسة الاقتصادية والادارية والقبلية في هذه المنطقة والتطورات التي مرت بها خلال السنوات الصاخبة لدولة المهدية .

شكر وتقدير

انه واجب حبيب الي نفسي ان اشكر كل من ساعدني في

منعطفات هذا البحث . حبيب الى نفسي ان اذكر بالتقدير
 المعروف الذى طوقنى به لانه كان يتم فى صمت ويحفه احساس
 عميق بالمسئولية ولا شك ان البروفسير مكي شبكة اول من يقدم له
 الشكر بالنسبة لهذا البحث فقد كان لخبراته الطويلة وارشاداته
 الاساسية دورا هاما فى ان يخرج هذا البحث بشكله هذا . اما
 الدكتور عباس ابراهيم الذى تحمل مسئولية الاشراف المباشر
 على هذا العمل بعد سفر البروفسير شبكة فقد فتح لى افاقا
 جديدة بالمناقشات التى اجارها معى . اما الدكتور محمد ابراهيم
 ابوسليم واسرة دار الوثائق المركزية فشكرى لهم لا يحد . فمذ ان
 كان هذا البحث فكرة تجول فى خاطرى وانا اقتحم بها دار الوثائق ،
 كان هو ومن معه من موظفين لا يخلون لى بطلب . ثم كان للمجهود
 الخاخر الذى قدمه لى الدكتور ابوسليم بعيد الاثر فى مجرى هذا
 البحث . فالى هؤلاء والى اخرين يعرفون تماما مدى مساعداتهم لى
 اتقدم بوافر شكرى وتقديرى .

فهرست الموضوعات

الصفحة	
١ - د خلاصة الرسالة
١ - هـ شكر وتقدير
١ - زح مقدمة

الفصل الأول

٣٧-١ منطقة القضايف - القلايات في عهد المهدي
	(١٨٨٧-١٨٨٨) (٩٨ / ٩٩ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ هـ)

الفصل الثاني

١١٤-٣٨ الفترة الاولى من حكم الخليفة
	يونيو ١٨٨٥ - يناير ١٨٨٨ (رمضان ١٣٠٢ هـ - ربيع ثاني ١٣٠٥ هـ)

الفصل الثالث

٢٠٦-١١٥ حمدان ابو عنجة في القضايف - القلايات
	(١٨٨٧-١٨٨٩) (١٣٠٥-١٣٠٦ هـ)

الفصل الرابع

٢٧٢-٢٠٧ القضايف القلايات بين الزاكي طعل ولحمد علي
	(١٨٨٩-١٨٩٣) (١٣٠٦-١٣١١ هـ)

الفصل الخامس

٣١٨-٢٧٣ احمد فضيل ونهاية دولة المهدي
	(١٨٩٤-١٨٩٩) (١٣١١-١٣٠٦ هـ)

الفصل السادس

الصفحة

دولة المهديّة في منطقة القضايق - القلابات ٣١٦-٣٣٢

تلخيص وتقييم

المراجع ٣٣٣-٣٤١

الملاحق

ملحق أ - خريطة منطقة القضايق - القلابات

ملحق ب - حصن القلابات

مقدمه

١ - لماذا القضارف - القلايات

لا شك ان ارتباط عائلتي بهذه المنطقة كان من الاسباب التي جعلتني اختارها مجالا لدراستي ، فلازل بعض اهلي وعشيرتي يعيشون في وديانها ويضربون في بطاحها . ولعل المصير الذي لقيته قبيلة الضبانية في عهد الحكم الثنائي وفقدانها لكيانها وذويانها داخل القبائل الاخرى من العوامل التي اثارت اهتمامي بتاريخ هذه المنطقة . فقد كان جدي يعمل باشكاتباً للضبانية في " التركية السابقة " ، وظل بعض اهلي يرتبطون بهذه القبيلة في عهد الحكم الثنائي . كما اشترك بعضهم في الثورة المهدية فسي سنواتها الاولى . فجدي بآكر القدال كان من امراء المهدية فسي القضارف وقد اشاد به الخليفة في بعض خطباته . كما استشهد ثلاثون من اعمام في حروب المهدية المختلفة في تلك المنطقة ولعل الاهمال الذي لقيته هذه المنطقة من المؤرخين بالرغم من اهميتها القصوى بالنسبة لدولة المهدية قد دفعني لدراستها اما

اختيار اسم القضاير - القلايات لهذه المنطقة فإنه أكثر شهرة
 من الاسماء الاخرى . فكانت تعرف هذه المنطقة في عهد المهديّة
 باسم القضاير حيناً والقربيات حيناً آخر ويسمىها بعض المؤرخين
 بحمالة الحدود الحبشية في حين ثالث . ولكن هذه المنطقة بالرغم
 من اختلاف اسمائها الا انها ظلت طوال فترة المهديّة وحدة
 سياسية قائمة بذاتها . اما منشأ هذا الخلف فراجع الى اختلاف
 السياسة اذ كان التركيز اولا على السياسة الخارجية ثم تحول الى
 السياسة الداخلية فانتقل مركز الثقل من القلايات الى القضاير تبعاً
 لذلك . ولذلك فاسم القضاير - القلايات يعطى وصفاً أدق وأشمل .

٢ - حول جغرافية منطقة القضاير - القلايات

تعتبر منطقة القضاير - القلايات وحدة جغرافية قائمة

بذاتها لها خصائصها ومميزاتها الخاصة بها ويسمىها بعض الجغرافيون

مرتفع القضاير القلايات . (*Madari - Gallabat Ridge*)

وتقع هذه المنطقة بين خطي طول ٣٧ ، ٣٤ شرقاً ، وخطي عرض ١٥ و ١٢

(١) *Dr. J. Carbone, The Republic of the Sudan : A Political Geography* (London, University of London Press. 1961) , ص 194 .

شمالا • وهذه المنطقة هي جزء من ارض البطانة التي تقع بين النيل
الازرق ونهر عطبرة وتعد حتى الحدود الحبشية ، وتقع منطقة
القضارف - القلابات في الجزء الجنوبي الشرقي منه • وترتفع هذه
المنطقة عن بقية ارض البطانة ارتفاعا تدريجيا حتى تصل الى ٦٠٠ قدم فوق
سطح البحر عند الحدود الحبشية • ويقع مرتفع القضارف - القلابات على
سطح هذه الهضبة •

وتتراوح الامطار في منطقة القضارف - القلابات بين ٤٠٠ و ٦٠٠ مم
في العام • والامطار بالنسبة لهذه المنطقة ومناطق السودان المختلفة هي
" العنصر المناخي الفعال وهو اكثر العوامل المناخية اهمية في السودان وهو
العامل الاساسي في تحديد السكان " ^٢ فالامطار في هذه المنطقة تصلح لزراعة
الثروة والسهم والقطن • فمناطق القضارف تنتج كميات وافرة من الحبوب فهي
المصدر الرئيسي له في الماضي والحاضر ، وقد بلغت فترة الانتاج في اواخر العهد

٢ فيليب روله ، الجغرافية السياسية الافريقية (القاهرة ، مكتبة النوي العربي ،
١٩٦٥) ، ص ٢٢٩

التركي - المصري حدا بيعت فيه الشرقة جمال المحطة بالذرة

نصف ريال نساوي . ويزرع بجانب الحبوب * والتبغ والفواكه ووصل

انتاج التبغ السنوي ألف وخمسمائة ورقة وكان التجار الأغريق هم

الذين يقومون بهذا النوع من الزراعة طوال العهد التركي -

المصري ، بل ان بعضهم اقام مصنعا للسجاير في القضايف .^١

وقد ساعدت درجة الحرارة في هذه المنطقة على زراعة الحبوب ان

ان منطقة القضايف طقسها حار جاف في الصيف ، وتقل درجة الحرارة

كلما اتجهنا نحو الهضبة الحبشية . وعند القلابات يصبح الطقس

باردا بمرورنا على مناطق السودان في الشتاء .

ويتخلل منطقة القضايف - القلابات عدد من الانهر الموسمية .

وتعذر ذكر هذه الانهر والوديان من الهضبة الحبشية متجة غربا

في سهل السودان . ومن اهمها النيل الازرق ، نهر عطبرة ، نهر

سبت ، خير القاش ، الرهد ، سرف سعيد . وتلعب هذه الوديان

دورا هاما في اقتصاديات المنطقة اذ يعتمد عليها السكان في الزراعة

^١ H. Ingham, Ten Years Captivity in the Sudan,
 (London, Hutchinson & Co., 1891), I:216

ويتخذون بعضها سبيلا للمواصلات ويصبح بعضها الآخر موانع طبيعية تعوق الحركة عند امتلائها .

٢ - حول جغرافية الجزء الغربي من الحشة

تقع الحشة (اشوييا) بين خطي طول ٢٢ و ٢٠ شرقا وخطي عرض ١ و ١٥ شمالا . وترتفع عن سطح البحر كثيرا حتى يصل ارتفاع بعض مناطقها ١٥ ألف قدما . ويتخلل الهضبة الحشوية الهائلة وديان عميقة يصل عمق بعضها ميلا واتساعه ميلان . ويتخلل هذه الهضبة انحدار عديدة ولكنها غير صالحة للعلاحة لاندفاعها الشديد . وتكون هذه الوديان والأنهر حواجز طبيعية خصوصا عند فيضانها . ولعل اهم ظاهرة في نفس الحشة هي امطارها الوفيرة التي تشتد في المناطق الجنوبية الغربية حتى يصل متوسطها ١٠٠٠ مم في العام وتهطل كل هذه الكمية في مائة وسبعة وسبعين يوما من العام . وتعتبر الحشة من البلاد القليلة التي اثرت جغرافيتها على تاريخها تاسيرا بينما .

ويكون الجزء الجنوبي الغربي من الحشة المتاخم للقبائل وحدة جغرافية تعرف بمرتفعاتها اشوييا - كافا التي تعتمد من ارتقاها في

الشمال وتشمل بلاد التقرى والامهرة وكجام وشوا وكافا . ويصل
اقصى ارتفاع في هذه المنطقة ٦٥٠٠ قدما . وينحدر هذا
المرتفع الى جهة الغرب حتى ينتهى عند هضبة القصارف .
القلابات وتشهد حدة الانحدار في الجزء الشمالى الغربى والجزء
الجنوبى الغربى وتقل حدته في منطقة الوسط وهى المنطقة الملاصقة
تماما للقلابات .

وينقسم طقس هذا الجزء الجنوبى الغربى من الحبشة
الى ثلاثة اقسام تتراوح بين الحرارة والبرودة الشديدة حسب
الارتفاع ويعتد فصل الشتاء من ابريل الى سبتمبر وهو ايضا فصل الامطار .
ويختلف شتاء هذه المنطقة عن شتاء السودان الذى يتصف بالبرودة
والجفاف .

النيل الازرق هو اهم نهر في الحبشة وينحدر من الشرق
الى الغرب مع انحدار الهضبة . يكون هذا النهر حاجزا طبيعيا
يفصل منطقة كجام عن الجزء الجنوبى من الحبشة . وفي الجزء الغربى
تكثر الانهر الموسمية التى تصب عند فيضانها حاجزا يعزل الحبشة

عن منطقة القلايات •

وتنقسم الحبشة الى ثلاثة عشر ولاية تقع ثلاثة منها في الجزء المتاخم للقلايات

وهي حسب وضعها من الشمال الى الجنوب : تفرى ، لهرة ، وكجام •

ك أهم القبائل في هذه المنطقة

لهم ثلاث مجموعات قبلية في منطقة الغضارف - القلايات هي : الشكرية

والضبانة والفاكرير • اما الشكرية فهم من القبائل الكبيرة لا بالنسبة لهذه المنطقة بل

بالنسبة لكل قبائل السودان • وقد بلغ تعداد هذه القبيلة في اواخر العهد التركي -

المتبري حوالي نصف مليون شخصا كانوا مقسمين الى تسعين عميرة ^٤ • ويحمل الشكرية

بالزراعة والرعي ويملكون مجموعة كبيرة من الابل والماشية حتى بلغ مجموع الابل -

المخصصة لرؤس قبيلة شيوخ القبيلة نحواً من اربع الاف • وكانوا يتاجرون

٤ نعم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان (بيروت دار الثقافة ، ١٩٦٧)

ص ٦٨ • ويتفق ابراهيم فوزي مع نعم شقير الى حد كبير ان يقول ان

تعدادهم اربعمائة الف ، راجع :

ابراهيم فوزي ، السودان بين يدي غردون وكشنر ، الجزء الثاني (مصر

١٣١٩ ، ١٩٠١-١٩٠٢) ص ٥٦٠ •

في ابلهم مع مصر • ويقال ان الشيخ احمد ابو سن مات في مصر عندما ذهب
هناك ليتفاوض في امر هذه التجارة •

وتسكن قبيلة الشكرية في المناطق الزراعية الواقعة حول القصارف وفي منطقة
البطانة الغنية بمراعيها • وتعتبر القصارف اهم مركز للشكرية بل هي مقر حكمهم حيث
يسكن شيوخ القبيلة من عائلة ابوسن • وكان للشكرية وضع ممتاز في العهد التركي -
العصري • وفي عهد الخديوي اسماعيل اصبح شيخ القبيلة احمد ابو سن مديرا
للخرطوم وسنار ، والعم عليه بلقب باشا " وعلى ابنه عوض الكريم من بعده بلقب
" بك " •

اما قبيلة الضبانية فهي اقل شأنا من الشكرية ولكنها من القبائل الهامة
في هذه المنطقة وقد بلغ تعدادهم في العهد التركي - العصري نحو من خمسين
الف شخص على سبعة عوائل • ويسكن الضبانية في الخريف في البطانة ويتزحون
منها في فصل الصيف الى المنطقة الواقعة بين بين نهري
سنييت ونهر بلسلام (وهو اسم الجزء الحشوي من
نهر عطبرة) • وتعتبر الثومات (ثومات ولد زايد) من اهم

مدن الضبائية فهي مقر زعمائهم من طائفة ولد زايد . ومن مدنها التجارية الهامة الجبيرة ودوكة ولقيت هذه القبيلة حظا كبيرا في العهد التركي - المصري ومنح شيخهم محمود عيسى زايد لقب بك^٥. وعاصر محمود هذا اغلب حكم الخليفة .

وتعريف المجموعة القبلية الثالثة بالتكاير او تكاير القلابات . وكلمة تكرور نفسها قد اكتنفها الكثير من التحريف والضمور مما ابعدها عن معناها الحقيقي واصبحت تستعمل في منطقة الشرق الاوسط استعمالا عاما يقصد به كل المهاجرين من غرب افريقيا الذي كان يقودهم طريق الحج عبر بعض بلدان الشرق الاوسط فيطيب لهم المقام في بعضها فيستقرون بها^٦ . ولذلك عندما نتحدث عن تكاير القلابات فنحن نتحدث عن مجموعة من قبائل غرب افريقيا استقرت في منطقة "راس الفيل" (القلابات) في القرن الثامن عشر الميلادي بعد عودتها من مكة^٧ .

٥. *Journal of the Royal African Society*, Vol. 3, 1959, p. 37.

٦. *Journal of the Royal African Society*, Vol. 3, 1959, p. 37.

٧. *Journal of the Royal African Society*, Vol. 3, 1959, p. 37.

ويبلغ أقصى تعداد للتكاير في هذه المنطقة خمسة وأربعين ألفاً • واعتبر

بعض المؤرخين هذا العدد ضعيفاً واستنتجوا من هذه القلة أنهم عنصر غريب على

المنطقة ^٧ • ولكننا إذا قارنا هذا العدد بالقبائلية مثلاً لوجدنا أنهم متقاربين في

العدد مما يدفعنا إلى القول بأن غرابة عنصرهم على المنطقة لا تعيد لهم هذا

السبب بل إلى أسباب أخرى لعل من أهمها استعمال الغريب على المنطقة •

وأصبح للتكاير في القلايات مشيخة قائمة بذاتها ، وكان صالح إدريس (المشهور

بصالح شلقا) هو شيخهم عند اندلاع الثورة المهدية • وكان للتكاير يقومون بدور

الوسيط في عملية التبادل التجاري التي كانت قائمة بين الحبشة والقلايات • وقد

توصلوا عن أرباح طائلة من تلك العملية وذلك عن طريق الضرائب التي كانوا

يفرضونها باسم الحبشة أو السودانيين على التجار • وكان للتكاير يفتقلون بولائهم

السياسي حينما مع الحبشة وحينما لخرميج السودان حسب الدولة التي كانت تفسر في

مسيطرتهما على القلايات ^٨ • ولذلك لعب التكاير دوراً سياسياً هاماً في هذه

Al-Nagar, op.cit, P. 366

٧ راجع من هذا الفصل عن القلايات وكذلك ،

Barbour, op.cit, P. 195

المنطقة وفي ترجين كفة هذه الدولة او تلك •

• أهم المدن التجارية في العهد التركي - المصري

مثلاً لعبت الظروف الجغرافية دوراً هاماً في تاريخ هذه المنطقة لعبت

التجارة كذلك دوراً لا يمكن اعتداله واثرت في تكوين العلاقة بين السودان والحبيشة •

وسنستعرض أهم ثلاث مراكز تجارية في المنطقة وهي : القضايف والقلايات ونسي

السودان ثم غندار في الحبيشة •

أ القضايف

تقع القضايف وسط منطقة زراعية غنية ولذلك أصبحت سوقاً تجارياً هاماً للمحاصيل

الزراعية • وساعدها موقعها الجغرافي الحصين أيضاً انه تحيط بهذا سلسلة من

الشلال تجعل الدفاع عنها ضد الغارات الخارجية أكثر يسراً • ومما ساعدها أيضاً

على النمو وضعها على مسافات متقاربة بين عدد من المدن الهامة • فتقع على بعد

١٤٢ ميلاً من كسلا ، و ١٤٦ ميلاً من أبي حراز ، و ١٤ ميلاً من القلايات •

فأصبحت نقطة التقاء هامة يرد إليها التجار لامن السودان فصب بل من مصر

والحجاز واليمن والحبشة وأحيانا أوروبا^٩ . ولذلك اشتهرت القضاير ، بجانب الزراعة ، بالتجارة في ريش النعام والماشية . كما كان يدها مصنعا للصابون والخر للسجائر . وقد بلغت الضرائب السنوية على التمباك مائة ألف ريال كانت تذهب كلها الى خزينة الحكومة^{١٠} . وحتى اذا كانت هذه الأرقام غير دقيقة فانها تعكس الشراء الذي كانت تشجع به القضاير . ولهذا وجدت القضاير عناية خاصة من الحكام الاتراك انه ظلت طوال ذلك العهود تابعة للمخروطيم ، بل كان من اهتمام الحكومة بهذا ان مدت لها ببوستة منتظمة^{١١} . فالقضاير اذا كانت لها أهمية قبلية واستراتيجية واقتصادية .

ب ، القلايات

تقع مدينة القلايات على " خور ابونخرو " في ~~منطقة~~ سفح الهضبة الحبشية عند الطريق الرئيسي الذي يصل السودان بشمال الحبشة . وهذا الموقع الجغرافي

نعوم شقير ، ص ١٢٠

سعد رفعت ، تقرير سعد رفعت (دار الوثائق المركزية) ، ص ٤

Richard Hill, Egypt in the Sudan, 1820-1881 (Sudan, 1959)

اعطى القلايات أهمية استراتيجية خاصة فهي موقع دفاعي ومنطلق للهجوم ففى نفس الوقت .

وتسمى المنطقة التى تقع فيها القلايات " براس انجيل " وتسمى احيانا بالقلايات . ولكن استعمالنا للكلمة القلايات هنا يعنى المدينة فقط ولا يعنى كل المنطقة . وتحدث بعض المراجع التاريخية عن مدينتى القلايات والتممة على انهما مدينتان منفصلتان ، واحيانا تستعمل التسمية لتعنى القلايات ^{١٢} . والواقع انهما مدينتان توأمان على الحدود ، تقع القلايات فى السودان والتممة فى الحبشة . ولذلك فان التفريق بينهما غير مألوف لانهما مكملتان لبعضهما البعض وعليه فسنقتصر على استعمال القلايات فقط .

ونشأة القلايات غير واضحة المعالم ، ولكن يبدو ان العبيد الناريين - الكنجارة - هم اول من سكنها . ولعل موقع القلايات المعزل على الحدود قد ساعدها لتصبح مأوى لاولئك الناريين . اما لقدم تاريخ القلايات لمدينة فيرجع الى ملكة

سنار • ويبدو أن ملوك سنار هم الذين استولوا في القرن الثامن عشر كماعدة حربية وذلك عندما توترت علاقتهم مع الحبشة ^{١٢} •

عن أن تاريخ القلايات أصبح أكثر ارتباطاً بقبائل غرب السودان (التكاريير) الذين استقروا بها عند عودتهم من مكة ، أكثر من ارتباطها بملوك سنار • وأصبح للتكاريير متيخة قائمة بذاتها شبه مستقلة ولهم " نحاس " خلاص بهم يحتفلون بتجليده كل عام في شهر رجب (عيد الرجبية) •

واستمرت القلايات تابعة لملوك سنار حتى بداية العهد التركي - العصري عندما تحولت تبعيتها إلى الحبشة • ولعل الحبشة قد اعتنمت الفخمين التي صالحت سقوط مملكة سنار فاحتلت القلايات • وأصبح حاكم الولاية الخيرية من الحبشة هو المسئول عن المدينة • وكان يعين وكيلًا من جانيه من المسلمين ليدبر شئون القلايات • وأدم واجبات الوكيل جمع الضرائب وتسليمها للحبشة وكانت تلك الضرائب تجمع بواسطة شيخ التكاريير في المنطقة ^{١٤} •

وظلت القلايات تتبع للحبشة حتى عام ١٨٣٨^{١٥} . ففي ذلك العام نشب

صراع بين الحبشة والحكومة التركية ، فأرسل حاكم السودان خورشيد اثا حملة إلى

القلايات لاحتلالها . وسار خطه واستطاعت الحملة الاستيلاء على المدينة وسلم لها

الشيخ " ميرى " شيخ التكاير ، وفردر الأتراك ضريبة سنوية على المدينة^{١٦} .

وتبين لخورشيد أهمية القلايات فأقام بها حامية تركية مؤلفة من مائة جندي من الباشيزوق

والأتراك . وهذه هي المرة الأولى التي تقام فيها حامية في القلايات بجانب قوة

التكاير الحربية . أما وضع التكاير الإداري فلم يتغير إذ ظلوا هم الاداة

الإدارية المسؤولة عن المدينة .

وفي عهد الحاكم موسى باشا حمدي (١٨٦٣-١٨٦٥) زادت حدة الصراع

بين الحكومة التركية والحبشة حول الحدود ، وكثرت تدديات الحبشة على القبائسل

١٥ يذكر نعم شقير (ص ٥١٦) أن تاريخ ذلك الصدام هو عام ١٨٣٠ ولكن الصحيح هو عام ١٨٣٨ . فقد أشار هل (Hill, P.33) أن ذلك الصدام حدث في عهد خورشيد باشا (١٨٢٦-١٨٣٨) وكان من نتائجه استدعاء خورشيد ولذلك تكون تلك الحادثة قد تمت في آخر عهده . وكان استدعاء خيرشيد بواسطة محمد علي باشا بخبر أن ارتاء بريطانيا التي رأت أن احتلال القلايات فيه تعد على مناطق نفوذها .

راجع : S.I.R. op.cit, P. 96

١٦ نعم شقير ص ٥١٦

الخاضعة للحكم التركي - المصري . فاستجد شيخ التكاير جمعه ابودقن بالحكمदार طالبها حمايته من تهديدات الامبراطور ثيودور . وفي نوفمبر ١٨٦٢ قام موسى حمدي على رأس حملة مكونة من ثلاثة الاف جندي نظالي وخمسة الاف غير نظالي وسار الى انقلابات^{١٧} . وهناك رأى ضرورة تحصين المدينة فانشا فيها استحكاما منيعا ودعه بالموانع واقام بها اورطين من الجهادية بقيادة آدم بك . كما فرض ضرائب جديدة على المنطقة بلغت اربعة وعشرين الف رهاق سنويا . فقام الشيخ جمعه من جانبه بفرض ضرائب جديدة على اللوردات الحبشية ليواجه بها التزامه الجديد نحو الحكومة^{١٨} .

وكان من جراء ذلك الاستقرار ان زادت اهمية القلايات كمركز تجاري واصبحت سوقا لمختلف البضائع مثل الماشية والذهب والقطن والشمع والزباد والبن والسمن والرفيق والعاج . وبلغ سكانها عام ١٨٦٤ خمسا وعشرين الف نسمة موزعين على خمسة وعشرين قرية^{١٩} . ويبدو ان هذا العدد اكثمر

١٧ S.N.R, op.cit, P. 97

١٨ نعوم شقير ، ص ٥٣٦

١٩ S.N.R, op.cit, P. 97

واقعية من العدد الذى ذكره شقير ، فسكان الخرطوم نفسها فى تلك الفترة بلغوا ثلاثين الفا .

وسوق القلايات من اكثر الاسواق تنظيما ، ويجتمع يومى الثلاثاء والاربعاء من كل اسبوع ويزداد نشاطه بين نوفمبر ومايو . ولعل حجم التجارة بين القلايات وسواكن يعطى صورة لما وصلت اليه القلايات من اهمية تجارية . فقد بلغ مجموع ما يصدر سنويا الى سواكن الاش :

٢٠٠٠ الف كيلو بين

١١٠ الف كيلو شمع

٤٤٥٠ كيلو عاج

١٠٠٠ اوقية ذهب

من ١٥ الى ٢٠٠ من الخيول فى كل يوم سوق

٢٠٠٠ رقيق

وبلغت كمية ما يبيع من القطن عام ١٨٦٣ حوالى اربعة الاف بالة . ولهذا فقد اصبحت

القلابات سوقا شبه عالمي يرد إليها التجار لا من الحبشة فحسب بل من بلاد

الاعريق والارمن وغيرها^{٢١} .

وقد أعطى سعد رفعت وصفا للقلابات في آخر العهد التركي - المصري

وصفها بانها بلاد ذات " أهوية عشية " ومنازلها مبنية من الحجر والقدس . وبها

هذه قلعة محصنة يحرسها جنود من البيادة والطهجة . وسكانها بجانب التكاير

هم الحمدة والكواهلة والضبانة . وتدرس سعد رفعت الضرائب المفروضة على القلابات

بحوالي ثلاثمائة ألف جنيه في العام^{٢٢} . ولعل هذا الرقم مبالغ فيه ولكنه يدل على

أهمية القلابات التجارية .

في الحقبة الأخيرة من العهد التركي - المصري كان صالح شنقا هو

شيخ التكاير في القلابات . وشنقا هذا من مجاوري الأزهر جاء إلى القلابات

Richard Pankhurst, The Trade of Northern Ethiopia^{٢١}

in The Nineteenth and Early Twentieth Centuries,
Journal of Ethiopian Studies, Vol. II, No 1, January
1964, pp.72-73

٢٢ سعد رفعت، التقرير، ص ٣٠

- ليصبح اماما لمسجدها ويبدوا انه كان عظيم الولاء للحكومة التركية ان منحوه وضعاً
- ممتازاً في القلايات ، فهو المكلف بجميع الجزية ويخلق ملاقات تجارية مع الحبشة ^{٢٣} .
- كما كان له جيش خاص به يتكون من اربعة الاف جندي من الحبش والسودانيين
- وجميعهم بأسلحة نارية . ويستعمل هذا الجيش في زمن السلم في اعمال الزراعة
- الخاصة بشيخ التكاير ^{٢٤} .

ج : غندار

- كانت غندار في النصف الاول من القرن التاسع عشر من اهم الاسواق
- التجارية في الحبشة ، بل أصبحت في وقت من الاوقات اهم مدينة تجارية .
- وتقع غندار في وسط طريق تجارى هام يبدأ من دارفور ثم مملكة الفونج ويمر
- بغندار الى عدوة فصوع . ويمر بها ايضا طريق تجارى اخر يسير الى شلقا (Delga)
- روهنى (Wahani) ثم الشقة والقلايات . وتسير القوافل التجارية من غندار متجهة
- غربا في فصل الجفاف بين أكتوبر ومايو ^{٢٥} .

٢٣ نعم شقير ، ص ٥٣٢

٢٤ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٣٠

٢٥ Pankhurst, op.cit., m.52,65



وتعتبر غندار لهم سوق للذهب في الحبشة ومن لهم الاسواق لتجارة
البن والعاج . وبالرغم من تدهور أهميتها التجارية في النصف الثاني من القرن
التاسع الا انها ظلت واحد من اثني عشرة سوق هام في الحبشة . ولعل
حجم تجارتها عام ١٨٩٠ يوضح تلك الأهمية . فقد بلغ ما بيع بها من المواشي
في ذلك العام الآتي :

٨٠	الف ثور
١٨	الف بقرة
١٠	الف نعجة
٢٠	الف خروفي
٢٦	
٦٠	الف دجاجة

ويبدو ان قرب غندار من الحدود السودانية وتاريخها التجاري الحافل قد خلقا
لها صورة زاهية في عقل السودانيين ولعلها كانت تمثل بالنعبة لهم مركز الشراء

العريض غير الحدود •

٦- الوضع العسكري في القضايف - القلايات عند اندلاع الثورة المهدية

عند اندلاع الثورة المهدية ركزت الحكومة التركية جهودها العسكرية في غرب السودان باعتباره محقل الثورة • وادى ذلك التركيز الى ضعف المناطق الأخرى عسكرياً بالذات منطقة القضايف - القلايات ، فقد حولت عنها الحكومة بعض فرق البجيين وبعثتها الى الغرب • وسنتعرض هنا الى الوضع العسكري في ثلاثة مدن هامة في هذه المنطقة وهي القضايف ، القلايات ، والمجيرة •

كان بالقضايف عند اندلاع الثورة المهدية مائتا جندي نظامي ولوردي من الياشينوزق المغاربة بقيادة محمد باشا لغا • وكان محمد عوض الكريم ابنه سن مأموراً عليها • ونقل اليها بلوك من القلايات ولكنه سرعان ما حول الى عمار لتدعيم موقعها^{١٧}

وفي عام ١٨٨١ كان بالقلايات ألف وستمائة وعشرة جندياً • وعند قيام

الثورة في غرب السودان اخذ منها " ٥ جي " اورطة بقيادة البكباشي حسن افندي عارف و " ٦ جي " اورطة بقيادة سرور افندي بهجت وارسلا الي الخريب •
 وبقي بهذا بلوكان فقط • وبهذا ايضا بطارية طوبجية بقيادة محمد افندي ريمساف
 بلوكان اردي باشبوزق يتكون من اربعمائة وخمسين جندي بقيادة محمد بك السيد
 واورطة غير نظامية تابعة لمرالح شنقا • وعند حلول عام ١٨٨٤ اصبحت بالقازيات
 خمسمائة وثلاثة وتسعون جنديا نظاميا فقط ^{٢٨} •

اما المدينة الثالثة فهي للجيرة • والجيرة طابية حصينة على حدود الحبشة
 مبنية بالحجر على قمة مرتفعة تطل على نهر سيتيت • وكان بها " ٤ جي " اورطة
 التي تتكون من ثمانمائة جندي بقيادة البكباشي فضل الله حبيب • وعند اندلاع
 الثورة المهدية ارسلت نفى القوة العسكرية التي بها الى سنار ، وارسل منها بلوكان
 الى كسلا ، فبقي بها بلوكان بقيادة ثلاثة مدافع وصاروخ حربي ^{٢٩} •

٢٨ المصدر السابق ، ص ٦٣٥

٢٩ المصدر السابق ، ص ٩٠١

يتضح لنا من الأرقام السابقة بعض الحقائق المتعلقة بالوضع العسكري في هذه المنطقة عشية اندلاع الثورة المهدية فيها • فنلاحظ أولا أن القسوة العسكرية للحكومة كانت متمركزة في ثلاث حاميات هامة بجانب النقاط العسكرية الصغيرة الأخرى • ثانيا أنه في حالة اندلاع ثورة شعبية تصبح تلك الحاميات عبارة عن جزر معزولة وسط بحر من الثورة الهادرة وتظل غير متصلة ببعضها البعض • ونلاحظ أيضا أن منطقة القضايف -- القلايات لم تكن تشكل خطورة كبيرة على الحكم التركي -- المصري ولذلك كانت تعتبر كمنطقة احتياطية يؤخذ منها الجنود لتعزيز المناطق الأكثر خطورة ولذلك عندما اندلعت بها الثورة لم يكن بها سوى الفين وسثمائة جنديا موزعين على ثلاث مدن • وعليه فلم يكن أمام أولئك الجنود إلا التسليم أو الانسحاب من مراكزهم عن طريق الحشمة باعتبارها الطريق الوحيد المفتوح • وهكذا دخلت الحشمة في الصراع ضد المهدية في مسندة المنطقة وأصبحت هي العنصر الحاسم في ذلك الصراع واحتلت مكان الحكومة التركية -- المصرية •

٧- اهم مصادر هذا البحث

تستند هذه الدراسة على وثائق المهدية • وكانت هذه الوثائق حتى
حقبين خلت بعيدة عن متناول الباحثين • ثم انشأت دارة الوثائق المركزية
فكان ظهورها قفزة في مجال البحث العلمي خصوصا في تاريخ السودان فمسي
عهد المهدية وقد تعرض كثير من الباحثين لطبيعة دارة الوثائق المركزية وتكوينها
بتصنيف الوثائق فيها والامكانيات التي تتيحها للبحث^{٣٠} • ولذلك لن نتعرض
لهذا الجانب بل سأتحدث عن اهم وثائق المهدية التي اعتدت عليها ، ومسي
الاقسام الثلاثة الاولى منها •

يشمل القسم الاول من وثائق المهدية الرسائل المتبادلة بين الخليفة من
جانب وقواد المهدية وامراتها المشهورين من الجانب الاخر • فرجعت فسي
هذا القسم الى المراسلات بين الخليفة ومحمد ارباب ويونس الدكيم وحمد بن ابي عنجة

٣٠ راجع ، F.H. Holt, The Archives of the Mahdia (London, 1955).

Mohamed Ibrahim Abu Saleem : The Central Archives and Possibilities of Research. A Paper Presented to the Philosophical Society of the Sudan (1964)

موسى المبارك ، تاريخ دارفور السياسي ، ١٨٨٢-١٨٩١ ، رسالة ماجستير لم تنشر
(جامعة الخرطوم نوفمبر ١٩٦٤) •

والزكي، طعل واحمد علي واحمد فضيل وغيرهم • ولعللى اول من اطلع على هذه

الرسائل متكاملة فكانت مصدرا هاما من مصادر هذا البحث •

اما القسم الثانى فهو عبارة عن رسائل مختلفة مرسله من بعض امراء المهدية

وقوادها للخليفة او يعقوب اوكبار القادة • وكانت هذه الرسائل ايضا ركيزة

ثانية اعتمدت عليها فى هذه الدراسة •

ويعرف القسم الثالث من رسائل المهدية بدفاتر المصادر وتشمل الخطابات

الصادرة من المهدى والخليفة الى مختلف الاقاليم • وتتميز دفاتر المصادر هذه ،

بل لطلب وثائق المهدية ، بميزة عامة وهى ان اغلب تلك الخطابات تبدأ بخلاصة

للمرسالة المسابقة التي يتب الرد عليها • فالعهدى والخليفة وبقية قواد المهدية كانوا

يلخصون الرسالة الواردة اليهم قبل ان يشرعوا فى الرد عليها • ولصحت تلك

الرسائل فى الواقع عبارة عن رسالتين • وقد افادت هذه الطريقة كثيرا لانها

حفظت لنا الكثير من الخطابات التي ضاعت وسهلت فى كثير من الاحيان الوقوف

على تسلسل الاحداث ، بل وفى وضع التواريخ فى الرسائل التي غاب ذكر

التاريخ فيها •

ورجعت الى مخطوطة اسماعيل عبدالقادر الكردفاني باسم الظفر المنقوش
ببشري قتل يوحنا ملك الحبشي ، في القسم الثامن من وثائق المهدية . وهذه
المخطوطة لها اهميتها لانها تشمل متدرا اوليا عن حروب المهدية على
الجبهة الحبشية . ولعل قد تعرضت الى كثير من اجزاء هذه المخطوطة
بالتحقيق وافدت منها كثيرا . وقد تعرضت لهذه المخطوطة والظروف التي احاطت
بتأليفها واسلوب الكردفاني في مقالتي بمجلة الدراسات السودانية ^(٣١)
رند . سافرت الى منطقة القضاة وقضيت بها قرابة الشهر واطلعت ببعض
الشخصيات التي تهتم بالتاريخ ولم افد منها كثيرا مما يستحق الذكر ماعدا
ملاحظات عابرة هنا وهناك .

سأذكر اهم مصادر هذه الدراسة . وهناك مصادر اخرى تشمل على
مؤلفات عربية وانجليزية لها فائدتها ويعرفها الباحثون في تاريخ المهدية .

٣١ محمد سعيد القدال * الظفر المنقوش * مجلة الدراسات السودانية

(العدد ٢ ، المجلد (١) ، يونيو ١٩٦٩) ص ١٤٠-١٤٥ .

ن ح

وقد اتصلت بشعبة التاريخ بجامعة هيلسلاي ودار المحفوظات
الاثيوبية وافادوا بان ليس لديهم ما يمكن ان يعين في هذا البحث • ولذلك
اعتمدت على رسائل ملوك الحبشة وقوادها المتبادلة مع البردى والخليفة وبقية
الامراء والموجودة في القسم الاول من المهدية (١١ | ٣٤) • وبما ان هذه لمدراسة
نؤتم بانتجاهات دولة المهدية في السياسة الخارجية فان هذه الرسائل كانت
كافية وقد اعانت كثيرا في تفهم هذه الاتجاغات •

الفصل الأول

منطقة القارص - القلايات في عهد المند

١٨٨١-١٨٨٥ (١٢٩٨/١٩٠٢-١٩٠٢/١٩٠٢)

انقسمت السنوات الأربع الأولى من الثورة المندية إلى قسمين ، فتميزت الفترة الأولى منذ انشور الدرة والدفاع عن شدة الحملات التي كانت ترسلها الحكومة التركية - المصرية • فقد انتفى الحامان الأولين والمندين يجمع حولهم الانتصار ثم جبا قدير يقدر على عصفت الحكومة الواحدة تلو الأخرى • ثم انتقل المند من طير الدفاع إلى مرحلة الهجوم ، والذي كان يستند به المعائن الدامة للحكومة في غريب السودان ولحمدا مدينتي الابدق وبارا • كما كان المند ينظر باهتمام - ضرورة أعمال ناز الدرة في الجزيرة وفي منطقة دواكن لاهيتوا الاستراتيجية والاقتصادية • في هذه الفترة ضلت منطقة القارص - القلايات مادية نسبيا فلم تقم بهيئة - احداء عامة ولم تأخذ الثورة المندية فيزا شكلا واضحا كما حدث في السنوات اللاحقة • ولمر هذا إلى ان لمندنا عن معقل الثورة بعين مراكز الحكومة العامة • بعد هزيمة حك في شيكان (٥ نوفمبر ١٨٨٢ / ٤ محرم ١٣٠١) اخذ لاهام المند يزداد بالجزء السودان المختلفة • وكان هذا الاهتمام جزءا من

مختارة للتحقق على الخرطوم بعد ان يوزع لذلك بعزلنا داخليا وخارجيا • وما ان
 براء عام ١٩٨٤ - حتى أصبحت الخرطوم بتأثيره معزولة وسد خضم من الثورات المتلاحقة •
 وكانت خطة المؤيد في نشر الدعوة في المناطق المختلفة عن ان يحين عاملا من
 قبله يقين غالبا من اسرار المنطقة المنيعة ويبحثه لاستنفار الادالي للثورة باسم العمدية •
 وكان المؤيد يهتم دائما بزعماء القبائل بتأدية الدور الشخصية والشخصيات ذات الوزن
 الاجتماعي والقبلي ان في انضمامهم الى العمدية ما يقرب من ثأنا ويعد علمي
 انتشارها • ولعل هذا يفسر لنا السر وراء منشوراته الجديدة التي كان يبحث بها
 للعامة السرفقة المعبد ود بدر آل ابو سن وغيرهم من الشخصيات السودانية المشهورة •
 من مدن المأثور التي التفت اليها المؤيد بعد شيكان كانت عتقة القناري —
 القناريات •

لم يزل انتشار العمدية في منطقة القناري - القناريات اهتماما كبيرا من

١ - منشورات الامام المعدي ، مصرعه من النسخ المطبوع بالحبر ، اربعة اجزاء
 نشرت في دار الريان المركزية ، الخرطوم ، ١٩٦٤ • رئيسا بجملة كبير من رسائل
 المعدي • ويختصنا في هذا المجال البير الثاني وهو المنشور بكتاب الانتارات

المؤرخين كالذى لقيته الفاطمي الاخرى التي ارتبط انتشار المهدي فيها بشخصية المهدي او بامرائه الكبار او حكام العهد التركي المشهورين . فاذا اضفنا الى هذا ان الحاميات التركية في هذه المنطقة لم تكن حاميات كبيرة وهامة ، بل ان اغلبها قد اتخذ لتدعيم الحاميات الاخرى في الابهض وسنار وكسلا ، لادركنا صعوبة التنقيب في تاريخ هذه المنطقة والذي ينتشر بين ثنايا الاحداث التاريخية الهامة وفي منشورات المهدي الصحيحة التي كان يبحث بها الى عماله في المنطقة . ولكن وجود الحبشة كعنصر هام في تاريخ هذه المنطقة امدنا بمصادر اضافية ستساعدنا في ان نرسم صوره لانهار الحكم التركي هناك ، وهذا بلاشك اهم حدث تم في عهد المهدي في تلك المنطقة . وقد ارتبط انهيار الحكم التركي وانتشار الثورة المهدية في منطقة القضايف - القلابات بقبولتي الشكرية والصباينة . وبعض العمال الذين بعثهم المهدي من قبله مثل الحسين عبد الواحد^٢ ، او القواد الذين تجاوزوا مع المهدي عن بعد واشعلوا نيران

٢ الحسين عبد الواحد هو اخ الشيخ محمد شريف نور الدوام استاذ المهدي وشيخ الطريقة السماعية في الفترة الاخيرة من العهد التركي - المصري . والحسين ومحمد شريف كلاهما اخوان الشيخ الطيب البشير مؤسس الطريقة السماعية في السودان والموالود عام ١٢٠٥ هـ .

الثورة بمجهودهم الخاص مثل محمد ولد ارباب • وقد استهدفت الثورة المهدية القضاة على المدن الهامة مثل القضاة والقلايات والجيرة ولحقها بعد ذلك المدن الصغيرة الاخرى مثل دوكه وهمار والتومات وغيرهم •

اختيار الحكم التركي - المصري •

اما من سقوط القضاة فهناك روايتان ، الرواية الاولى يرويها نعيم شقير السدي يقول ان المهدى قد عين للحسين عبد الواحد نور الدائم حاملا على البلاد الواقعة بين النيل الازرق ونهر عطبرة • كما عين معه ثلاثة من الساعدين هم عبد الله الطريفي الجعلي والسماوي ولر احمد والظاهر محمد تاتاي^٣ • وقد وقع اختيار المهدى على الحسين لانه كان عارفا باحوال تلك الجهة اذ كان مقبلا بالقرب من تبارك الله على نهر عطبرة • فسار الحسين مع اتباعه حتى وصل للقلعة اراتيج وهي احدى مراكز قبيلة الشكرية ، فجمع اهله وزحف بهم على القضاة • وكان بالقضاة محمد ابن الشيخ عوض الكريم ابو حسن مامورا طيبا ومعه محمد لغا القائد التركي على راس مائتي جندي وموسى لندي حسن

على رأس مدفعين وسعهم عدد من التجار الأجانب . فأرسل لهم الحسين خطابا كان يحمل معه من المهدي^٤ وخطابا لآخر من غده يدعوهم الى اتباع المهدي ويعددهم يحفظ مالهم وسلاحهم . وبما ان الحامية كانت ضعيفة وبعيدة عن مراكز الحكومة الهامة فقد قررت التسليم ، وسلمت في ٢١ أبريل ١٨٨٤ (٢٤ جمادى لخر ١٣٠١) ، وما ان استلم الحسين المدينة حتى قام بجمع ما بها من اسلحة وذخائر كما صادر بضائع التجار وأودعها جميعا في بيت المال . وأجبر النصارى من التجار على دخول الاسلام وقام بقطع خط التلغراف بين القضايف والقلايات .^٥

اما الرواية الثانية فقد أوردها سعد رفعت في تقريره الذي كفيه عن إخلاء القلايات . فقد ذكر ان عبد الله ولد عوض الكريم أبو سن قد توجه الى المهدي بعد واقعة هكس وان المهدي قد عينه أميراً على قبيلة الشكرية^٦ . ثم يذكر ان المهدي قد أرسل الأمير

٤ المهدي الى عوض الكريم احمد أبو سن وآخرين من عائلة أبو سن ، في ربيع اول ١٣٠١ ، منشورات المهدي ، جز ٢ ، ص ٩١ .

٥ عموم ، ص ٨٩٦-٨٩٧

٦ الواقع ان المهدي قد عين عبد الله عوض الكريم أبو سن عاملاً على حلة رفاعه وجعله تابعاً لعبد الرحمن النجومي . وكان ذلك التعيين في ٢٥ محرم ١٣٠٢ (١٠ / ١٨٨٤) راجع منشور المهدي الى عبد الله عوض الكريم أبو سن في : أبو سليم ، المرشد ، نمرة ٤٢٢

٧ عبد المحمود ولد الشيخ الطيب بخطاب الى محمد عوض الكريم ابوسن وعمه عبد الله
 يطلب منهما اخذ الجيخانم والاسلحة من العساكر . فقاما بدعوة الناس الى المهدية
 وسلمت لهما الحامية فذهبوا الاهالى وفرضوا على الاوربيين الذين بالمنطقة اعتناق المهدية .
 نجد ان الروايين تتفقان على ان حامية القضايف سلمت دون كبير عناء وان
 تسليمها قد تم بمعاونة القبائل المحلية واهمها قبيلة الشكرية . ولكنهما تختلفان فسى
 شخصية القائد الذي تم على يده سقوط المدينة فنجد شقير يتحدث عن الحسين بينما
 يذكر رفعت آل ابوسن في المقام الاول . من المؤكد ان قبيلة الشكرية بقيادة زعيمها
 الشيخ عوض الكريم لم تسرع الى الاستجابة لدعوة المهدية . فقد كانت قبيلة الشكرية
 وزعيمها لهم وضع ممتاز في التركية . وهى قبيلة غنية زراعا ولها ثروة حيوانية كبيرة ،
 وكانت على جانب من الاستقرار . لكل هذه الاسباب نجدها قد عارضت الدعوة

٧ يقصد عبد الواحد وليس عبد المحمود

٨ لا يتحدث رفعت في تقريره عن عوض الكريم ابوسن ولا يعتبره من ضمن من خاطبهم
 المهدي بل يعتبره من المؤيدين للحكم التركي . والصريح . وايده هولت فسى
 هذا الراى - P. Holt, The Mahdist State in the Sudan, 1881-1898 (Oxford 1958)

٩ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٢ ، ص ٤٥

الجديدة ووقف زعماءها من المهديّة مؤقتاً عنداً أما متشككاً أو معادياً • على أن عبد الله أحمد أبو سن كان أسرع زعماء الشكريّة استجابة للمهديّة ولكن هذه الاستجابة قد جاءت بعد سقوط القضايف عندما بدأت كفة المهديّة في الترجيح • ولكن رواية سمعد رفعت قد وجدت قبولاً لدى بعض الكتاب فقد أخذ بها ونجحت وهولت^{١٠} إذ اضرباً أن عبد الله عوض الكريم هو الذي استولى على القضايف • ومن الواضح أنهم جميعاً خلطوا بين عبد الله عوض الكريم وعبد الله أحمد • فالأول قد عين عاملاً على حطة رفاعة ولم يرتبط اسمه بتاريخ هذه المنطقة في المهديّة في تلك الفترة المبكرة •

لذلك نجد أن رواية شقير أقرب إلى الحقيقة لأنها تشبه تماماً الطريقة التي كان يسير عليها المهدي في نشر دعوته في البقاع المختلفة • فالمهدي قد بعث بالحسين إلى القضايف وحمله رسالة لورسائل إلى زعماء وأهل المنطقة • فقام الحسين بالاتصال بزعماء الشكريّة وأهمهم عوض الكريم وأخوه عبد الله وقد كان يرأسهم المهدي حتى قبول سقوط القضايف^{١١} • واستطاع الحسين بمعاونة آل أبو سن أن يستولى على القضايف •

op.cit,
Wingate, P. 151; P.M. Holt, The Mahdist State, P. 148 ١٠

١١ أبو سليم، المرشد، نمرة ٢٠٧، ٢٠٨

وبما أن المهدي كان يفضل أن يقول زعماء القبائل إدارة مناطقهم فقد عين عيسى
 الله أحمد أبوسن عاملاً على القضايف ثم دعاه إليه ليوقف على حقيقة ولاته ، وطلب من
 الحسين أن ينوب عنه حتى حين عودته . وفند ذلك الوقت والمهدي يشير إلى عيسى
 الله على أنه عامله على القضايف ، بل نجده بعد شهرين من تلك المقاتلة بمعينه عاملاً
 على جهات " بحر اثيره " ^{١٢} . فالحسين هو الذي استولى على القضايف وعهد الله أبو
 سن أصبح عاملاً عليها فيما بعد .

بعد أن استولى الحسين على القضايف سار بانتصاره على المراكز المجاورة . فتقدم
 إلى القويات وكان بها محمد بك همداني زائد شيخ قبيلة الضبائيه ، الذي سلم استجابة
 لدعوة المهدي . وبالرغم من استجابة ولد زائد السريع إلا أنه لم يكن صدق الايمان
 بالمهدية وقد تجلى هذا في صراعه مع الخليفة . ثم دعى الحسين عرب الحمراني السبي
 المهدية فاستجاب جزاً منهم بقيادة الشيخ عروود الكردي ، والنجاة الجزء الآخر
 بقيادة العجيل عوض الحمراني إلى الحبشه في جهة غبته حيث أخذ يهاجم دولته

١٢ المهدي إلى عهد الله أحمد أبوسن ، في ٥ ربيع ثاني ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر

المهدية هجمات مباشرة ومتكررة بغرض السلب والنهب • ثم تقدم الحسين الى الصوفا
 وكان بها بعض البعلبيين من سلالة الملك نمرود انضموا اليه • وانتقل بعدها الى دوكه
 وهي من اهم مراكز الضبانية وكانت بها حامية تركية صغيرة مكونة من عشرين جنديا
 بقيادة محمود افندي محمد التركي وبها ايضا الشيخ عجيب ولد الندي/زايد وسلموا جميعهم •
 ١٣ وكل ولد
 لم يبق بعد ذلك من المراكز الهامة الا القلايات والجيرة فالتفت اليهما الانتصار •

يرجع اهتمام الانتصار بالقلابات الى الفترة الاولى من الثورة المهدية • فقد
 حدث اول اشتباك مع اعدائهم في مركز زرقه التابع للقلابات حوالي مايو ١٨٨٢
 " رجب ١٢٩٩ " وذلك عندما حضر شخص يدعى محمد ولد ماجوك^{١٤} ومعه جماعة
 من العقارة الموجودين بالرهود الى جهة زرقه • فقام بالهجوم عليها واحتلها وقتل من
 بها من الرجال وثم ما بها من اموال • وعندما وصلت الاخبار الى صالح شنقا عين محمد

١٣ نعم شقير، ص ٨٩٦-٨٩٧

١٤ يكتب نعم شقير هذا الاسم " ماجوك " ويكتبه سعد رفعت " باجوك " وفي
 اعتقادي ان " ماجوك " اكثر صحة لانه اقرب الى التعبير بالعربية في قولهم
 " ماجاوه اليك " • وبما ان شقير قد كتب بعد رفعت بفترة طويلة فلهذا تحقق
 من هذا الاسم • ويكتب هذا الاسم لحيانا " مجوك " •

بك السيد على رأس مائة وخمسين من الخيالة وثلاثمائة من البداة من التكاوير وارسلهم الى
 زرقه فوجدوا البقارة مقيمين بها ويستعدون للتحججه الى سرف عردية وهي من المراكسز
 التابعة للقلايات • فنشب بينهم قتال استمر ساعة هزم بعده الانصار وانسحبوا من
 زرقه ^{١٥} • ولكن ولد ماجوك عاد ثانية في اواخر أغسطس " رمضان " بعد ان استعاد
 قوته بمساعدة مشايخ الحدة • بل ان احمد ولد الرضى ابن اخ شيخ الحدة صاحب
 ولد مجوك في حملته هذه • فقام ولد مجوك باحتلال سرف عردية واخذ يستعد
 للهجوم على القلايات • وكان شيخ سرف عردية قد هرب الى القلايات حيث انضى الى
 صالح بكل ماحدث • فقام صالح على رأس ثلاثة الاف نفر من توابعه ومعه محمد بك
 السيد واروى باشوزق لصد الانصار قبل وصولهم الى القلايات • والتقوا يوم عند خور
 القا " سبتمبر / شوال " حيث دارت بينهما معركة فقد فيها الانصار عددا كبيرا من القتلى
 من بينهم الشيخ ولد الرضى واستطاع ولد ماجوك ان ينجو بنفسه ^{١٦} • ويبدو ان قوة
 مركز القلايات جعلته لا يكرر المحاولة ولم يظهر له اى نشاط بعد ذلك • ويحدد شفيير

١٥ سعد رفعت : التقرير ، ص ٣

١٦ المصدر السابق

تاريخ هذه المعركة يوم ٢١ صفر ١٣٠٢ هجرية ويضع تاريخها المقابل بالميلادى يوم ١٠ ديسمبر ١٨٨٤^{١٧} ، بينما للتاريخ الميلادى الصحيح هو يوم ٢٢ ديسمبر ١٨٨٣ . وحتى اذا وضعنا هذا الخطأ جانباً سنجد ان كلا من التاريخين يضعان هذه الاحداث فى وقت متأخر من الثورة المهدية عندما قويت واشتد . عودها ، بينما لاتعدو هـذـه المحاولات عن مناقشات اوليه قام بها مجموعة من الاعراب بدافع من الحماس قبل ان تصلهم دعوة المهدية فى شكلها الرسمى . وعليه فان تاريخ معركة خور القنـا هو سبتمبر ١٨٨٢ " ذو القعدة ١٢٩٩ هـ " كما حددته سعد رفعت .

وتبدأ المرحلة الثانية من حروب الانصار فى منطقة القلابات بعد سقوط القضايف وتحول قوة الانصار نحوها . وكان المهدي قد حمل الحسين خطاباً الى صالح شنقسا يطلب منه اتباع المهدية والقيام من اجل نصرتها ويصفح عنه لما سلف منه من اعمال عدائية ، ولعل المهدي كان يقصد حروبه مع الانصار فى زرقه وخور القنـا . فارسل الحسين الخطاب الى صالح مع احد التجار بالقضايف ويدعى دفع الله الكثر^{١٨} . فرد صالح

١٧ لا نعوم شقير ، ص ٨٩٨

١٨ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٤

شققا بخطاب الى الحسين بتاريخ ٢٢ ابريل ١٨٨٤ (١ رجب ١٣٠١) قال فيـــــــــــــــــه
 " . . . انى انا واهلى التكرانه مسلمون للمهدى ولكن العساكر الذين يهددهم الحامية غير
 مسلمين فامهلونى ريثما ادبر احواله للخلاص منهم " . . . فاتفق الحسين بالمهدى يستشير
 فى طلب المهلة التى حددوها صالح بثلاثة اشهر وذكر الحسين للمهدى ان موسم الامطار
 وشيك الهداية فقبل المهدى ^{١٩} . اما صالح شققا فانه لم يقصد من تلك المهلة الا
 ليجد الوقت الكافى ليمتعد لصد هجوم الانصار المرتقب . ولذلك ما ان عاد رسول
 الحسين حتى قام بالاتصال بالضيباط فى القلعات واتفق معهم على الاستعداد لتحسين
 الحامية للمقاومة . كما قام بالاتصال بغردون فى الخرطوم وباحمد غت فى كسلا يطلب
 منهما نجدة . ولكنهما لم يكونا فى وضع يمكنهما من مساعدته اذ كانا انهما يستعدان
 لمواجهة هجوم مرتقب ^{٢٠} . ليس بمستغرب ان يقف صالح شققا موقفا معاديا للمهدية
 وان يستمر على موقفه هذا حتى النهاية ، فقد كان له وضع ممتاز فى التركية وكان يستفيد
 من الحركة التجارية التى كانت بين البلدين ، وكانت له علاقة ودية مع الحبشه ويستطيع

١٩ نعم شقير ، ص ٨٩٨

٢٠ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٤٥

الالتجاء اليها في وقت الشدة .

اما الحسين فقد بقي في دوة حتى انقطعت الامطار فكتب الى صالح يطلب منه ان يسلم . ولكن صالح عاد ثانية الى المخادعة وطلب مهلة ثلاثة اشهر اخرى ، واصحب طلبه بودية الى الحسين عبارة عن كمدة من البن والعسل و خمسمائة ريال . عند ذلك ادرك الحسين ان صالح يحاول فقط كسب الوقت فنصم على حربه . وقبل ان يبدأ الحسين في العمليات الحربية مهد لها بخطاب ارسله الى الشايقة القميمين بالقلبات وصفهم فيه بالاخلاص والصدق وطلب منهم القيام باسم المهدي^{٢١} . وكان الحسين يرمي من هذا الخطاب لضعف الموقف الداخلي للحامية وذلك بيث الفترة بين صفوفها . ولكن الشايقة لم يتجاوبوا معه كما كان يتوقع . فانتقل بعد ذلك الى العمل العسكري وقسم جيشه الى قسمين ذهب بقسم لحصار الجيزة وارسل القسم الاخر الى القلبات .

استمر صالح شغلا من جانبهم في مخاطبة الخرطوم وكسلا املا في الحصول على نجدة عسكرية فقد كان يجهل الظروف القاسية التي كانت تمر بها الحكومة التركية فسعى

هذه الفترة • فكتب الى غردون في ٢٢ سبتمبر ١٨٨٤ (الحجة ١٣٠١) قائلاً
 " اتنا محاطون بالاعداء من كل الجهات : الشكرية والضبابية والسجاليين من
 جهة دوكه ، والحمدة من جهة الرهد • ولكننا لانزال ثابتين على الحصار ولازلنا
 نواصل مركزكم بالمكانات ^{٢٢} " .

بدأ اول هجوم للانصار على سرف سعيد ومنها تقدموا لحصار القلايات •
 ضيقت صالح باخيه عثمان على راس ستمائة من اهله التكاير وارسل معه محمد بسك
 السيد مع عدد من الفرسان • فالتقوا بالانصار عند تل بين سرف سعيد وسريود بسوم
 ٧ نوفمبر [١٨ محرم ١٣٠١] حيث دارت بينهم معركة انتهت بهزيمة الانصار ^{٢٣} •
 ورجعت القوة الى القلايات وجمع الانصار شنائهم ليشددوا حصارهم على الحامية •
 في هذا الاثناء كان قد تم اتفاق بين الحكومة المصرية والملك يوحنا في يوليو
 ١٨٨٤ (رمضان ١٣٠١) بشأن سحب الحاميات المصرية على الحدود عن طريق الحبشة •

٢٢ نعم شقير ، ص ٨٩٨

٢٣ المصدر السابق ، ص ٨٩٩

وكانت الحكومة المصرية قد أرسلت الأدميرال هيوت^{٢٤} وماسون بك للتفاوض مع يوحنا •
 وقد لجأت الحكومة المصرية الى هذه الخطوة بعد ان قطع عثمان دقنة طريق سواكن -
 بربر وبعد ان احتل محمد الخير بربر وطلق طريق الشمال فلم يعد هناك من طريق -
 لانقاذ حاميات الحدود الشرقية الا طريق الحبشة • وانتهت المفاوضات بموافقة يوحنا
 على تسهيل مهمة سحب الحاميات عن طريق بلاده على ان يعاد له الجزء من منطقة
 ارتريا الحالية والذي كان تحت سيطرة الحكومة المصرية • فوافقت الحكومة المصرية • وقام
 الكولونيل جيمس شايد ، حاكم دار شرق السودان وسواحل البحر الاحمر بتعيين البكباشي
 سعد رفعت للقيام بتنفيذ الانسحاب • وعين يوحنا قائده دهنشم ومعه خمسة وعشرين
 جنديا لمعاونته^{٢٥} • وخرج سعد رفعت من مصر في ٢ أغسطس ١٨٨٤ (٩ شوال
 ١٣٠١) قاصدا القلايات • فمر على اسمره (مقر الراس الولد) ومنها ذهب لعدالة يوحنا
 في عدوة ليطلب منه تعيين العدد الكافي من الضباط والجنود لمساعدته في مهمته •
 فاستجاب يوحنا لذلك الطلب وعين الراس جره مدهن ليقوم مع دهنشم بتقديم تلك

٢٤ الأدميرال هيوت (Hewett) هو قائد الاسطول البريطاني الذي ارسل الى سواكن
 لتعزيز الموقف العسكري فيها بعد انتصارات عثمان دقنة على فلنتين بيكر •

Holt, The Mahdist State, P. 148.

المساعدة • وغادر سعد رفعت عدوة وهو مطمئن على موقفه وسار ينتقل في المسدد
 الحبشية التي تقع على طريقه فمر بالكسوم ومنطقة تكازي - وهي الجزء الحبشي من النوب
 الأزرق - حتى وصل الى دمبيا (مقر الراس نسما) ، ثم قنذار (مقر الراس كفسوا)
 ومنها الى وهني (مقر الراس لخنشوم جبر) حتى انتهى الى شلقا (مقر الراس تواردي
 امباي) ، فوصل ضواحي القلابات في نوفمبر • ويذكر شقير ان تاريخ وصول الحملة هو
 ١٢ ديسمبر وان خروجها من صوع كان في ١٨ أغسطس وهذا يعني انها مكثت في
 الطريق ٦ اشهر وهو امر بعيد الاحتمال • فاذا تذكرنا ان صالح شنقا كان قد كتب الى
 حامية الجيزة في نوفمبر يخبرها بقدم سعد رفعت لادركنا ان التاريخ الذي ذكره
 شقيرا لم يكن دقيقا • وقد ترتب على هذا الخطا ان اعطى شقير بقية التواريخ الاخرى
 المتعلقة بهذه الحملة بطريقة غير دقيقة •

٢٦

وبعد ثلاثة ايام من الرحلة تقدم سعد رفعت بجنوده وهاجم الانصار الذين
 كانوا يحاصرون القلابات • واستمرت المعركة لثلاثة ايام متتالية تمكنت بعدها حامية
 القلابات من الخروج من استحكاماتها وانضمت الى سعد رفعت • اما الانصار فقد تراجعوا

بعد هزيمتهم حتى نهر الرهد . ثم دخلت الحملة المصرية الى القلايات وقامت بتسليم
الاسلحة والذخيرة الى الحبشة حسب الاتفاق . وفي اواخر عام ١٨٨٤ (مطلع عام
١٣٠٢) خرجت الحملة من القلايات ، وفي ٥ مارس (١٨ جماد اول ١٣٠٢) تحرك
محمد ولد ارياب من سرف سعيد واحتل القلايات .^{٢٧}

ثم قام صالح شنقا بتزويد الحملة بكل مستلزمات الرحلة لعودتها . وسارت
الحملة الى دميها حيث مكثت اثنى عشر يوما . وذهب سعد رفعت لمقابلة يوحنا
في دير تايور ليعمل له مهمة عودته . وكان رفعت قد واجهته مصاعب شتى فسي
طريق عودته . فتدخل يوحنا وذلكها . وبعد اربعة اشهر عادت الحملة الى مصر
حيث وصلتها في مايو ١٨٨٥ (شعبان ١٣٠٢) .^{٢٨} لما صالح شنقا فقد عاد مع
الحملة الى الحبشة واصبح من ضمن رعية يوحنا واصبح احد رؤساء دولته على الحدود
الغربية في دهر شينه على مسافة خمسة اميال من القلايات . ومن تلك القاعدة اخذ صالح

٢٧ محمد ولد ارياب من نكارة القلايات وكان قد سمع بالمهدي فلحق به . ثم بعثه
المهدي اميرا على اهل القلايات . وذكر سلاطين في كتابه (Fire & Sword
P. 405) ان ولد ارياب هو ابن عم صالح شنقا .

٢٨ سعد رفعت ، التقرير ، ص ١٤ وما بعدها .

شققا يهاجم دولة المهدية من وقت لآخر ^{٢٩} وبهذا أصبحت دولة المهدية تواجه نسي
 جهة القلايات دولة الحبشة الذي أدى دخولها إلى تصعيد الصراع في تلك المنطقة ،
 وتواجه كذلك القبائل المحلية التي انضمت إلى الحبشة وأهمها الفكارير بقيادة صالح
 شققا .

مثلا واجه الانصار صعوبات في القلايات متمثلة في قوة تحصين الحامية وتدخل الحبش
 واجهوا كذلك صعوبات مماثلة في الجيرة . وقد بدأ حصار الجيرة في مايو ١٨٨٤ رجب
 ١٢٠١ (بواسطة محمود عيسى زايد ^{٣٠} . فارسل ولد زايد خطابا إلى الحامية يطلب فيه
 تسليمها له واعتناق المهدية . ووضح من خطابه أن مقاومة الحامية لاطائل تحتها لأنه
 يقف على رأس مائة ألف مقاتل بخلاف أفراد القبائل المحلية الأخرى ^{٣١} . ولكن الحامية
 رفضت التسليم معتمدة على تحصين قلعة الجيرة وهو* ملك في وصول أعدادات لها ولذلك

٢٩ الكردفاني ، الطراز المنقوش ، ص ٤٥-٤٦
 ٣٠ كانت بين محمود عيسى زايد والحبش حروباً منذ العهد التركي - الحبشي ولعلها
 كانت مجرد غارات قبيلة طلي الحدود . وقد خلد ولد مريم ، شاعر ولد زايد ، بعض
 تلك الحروب في شعره . فيشير في إحدى قصائده قائلا :
 محمود يا صمد البهجة روكه صقر العنبر القرم الحبش من دوكه
 ٣١ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٦-٧

لجأت إلى التحايل لكسب الوقت فطلبت التفاوض مع ولد زايد وارسلوا له اليوزباشى موسى افندى غت ، وهى نفس الخطة التى تم اتباعها حامية القلايات من قبل ، فوضح غت لولد زايد ان التسليم امر صعب لان العساكر لم يفهموا دعوة المهدي وان ايمانهم بهما لن يكون عن طريق القوة بل التريث والاقناع وهذا يحتاج الى وقت ، فوافق ولد زايد على اعطائهم مهلة ثلاثة اشهر ثم يسلموا بعدها . فاعتصمت الحامية بسدة الفرصة واخذت تعد نفسها للدفاع ضد الهجوم المتوقع . فقاموا بتخفيض خط دفاعهم وعصروا انفسهم فى نطاق ضيق يتناسب وعددهم المحدود . وبعد انقضاء الاشهر المحدودة رفضت الحامية ان تسلم فيها جمها الانصار . ومن ذلك الوقت وحتى خروج الحامية فيما بعد استمر الانصار يهاجمون الجيرة حتى انقطاع ودون ان يتمكنوا من اختراق تحصيناتها المنيعه .

ففى اكتوبر ١٨٨٤ (محرم ١٣٠٢) قام الامير احمد ولد ضاوى بهجوم فاشل على الجيرة .^{٣٢} وفى نوفمبر " محرم " حضر عبد الله احمد ابو سن ليقوم بهجوم فاشل اخر وفى نفس الشهر تبعه موسى الكرم زايد بهجوم فاشل ثالث ، وكما ان

٣٢ كان المهدي قد ارسل احمد ضاوى الجبوتى اميرا على " جهة الحبشة " ولكننا لانجد تحديدا لتلك الجهة ولم يظهر نشاطه الحربي حتى ظهر مع الانصار فى حصار الجيرة .

الانصار قد فقدوا عددا كبيرا من اتباعهم أثناء تلك الهجمات المتكررة بينما لم تتعد خسائر الحامية عشرة قتلى وعدد قليل من الجرحى ^{٣٣} . وفي اواخر نوفمبر (صفر) حضر الحسين بجزء من جيشه وقرر ان يفرض حصارا على الجيرة حتى تستسلم . ويبدو ان الانصار قد قرروا حصار الجيرة بعد فشل هجماتهم عليها متقين اثر المهدى عندما قرر حصار الابو-صفر بعد فشل هجومه الاول عليها .

اما حامية الجيرة فقد كانت تقوم من جانبها بالاتصال بالحكومة التركية موضحة حالها ومستعجلة بجدتها . فقد ارسل اليكباشى فضل الله قائد الحامية خطابا الى حاكم صوج بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٨٨٤ (٤ صفر ١٣٠٢) يصف الحصار الذى تواجهه الجيرة فيقول " . . . جاءنا الشقى الحسين عبد الواحد بثمانيه الاف رجل ودعانا الى التسليم فرددناه بالحسنه وقد سبق سالتكم المدد وكنت ارجو ان يصلنى فى شهر نخاب رجاى والان ارسل المهدى كتابا يدعونى فيه الى التسليم لاحد امرائه القريبين وارسل عدة تحارير بهذا المعنى وانا لا ازال اخادعهم واطاولهم حتى ياتينى المدد . " وفي ٧ نوفمبر عاد الحسين عبد الواحد ومعه انطاكر تاتاي وعبد الله الطريفي والسماوى احمد ومحمود ود زايد

واعادوا طلب التسليم مني فسألتهم فرصة شهر لعملا في وصول المدة . وارسلت رسلا الى معسكرهم لاتجسس احوالهم وقدنا النهى على الثبات الى ان تأتينا النجدة وهم الان يهاجموننا كل يوم وقد انقسموا فريقين فريق لقتالنا وفريق لحصرنا واصبح مركزنا من اخرج المراكز . نعم ان الطاييه حصينه ولكن العساكر قليلون كما تعلمون لذلك ارجسوا ان تسرعوا بارسال العدد ولو اورطتين تأتيا عن طريق الحمران^{٣٤} . يوضح هذا الخطاب تفاصيل الحصار وحالة الحامية وتدهورها بعد ان انتهكت قواعدها في صد هجمات الانصار المتلاحقة وبعد ان اشتد عليها الحصار حتي اكل الجنود القش والجلود . ولكن الحامية ظلت تتعلق بالامل خصوصا وان صالح شنقا كان يكاتبهم ويعدهم بقرب وصول النجدة كما اسخر في الاستنجاد بمقرئون^{٣٥} .

وكما تقدم فان خلافا قد نشب بين الحسين وبقية القواد فرقع الامر الى المهدي الذي خطا الحسين وبعث في طلبه وعين بدلا عنه محمد ولد ارباب فجاء ولد ارباب امير اطي القلايات في ٢٥ ديسمبر ١٨٨٤ (٢ ربيع اول ١٣٠٢) وبقي عبد الله الطريفي على راس الجيش في حصار للجيرة^{٣٦} . واخذ المهدي يكاتب انصاره ويناشدهم بالصمود

٣٤ نعيم شفيق ، ص ١٠١-١٠٢

٣٥ Holt, The Mahdist State, P. 148

٣٦ نعيم شفيق ، ص ١٠٠

ويستحثهم على تشديد الحصار فكتب الى ولد زايد خطابا بتاريخ ١٧ فبراير ١٨٨٥ (٢١ جماد آخر ١٣٠٢) يقول فيه " . . . ليكون التشهير في حصر اهالي الجيرة وقطع الممراد عنهم بالكيفية حتى يهلكهم الله تعالى فيصيبهم بعذاب من غده . . . واوصيكم بتسوى الله ما استطعتم والتشهير فيما انتم بعدده وعدم الالتفات الى ما سوى الله ^{٣٧} " وكتب خطابا اخر الى عبد الله الظريفي والظاهر تاتاي وعبد الله لحمد ابوسن بتاريخ ٢٧ ابريل (١٢ رجب) قائلا " . . . وبما انكم الان محاصرين لاعداء الله بالجيرة فدوموا على محاصرتهم والتضييق عليهم حتى يهلكهم الله على يدكم ويسلموا . . . " ^{٣٨} وواضح من هذه الخطابات ان المهدي كان يحاول ان يعكس لانصاره تجربته في حصار الابيض التي ارغها على المسلمين بعد تجويعها . ولكن الابيض في وسط السودان بمنزلة عن بقية المراكز اما الجيرة مثلها القلايات فهما على الحدود الحبيشة والمهدي لم يعط اعتبارا كافيا لوجود الحبشة على الحدود والتي هي المعبر الحاسم في انقاذ قدامى الحاميات . فاستمر الانصار يشدون حصارهم على الجيرة والحامية تقاوم معتدة على وضعها

٣٧ المهدي الى محمود عيسى زايد ، ٢ جماد آخر ١٣٠٢ ، مخطوطة ، صادر
١ ، ص ١٢

٣٨ المصدر السابق ، ص ١٥

الحصين • ويقول سعد رفعت ان حامية الجيرة كانت تعتمد على ولد زايد الذي كسان
 بعدها سرا بالخبار للحصار والحوال الانصار^{٣٩} • وليس هذا بامر مستبعد لان ولد زايد
 لم يكن منذ البدايه صديق الايمان بالعهدية ولعله ضاق بطول الحصار وتعدد الهجمات
 وبما صاحبها من تضحيات ف رأى ان امر المهدية يسير الى زوال ف اثر ان يعيد ولاءه للحكومة
 التركية • وسرى كيف خرج ولد زايد على المهدية وناصبها العدا •

فى تلك الفترة كان قد تم الاتفاق على ارسال سعد رفعت فكتب حاكم مصوع
 الى فضل الله قائد حامية الجيرة يبيشره بالخبر : " ... ان الحبش اتون لانقاذكم قريباً
 فاخلطوا لهم الطابيه وساموهم الاسلحه والذخائر وهم اتون بكم الى مصوع ... " فقام غزال
 الله بارسال العازم ابراهيم حزين الى النفس يوحنا فى دهر تابور يستعجله الحضور^{٤٠} •
 وكان صالح شنقا قد ارسل ايضا رساله الى حامية الجيرة يبلغ جنودها بقدم سعد رفعت
 على رأس قوة من الحبش لانقاذهم • وفى نهاية نوفمبر تمكن اثنان من الجنود الحبش من
 دخول للجيرة وسلموا قائدها رسالة من يوحنا يبيشر الحامية بقرب قدوم الحملة لمفسك
 حصارهم وانقاذهم^{٤١} •

٣٩ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٧

٤٠ نعم شقير ، ص ٩٠٢

٤١ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٧

فى ذلك الوقت لم يكن المهدي فى موقف يمكنه من تقديم اى مساعدة الى انصاره فى انجيرة والقلابات فقد كانت تلك الفترة هى الاشهر الاخيرة من حصار الخرطوم اذ كان المهدي قد حضر بنفسه فى اكتوبر (محرم/صفر ١٣٠٢) واقام معسكره فى ابي سعد، وكان يحتاج لكل قوته وعقاده لتحقيق النصر الكبير بفتح الخرطوم التى تم احتلالها فى يناير ١٨٨٥ (ربيع ثانى ١٣٠٢) • وبعد فتح الخرطوم انشغل الانصار بانتصارهم وبوضع اسس الدولة الجديدة ثم بوفاة المهدي المبكره فى ٢٢ يونيو ١٨٨٥ (١٦ رمضان ١٣٠٢) وبالخطىم الاكبر من الشمال •

فى تلك الفترة الحرجة بالنسبة للسلطة المركزية فى ام درمان وهى عاجزه عن تقديم اى مساعدة ثم سحب حاميه الجيرة عن طريق الجيش الذين ارسلوا قوة قوامها خمسون الفا وعلى راسها عدد من القواد هم وجاج تسما وراس حقوص تكازى وراس اكييم قبيرو حاكم دمبيا • ووصلت الحملة الى نواحي الجيرة يوم ٢١ يونيو (١٦ رمضان) وكان وقتها امسراء الانصار فى خلاف فيما بينهم ، فلما شاهدوا العدد الضخم من الجيش تفرق اغلبهم من امامه ودارت المعركة مع من ثبتت من الانصار فانهت بهمزيتهم ودخول الجيش الى الجيرة يوم ٣ يوليو (٢١ رمضان) ^{٤٢} • واستلم الجيش كل ما بالحامية من اسلحه وذخيرته وكانت

عبارة عن ثلاثمائة بندقيه رامنون وستمائة بندقيه بالكسول وثلاثة مدافع صاروخ • ففى ٧ يوليو (٢٤ رمضان) خرجت حامىة الجيرة الى غيبته حيث مكثت بها حوالى خمسة اشهر نسبه لمطول الامطار ومنها وصلت سيرها الى مصوع فالقاهرة^{٤٣} • وبعد انسحاب الحامية دخل الانصار واحتلوا نقطة الجيرة • وقد سجل قواد الانصار هذا الحدث فى خطاب بعثوه الى الخليفة • اذ كان المهدي قد توفى • وذكروا للخليفة انهم صدوا امام الجيش وان الحبش لم يتمكنوا من دخول المدينة الا من جهة بحر سبت • وقد رد عليهم الخليفة بخطاب قال فيه " . . . ان خطابكم المشتمل على ايضاح مقصود ما صار من امر نقطة الجيرة وعلى وافيكم مع اعداء الله الحبش وقتلكم لهم مرارا وتولبتهم الادبار واستلامهم لنقطة الجيرة ولغذهم لها بجهة بحر سبت وغير ذلك مما بالجواب واقتضاء علو هممكم وتشجيعكم فى الله وتشجيتكم لجمع اعداء الله الحبش بقلك النقطة^{٤٤} • من الواضح ان قادة الانصار لم يعطوا وصفا صادقا لما حدث ولكن الخليفة كتب رده هذا تحت تأثير النتيجة النهائية وهى احتلال نقطة الجيرة •

لم يقتصر الصراع بين الانصار والحبش على القلايات والجيرة فحسب • بل امتد الى

٤٣ نعم شقير ، ص ١٠٢

٤٤ الخليفة الى قواد الانصار بالجيرة ، صادر ١٢ س ٢١

جبهة أخرى على الحدود مثل قديى وتبارك الله حيث اشعل الانتصار ثورة أخرى بقيادة
النور ولد فقرا • وولد فقرا هذا من الجبهة وهم مسلمو الحبشة وكان فى القصارف عند
اندلاع الثورة المهدية فهاجروا الى المهدي فى كردبان حيث بايعه اميرا وبعث به لرفع
راية المزدية وسط اهل • فعاد النور الى القصارف وجمع حوله عددا من الضباط ونزل
بهم على قديى وهى قرية على الحدود الحبشية يسكنها تكاير وحبش فاستنجد اهلها
بصالح شفا الذى اتصل بدوره بدهنشوم الذى كان قد وصل الطلاب مع سعد رفعت •
وطلب صالح من دهنشوم معاونته لاعداء هجوم الانتصار على قديى لان جزءا منها تابع
للحبشة • فتجمع لدى صالح خمسة واربعون الف مقاتل سار بهم الى قديى وهاجم
بهم الانتصار يوم ٢٦ نوفمبر ١٨٨٤ (٢ صفر ١٣٠٢) ، وهزمهم وفقد الانتصار فسى
المحرقة حوالى سبعمئة قتلا وجرح ولد فقرا نفسه • فاستنجد بالانتصار المحاصرين للجيرة
وحصلته نجدتهم بعد ثلاثة ايام • فقام باعادة الهجوم على قديى ولكنه انوزم للمرة
الثانية فتراجع عن قديى وانضم الى الحسين فى حصار الجيرة ^{٤٥} .

يبدو ان النور ولد فقرا لم يجد تعاونا من امراء الانتصار فى الجيرة فكتب يشكوهم

الى المهدي • خصوصا وهو من القلائل الذين ثبتوا حول الجيرة عند حضور الحبش اليها • وقام ولد فقرا بمخاطبة اهله في الحبشة وفعلا انضم اليه عدد منهم • ثم انفصل عن بقية الامراء وسار باهله الى تبارك الله حيث اخذ في شن الغارات على الحبشة ^{٤٦} •

ادارة منطقة القضايف - الغلابات في عهد المهدي :

باحتلال الغلابات والجيرة اصبحت منطقة القضايف - الغلابات خاضعة للمهدية ، فكيف ادار الانتصار هذه المنطقة في عهد المهدي ؟ لم يعيش المهدي طويلا بعد فتح الخرطوم ولكنه استطاع بالرغم من قصر مدته في ام درمان ، ان يحدد الخطوط العريضة لدولة المهدية ونظام الحكم فيها ^{٤٧} • فقسم السودان الى اقاليم وعين على كل اقليم اميرا واحيانا يسمى عاملا • اما الامير فهو القائد على المنطقة التي بها جيوش والعامل على المناطق الاخرى • وكانت القضايف - الغلابات احدى هذه الاقاليم او العمالات • واصبح محمد ولد ارباب عامل المهدية عليها • وقد حدد المهدي مسئولية ولد ارباب بوضوح • وكان اختيار ولد ارباب مبنيا على معرفته بالجهة ولوجسود اهله

٤٦ مهديّة ، ٢ / ٣٠ / ١ / ٧٩

٤٧ مكى شبكه ، السودان عبر القرون ، (بيروت ١٩٦٥) ص ٣٤١

التكابر هناك ^{٤٨} . كما عين المهدي عمالا على كل مركز من المراكز الهامة وحرس
 ان يكون عامل كل جهة من نفس المنطقة او من زعماء القبائل والبيوت الحاكمة فيها .
 فعين عبد الله احمد ابوسن عاملا على القشارف ^{٤٩} ، ومحمود هوسى زايد على الضبانية
 والنور ولد فقرا على تبارك الله وشير طه على الجيرة . وحرس للمهدي على تنبيهه
 عماله بالتعاون والتشاور فيما بينهم ^{٥٠} . كما عين المهدي الحسين عبد الواحد وعبد الله
 الطريفي والظاهر ثنائى والسنانى احمد امراء ، وجعل الحسين قدما عليهم وحدد
 مهمة هؤلاء في منشور بحث به اليوم بتاريخ ٢٢ يوليو ٨٤ (٢١ شوال ١٣٠١)
 وحصر مهامهم في النظر في احوال الناس واجراء الاحكام بينهم على ان يترك التنفيذ
 لروءساء الجهات ^{٥١} . وقد جرى المهدي في هذا التحيين على غرار الامراء الذين
 كونهم في امد زمان من عقلاء الناس واوكل اليهم مهمة النظر في الخلافات التي تنشأ بين
 كبار الانصار وتحديد احكام يصدونها . ويبدو ان مهمة هؤلاء الامراء كانت مهمة

-
- ٤٨ ابو سليم ، المرشد في نمره . ٦٥٤
 ٤٩ المصدر السابق ، نمره ٤٣٢
 ٥٠ مهدية ، فلم ، ١ / ١ / ١٠٠ ، ص ١٤
 ٥١ ابو سليم ، المرشد ، نمره ٣٦٤

استشارية غير محددة المعالم ما أدى الى صراع بين الامناء أنفسهم وبينهم وبين
بقية العمال .

وكان صراع الامراء والعمال فيما بينهم من القضايا التي شغلت دولة المهدي
من حد الى حد . وقد بدأت تلك الخلافات حول قضايا شخصية مثل تقسيم الغنائم
او تضارب الاختصاصات للعمال ولكنها تطورت في السنوات اللاحقة الى صراع كبير
بين اولاد البلد واولاد العرب فشغلت الدولة الفتية ، وقت من عضدها . ولعلنا
نذكر الخلاف الذي نشب بين الطريفي والحسين والذي استمر لفترة من الزمن حاول
خلالها المهدي ان يسوى الامر بالحسنى فلم يوفق . ويبدو ان الخلاف بينهما كان حول
تفسير مشكلة من المشاكل واجتهد كل منهما في تفسيرها بطريقة مختلفة من الآخر^{٥٢} . ثم
تطور الامر الى صراع حاد بينهما حتى انقسم الامناء الى فريقين : الحسين وبعده السعاني
من جانب والطريفي وتأتاي في الجانب الآخر وخيرا اضطر المهدي لحسم الخلاف
بعزل الحسين وجماعته وابقاء الطريفي^{٥٣} . ولعلنا نذكر ايضا الشكوى التي تقدم بها

٥٢ المهدي الى الظاهر تاتاي وبعده الله للطريفي ، ٧ ربيع اول ١٣٠٢ ، مهدي ،
صادر رقم ١١ ، ص ١٢ .

٥٣ المهدي الى محمد ارباب ، ٢ رمضان ١٣٠٢ ، مهدي ، صادر رقم ٢ ، ص ١٣

النور ولد فقرا ضد القواد الذين رفضوا التعاون معه مما اضطر ولد فقرا اخيرا الى ترك
 القلايات والاقامة في تبارك الله . وفي آخر عهد المهدي نشب صراع آخر بين ولد
 ارباب وعبد الله الطريفي . فرفع ولد ارباب الامر الى المهدي وطالب بنقل الطريفي
 وتأكيده امارته على المنطقة . فرد عليه المهدي منتقدا مسلكه وذكر له ان المسلمين
 يجب ان يتعاونوا ويكونوا كاليمنيين يشد بعضهم بعضا . كما نصحه بان يستفيد من وجود
 الطريفي وبغية الامراء لانهم ارسلوا اليه بغرض مساعدته وتقديم المعون له . وختم المهدي
 خطابه بتأكيد اماره ولد ارباب على المنطقة ^{٥٤} .

اهتم المهدي كذلك بموضوع الزكاة والغنمة لانهما يكونان للدخل الرئيسي للدولة
 التي ينوي اقامتها ويكونان المحور الذي ارتكزت عليه الادارة في تلك الدولة وحسرس
 المهدي على تحصيلي الشريعة الاسلامية في هذا الصدد . لذلك نجد ، بامر بجمع الزكاة حسب
 قوانين الشريعة الاسلامية ووضعها في بيت المال كما كتب منشورا الى محمد خليل عامله
 على الحمدة ^{٥٥} ، حدد فيه الزكاة الواجبة على المواشي والحبوب والذهب والفضة ،

٥٤ المصدر السابق

٥٥ تنقسم قبيلة رفاع الى قسمين : قسم جنوبي وهم رعاة ، وقسم شمالي مستقرون .
 وينقسم الجزء الجنوبي الى رفاع للشرق او ناس لهو جن والحمدة . ويقضى هو لا
 للرعاة معظم وقتهم في زمن اخريف في البطانة .

كما طلب من عامله هذا أن يتصل ببقية العمال في الجيرة ويخبرها من المراكز لتحميم هذه
الآراء^{٥٦} . وعين المهدي إبراهيم عدلان مندوبا على بيت المال من أمدرمان وأرسله
إلى عماله في منطقة القضايف - القلايات بغرض "خدمة الزكوات" وأرسلها إلى
العاصمة وطلب من عماله معاونة ذلك المندوب والانتقاد لأوامره^{٥٧} .

كذلك انشغل المهدي بموضوع الغنمة وطريقة جمعها وصرفها . فقد كتب
خطابا إلى ولد زايد أخبره فيه بأن تترك الغنمة للمجاهدين الذين لا حرفة لهم
إلا الجهاد وأن يؤخذ الخمس من الذين لهم حرفة يعودون إليها بعد انتهاء الجهاد
وأن يصرف للمجاهدين المنقطعين للجهاد من بيت المال^{٥٨} . بهذا يكون المهدي
قد وضع الأساس لتكوين جيش نظامي يعتمد على الدولة في معاشه ويبقى دائما على
أهبة القيام للجهاد . وقد تطور هذا التنظيم بشكل أكبر في عهد الخليفة .

ولكن مشكلة الغنائم لم تكن بذلك السهولة فهي من القضايا التي شغلت دولة

٥٦ مهدي ، فلم ، ١٠٠/١/١ ، ص ١٤

٥٧ المهدي إلى محمود عيسى زايد ، ٢ جمادى آخر ١٣٠٢ ، مهدي ، صادر رقم ١ ، ص ١٢

٥٨ المصدر السابق

المهدية وبرزت الى سطح الحياة فيها منذ الاثني عشر الاولى . فعند ايام المهدي الاولى
 في قدير وهو يحذر اصحابه من كثرة الاهتمام بالغنيمة لانها عرض زائل ومتاع الدنيسا
 الفانية . واستمر المهدي يرسل تحذيراته هذه باستمرار حتى وفاته . ولعله قد
 راعه تكالب انصاره على الغنائم واهتمامهم الشديد بها وهو الذي بنى دعوته على اساس
 روحي بحت وانطلق بها من واقع للصوفية والزهد . حقا لقد جمعت الثورة المهدية
 غنائم طائلة من انتصاراتها العديدة كانت مصدر اغراء للافراد بل ان بعض من انضم
 الى المهدي لم يكن " يجذب من نوره الساطع " لو لاقتناع يقيني بدعوته بقدر
 ما كان جريا وراء الاسلاب التي عادة ماتاني بها الحروب ، وجريا وراء الفرص المعيشية
 الجديدة التي قد يخلقها العهد الجديد . وكان المهدي يرى في نمو هذا التماسك
 الدنيوي الهكت ما يهدد قلب الدعوة ويصرفها عن تحقيق اهدافها ومراميها التي خطها
 لها . ولذلك نجده مافتي . ينهي عن عرض الدنيا الزائل وبيعها التي لا تساوي
 " جناح بعوضة " فكتب الى ولد زايد ، كما كتب الى عماله في الاقاليم المختلفة ،
 خطابات في هذا الصدد . كما امر المهدي بالتشديد على الانصار الذين يجسرون
 وراء الغنيمة وطلب ضبطهم وزجرهم واخذ شيعتهم واحالتهم الى بيت المال ^{٥٩} . وهكذا

نجد ان مشكلة الغنائم قد برزت الى سطح الحياة في الدولة المهدية وهي لم يعنى
على تنهيت اقدامها سوى بفتح اشهر .

علاقة المهدي بالحبشة

مثلاً سارت السياسة الداخلية لدولة المهدية في منطقة القضايف - القلايات
وفي الخطوط العامة التي رسمها المهدي لدولة المهدية سارت كذلك سياسته
المهدية تجاه الحبشة وفي الإطار العام الذي حدده المهدي للسياسة الخارجية وبما
ان منطقة القضايف - القلايات كانت نقطة الاحتكاك الرئيسة بين المهدية والحبشة
فلا بد من الحديث عن علاقة المهدي بامبراطورية الحبشة في هذه الفترة . لم تخرج
علاقة المهدي بالحبشة عن حدود علاقته بالبلدان الاخرى فلم تكن دعوة المهدية
قاصرة على السودان فحسب بل كانت تسعى الى نشر نفوذها خارج حدود السودان وفي
العالم الاسلامي بالذات . فالمهدي لم يكن يرى العالم دار سلام ودار حرب
فحسب كما هو معروف في الفكر الاسلامي السائد ، بل كان يراه على اساس مؤمنين
بالمهدية وغير مؤمنين بها . ولذلك اعتبر كل من لا يؤمن بالمهدية فهو كافر . وعلى
رأس هؤلاء الكفار كان يضع الاتراك ، فهم اعداء الدين الذين شوهوا وجهه

وخبروه • ولذلك كان هدف المهدي الاول في سياسته الخارجية هو مصر • لانها مقر
 هام للإتراك وربما لامعيتها الاستراتيجية ^{٦٠} • وقد حدد المهدي الاتجاه العام لسياسته
 الخارجية في نبوءة واضحة قال ان الرسول اخبره فيها قائلا " • • • فكما صليت بمسجد
 الابهون تصلي بمسجد الخرطوم ثم بمسجد بربر ثم بمسجد المدينة المنورة ثم بمسجد حبر ثم
 بمسجد العراق ثم بمسجد الكوفة • • • " ^{٦١} يوضح لنا اذا ان المهدي كان ينظر شمالا
 الى مصر وما بعدها ، وان الحبشة لم تكن تحتل جزءا من اهتمامه مثل اهتمامه بمصر
 والبلاد الاسلامية الاخرى • ولكن علاقة المهدي بالحبشة لا تخرج عن حدود الفكرة
 العامة للمهدية التي ترى ان انتشارها يجب ان يعم العالم ، وبذلك تصبح الحبشة
 دار حرب • ولم تغير مسيحية الحبشة في نظرة المهدي • ولكن الذي لشرقي علاقته
 بالحبشة هو دخول الحبشة الى جانب الحكومة المصرية ومساعدتها في اخلاء الحاميات
 على الحدود • بهذا أصبحت الحبشة في موقف عدائي مباشر مع دولة المهدية • وقد
 راي المهدي خطورة وجود دولة معادية له على حدوده الشرقية • فهي ان لسم
 تعرقل فكرة غزوه شمالا ستهدد سلامة الدولة في تلك المنطقة • ولذلك كتب المهدي

٦٠ شبكة ، عبر القرون ، ص ٣٣٧-٣٣٨

٦١ مهدية ، حيدر آباد ، ٥ / ٨ ، ورقة ٦

الى عماله في منطقة القصارف - القلابات بمراقبة الحبشة والتشديد عليها وتأمين الحدود .
 فكتب الى ولد زايد في ١٢ فبراير ١٨٨٥ (٢ جماد لخر ١٣٠٢) يقول له (٥٥٠) اما
 الحبشة فعما قليل سيهلك الله باقهم حيث انهم تعينت لحراستهم الانصار من هنا
 فليكن ابنكم محمد وما معه من الجيش راصدين لهم في الثغور التي تكون مرصدا لهم
 ...^{٦٢} وكتب كذلك الى عبد الله ابراهيم وبقيّة العمال في نفس المعنى^{٦٣} .

اذا لا تختلف نظرة المهدي الى الحبشة عن بقية البلاد المسلمة التي لانها من
 بالمهدية فلم يكن هناك مجال لاي التفاهة بينهما دون الايمان بالمهدية . وقد كسان
 المهدي واضحا في هذه الفكرة وهي تمثل الاساس الفكري لسياسته الخارجية . ولذلك
 عندما رد على طلب يوحنا لتوضيح امر المهدية ومراميها ، كتب اليه المهدي خطابه
 لا يختلف عن بقية الخطابات التي بعثها داخل وخارج السودان والتي يدور فيها
 لاقتناع المهدي . فكتب المهدي في ١٥ يونيو ١٨٨٥ (٢ رمضان ١٣٠٢) الى يوحنا
 مخاطبا اياه " بعظيم الحبشة " فلما كان يخاطب الولاة والعلوك بالقائهم الرسمية . ثم

٦٢ المهدي الى محمود عيسى زايد ، ٢ جماد لخر ١٣٠٢ ، مئديه صادر رقم ١ ،

ص ١٢

٦٣ المهدي الى عبد الله الطرقي والظاهر تاناي ، ١٢ رجب ١٣٠٢ ، مئديه صادر

رقم ١ ، ص ١٥

لأخذ يشرح له فن أسلوب رقيق فكرة المهدي وأنه مرسل من عند الله ليدعو لفكرة
 المهدي ثم ذكر له الملوك الذين قتلوا والدول التي انتهزت لأنها فقدت نور الإيمان
 ثم ذكره بانتصاراته على الأتراك والإنجليز • وهدده برفق من أن يصيره لن يختلف
 عنهم إذا هو لم يؤمن بدعوة المهدي • ثم شكره على مبادرته بطلب المكاتب ودعاه
 للإسلام والمهدي • وتحدثوا برأى المهدي عندما ذكر ليوحنا سلفه النجاشي ومعاونته
 للمسلمين الأوائل وكيف أكرم الله بأن حضر عهد الرسول • ثم طلب من يوحنا أن
 يكون كسلفه وأنهى خطابه بتهديد قاطع عندما قال (...) وأن أبيت إلا الاعراض فأنما
 عليك أنك وأنتم من تبعك ولا بد من وقوعك تحت يدينا •^{٦٤} ولعل خطاب المهدي
 هذا كان أقل حدة من خطابه الذي أرسله إلى الخديوي توفيق^{٦٥} •

وقد رد يوحنا على المهدي بخطاب لخرارسله إلى ولد أرباب ووجمل القلايات
 في ٢٤ سبتمبر ١٨٨٥ (١٤ الحجة ١٣٠٢) أي بعد وفاة المهدي بفترة طويلة • بدأ
 يوحنا خطابه برفض الطريقة التي خاطبه بها المهدي كما رفض دعوة المهدي له لدخول

٦٤ المهدي إلى يوحنا ، ٢ رمضان ١٣٠٢ ، مهديّة صادر رقم ٣ ، د ١

٦٥ منشورات ، جزء ٢ ، د ٢٧٧

الاسلام بل سخر واستهزأ من تلك الدعوة ، وتعرض لشخص المهدي بالاسماء . ثم دعى
يوحنا المهدي وولد ارباب لدخول المسيحية لانها في نظره هي الدين الصواب والحق^{١٦} .
وبهذا الخطاب يكن يوحنا قد وضع حاجزا فكريا بين الحبشة والمهدية واصبح هذا الحاجز
واحدا في الاسس التي قام عليها الصراع بين البلدين فاذا اضفنا الى هذا تحريشات
الحبشة الاولى ضد المهدية لانتفج لنا الخط الذي سارت عليه العلاقة بين البلدين .
لقد استلذت الثورة المهدية في السنوات الاربعة الاولى من تاريخها ان تفرض
سيطرتها على كل منطقة القضايف - الغلابات وان تقصد لبعض التنظيمات الادارية
والمشاكل الداخلية في محاولة لحلها . وبقيت علاقتها بالحبشة يخفيها الكثير من عناصر
العداء والتحريض . وتوفي المهدي ليأتي من بعده الخليفة وليتصدى لكل هذه القضايا
خلال الثلاثة عشر عاما التي حكم فيها السودان .

١٦ محمد ارباب الى الخليفة ، مهديّة ١٣/٢/٥١ . (بدون تاريخ)

الفصل الثاني

الفترة الاولى من حكم الخليفة

يونيه ١٨٨٥ - يناير ١٨٨٨ (رمضان ١٣٠٢ - ربيع ثاني ١٣٠٥ هـ)

يمكن ان نقسم هذه الفترة من حكم الخليفة الى عهدين ، الاول يبدأ بمفاة المهدي ويستد الى هجوم الحبشة على القلايات ومقتل محمد ارباب في ديسمبر ١٨٨٦ (ربيع ثاني ١٣٠٤) والثاني يشمل الفترة التي كان فيها يونس الدكيم قائدا على جيش المهدي في القلايات وينتهي بتعيين حمدان ابو شجة واستدعاء يونس الدكيم في يناير ١٨٨٨ (ربيع ثاني ١٣٠٥) وسنتعرض في كل عهد منها للمشاكل والقضايا الداخلية والخارجية التي واجهت دولة المهدي في تلك المنطقة .

امارة محمد ولد ارباب

١ - الاوضاع الداخلية

كانت المشكلة الداخلية الاولى التي واجهتها دولة المهدي في هذه المنطقة هي مشكلة الحدود بين العمالات وتحديد سلطات العمال المختلفين . ولم تكن هذه المشكلة متصورة على تلك المنطقة بل عرفت باقية انحاء الدولة الفتية ، على ان عمالة التضاريف عانت اكثر من غيرها من حيث الاضطراب المستمر في حدودها طوال عهد المهدي وذلك

لتغيير الظروف السياسية والاحتياجات للحربية والاستراتيجية والاقتصادية^١ .

لم تبرز مشاكل الحدود والصراعات بين العمال في عهد المهدي بشكل واضح ان
 طغت ظروف الثورة على كل اعتبارات تنظيمية اخرى . وعندما جاء عهد الخليفة كان من
 الضروري معالجة هذه القضايا بما تتطلبه مهام الدولة الجديدة . فقام الخليفة بتقسيم دولته
 الى عمالات تتطابق حيناً وتختلف حيناً لخرم مع التقسيمات التي وضعها الحكم التركي -
 العثماني . فقسم مديرية كسلا الى عمالتين هما عمالة طوكر و عمالة القضايف - القلايسات .
 وتشمل الاخيرة ثلاثة مراكز هامة هي القلايات والقضايف والجيرة^٢ . ثم قسم هذه
 العمالة الى قسمين وجعل محمد ولد ارباب عاملاً على منطقة القلايات وتولى عدد من
 العمال امر القضايف . ويبدو ان الخليفة قد لجأ الى ذلك الاجراء لتفادي الصراع
 الذي نشب بين عماله في تلك المنطقة ان كتب الى ولد ارباب قائلاً : " ... فقد
 حررنا لكم جواب وصورته يلحق هذا وذكر الجهات التي هي هي جهات القلايات لاغير
 فالان ورد لنا جواب من احبيب عبد الله الطريفي ومعه جواب محرر منكم للاذكور بانكم

Holt, The Mahdist State, P. 225

١

نجوم شقير ١ ص ٨١-٨٢

٢

الناظرين لامر القضاة والقلايات وكافة الجهات الشرقية . . . والحال بما حيينا . . .
 غلظت الجهات المذكورة بجوابنا هي جهة انقلابات خلصة لا غير اما جهة القضاة وراشد
 فهذه جهات مستقلة عن انقلابات لوحدها . . .^٣ ويبدو ان ولد ارباب لم يقتنع
 بتحديد الخليفة لسلطانه فكتب اليه ثلثة يطلب منه الاشراف على جهات القضاة
 وراشد بحجة انه يتوقع هجوما من الحبش . ولكن الخليفة لصر على رايه الاول^٤ وهذا
 ظلت الانقلابات في هذه الفترة منفصلة على القضاة .

اما القضاة فقد تولى ادارتها عدد من العمال في هذه الفترة . ففى
 بداية عهد الخليفة استمر عبد الله احمد ابو سن عاملا عليها ، ولكن بعد تمرد محمود
 عيسى زايد واعتقاله^٥ ، تشكك الخليفة في نوايا عبد الله فاتبع القضاة لمحمد عثمان
 ابن قرجة في كسلا ولكن هذا الوضع لم يستمر سوى بضعة اسابيع^٦ . ثم أصبح عوض

- ٣ الخليفة الى محمد ارباب ، ١ شوال ١٣٠٢ ، مهديّة ، صادر رقم ١١ ، ص ١٩-٢٠
 وكتب الخليفة الى عبد الله الطريفي رسالة في نفس المعنى .
 ٤ الخليفة الى محمد ارباب ٢٧ شوال ١٣٠٢ ، مهديّة ، صادر رقم ١١ ، ص ٣٤
 ٥ انظر ص ٤٤ من هذا الفصل عن تمرد ولد زايد
 ٦ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٨ ربيع اخر ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر ٦ ، ص ١٩٦
 الخليفة الى محمد عثمان ابن قرجه ، ١٨ ربيع اخر ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر ٩ ، ص ٢٠٧

الكريم كاموت حاملا على القضايف • وكان عثمان دقنه قد ارسله الى القضايف لاعتقال وليد زايد ، ومراقبة عبد الله ابوسن ^٧ • ويبدو ان كاموت لم يكن على وفاق مع قادة الانصار في القضايف ولذلك امره الخليفة بالعودة سريعا الى كسلا هو ومن معه من الانصار • وخلفه عبد الله الطريفي ، وقد كان حائزا على رضا الخليفة حتى ذلك الوقت ، ولكنه لم يستمر طويلا اذ ارتكب بعض المخالفات المالية مما ادى الى عزله واعتقاله ففى نوفمبر ١٨٨٦ (صفر ١٣٠٤) ^٨ • وجاء من بعده ادريس احمد وديدى • وفى عهده قام الخليفة بتوسيع حائلة القضايف بغض منطقة النور ولد فقرا اليها فى يناير ١٨٨٧ (ربيع ثانى ١٣٠٤) • على ان يكون ولد فقرا مندوبا عن ادريس وديدى على " ذمه الجهار " ^٩ اما المراكز الاخرى الصغيرة فكانت تنبج الى احد المركزين الكبيرين •

وحدث فى بداية عهد الخليفة تحول مركزي فى امانة بيت مال المسلمين • فقد عزل احمد سليمان ليمين بيت المال ^ب فى ٢٦ ابريل ١٨٨٦ (٢٢ رجب ١٣٠٣) وخلفه

٧ الخليفة الى عوض الكريم كاموت ، ١ جماد اول ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ٩ ، ص ٨-٢٥٧

٨ انظر ص ٥٤ من هذا الفصل

٩ الخليفة الى ادريس وديدى ، ١٧ ربيع ثانى ١٣٠٤ ، مهدية ، صادر ١١ ، ص ١١٥

ابراهيم عدلان • وتبع هذا التغيير ان تغيرت امانة بيت المال في القضايف فاوكلت الى محمد عثمان حاج خالد وذلك في يوليو ١٨٨٦ (شوال ١٣٠٣) • واستمر ولد حاج خالد في ذلك المنصب حتى خلفه العوضى^{١٠} المرضي في اواخر عام ١٨٨٦ (مطلع عام ١٣٠٤) • وقد شغل الخليفة بيت المال والمشاكل المتعلقة به ، ولعل اهتمامه على هذا الصدد لم يكن باقل من اهتمام المهدي •

وكان اول اجراء اتخذه للخليفة في امر بيت المال ان طلب من ابراهيم عدلان ان يستمر في المهمة التي ارسله لها المهدي في القضايف • وكانت تلك المهمة تتعلق بتنظيم احوال بيت المال وطريقة الصرف منه وتأكيد السلطة المركزية لبيت المال في

١٠ العوضى المرضي : اسمه الحقيقي العوضى المهدي • وعند قيام الثورة المهدية غير اسمه الى العوضى حتى لا يختلط مع محمد احمد المهدي • وقد ولد العوضى المرضي عام ١٨٣٠ • وفي اثناء العهد التركي - المصري عمل باشكاتما لمديرية النازكا • وهاجر الى امدرمان والحق بالمهدي بعد سقوط الخرطوم • واوكل اليه الخليفة القيسام بالعديد من الاعمال المالية حتى عين فيما بعد امينا لبيت مال العموم • وفي اواخر عهد الخليفة سجن وغنم وغل بالسجن حتى دخول الانجليز الى البلاد واطلق سراحه ، وبقي في عواضه ككلا حتى توفي عام ١٩١٠ م •

أمدريان^{١١} . ويبدو أن إبراهيم عدلان قد انجز مهمته بدقة إذ انتقل من القضايف
ليخلف أحمد سليمان في إمارة بيت مال العموم .

وأصدر الخليفة في بداية حكمه منشورا إلى أهالي القضايف بخصوص الغنائم والأعمال
الزراعية قال فيه " ولما كان لوان نزول الخيـث المبارك فقد رأينا من باب الرفق
بكم والشفقة عليكم والرفقة بعمالكم أن نرفع عنكم الخدمات المنصولة بالغنائم وحقوق الله غير
زكاة الفطر والمواشي (وذلك في شهرى شوال والقعدة لكي ننتبهوا في زراعة أطيانكم
ولصلاح شأنها وقد نبهنا على كافة الانصار والمندوبين لذلك لرفع أيديهم عنكم وتخليص
سبيلكم في هذين الشهرين . . . " ^{١٢} ويظهر من هذا المنشور اتجاه الخليفة الواقعى
حيال المشاكل المالية . ولعل الخليفة كان يرمى من وراء تلك السياسة المرنة الا تتأثر
منطقة القضايف اقتصاديا وهى من الشرابيين الهامة التى يعتمد عليها اقتصاد دولة المهديـة
ولذلك أثر أن يعطى الأهالى الفرصة لاستغلال موسم الأمطار حتى على حساب " الغنائم
وحقوق الله " .

١١ أحمد سليمان إلى الخليفة ، أيدون تاريخ ، مصرية ٢ / ٣٠ / ٦

١٢ الخليفة إلى أهالي القضايف ، ٢ شوال ١٣٠٢ ، مصرية ، صاوير ، رقم ٢ ، ص ٢٥

وكانت اكبر مشكلة واجهت الخليفة في تلك المنطقة في بداية عهده هي مشكلة محمود عيسى زايد وقبيلة الضبانية عموما . وهي تمثل فصلا من الحروب القليلة التي واجهها الخليفة في تلك الفترة . فبعد ان اعلى الخليفة كرسى السلطة طلب من كل القواد والعمال وزعماء القبائل ان يحضروا شخصا الى امدرمان لتقديم فروض الولاء والطاعة وذلك باعطاء البيعة له ليضمن على سلامة موقفه في الاقاليم ضد عواصف المعارضة التي اتخذت سحبها تتجمع في الاقط البعيدة . وكان الخليفة يوصي من وراء تلك المقابلة ، او المعاينة ، عدة اشياء . منها انه يستطيع بالمقابلة والحديث المباشر ان يعبر غور الاشخاص اكثر من المراسلات . ولعل نظرة الخليفة الثاقبة وقدرته على معرفة الاشخاص كانت احدى ميزات . ثانيا ، بحضور اولئك القواد والزعماء الى امدرمان يستطيع الخليفة ان يبقئهم معه اطول مدة ممكنة اذا ما احس بعدم ولا احد منهم ، ويصبحوا بذلك في حالة ضعف وهم على بعد من مراكز قوتهم واهلهم وحشيرتهم ، ويسهل بالتالي القضاء عليهم . وقد كانت تلك المقابلات التي تمت في بداية عهد الخليفة ، والتي أصبحت طابعا عاما لحكمه ، من العوامل التي استخدمها في معرفة انصاره والقضاة على معارضيه وكان الخليفة قد طلب فيمن طلب حضورهم الى امدرمان محمود عيسى زايد وعبد الله احمد ابوسن والظاهر ثنائي وعبد الله الطريفي ومحمد ارباب . وقد حضر

جميعهم الا ولد زايد فانه لم يستجب لدعوة الخليفة^{١٣} . وعندما احس الخليفة بابطائه كتب اليه *بإتفاق* رسالة في اواخر عام ١٨٨٥ (مطلع عام ١٣٠٣) يستحثه للحضور عائلا " . . . وكان سابقا قد تحررت لك الاوامر بالحضور ولم يقدر الله ذلك فقد ساءمحنان ظاهرا وباطنا فيما مضى . . . (فبادر الآن) بالحضور لمقابلتنا ولا تخشى من شيء فعليك امان الله ورسوله ومهديه . . . " ^{١٤} من الواضح ان الخليفة كان رقيقا في اسلوبه ويتسامحا في روحه وقد ملا رسالته هذه بالوعظ والتذكير بطاعة الله انه لم يكن نكسي مقدوره ان يفعل اكثر من ذلك وولد زايد بعيد عن قبضته مستغربين اهله وعشيرته . . . ولكن ولد زايد ظل في نباطقه مما قوى الشك في نفس الخليفة ولذلك راي ان يستعمل معه الحيلة ويمتدجره قبل الدخول معه في مواجهة حاسمة يكتب اليه رسالة اخرى يطلب منه ان ينضم الي عثمان دفنة اذا كان ذلك اهن عليه من الحضور الي امدردمان^{١٥} . ولكن ولد زايد لم يستجب حتى لهذه الدعوة . على ان الخليفة ظل يرسله بنفسه

١٣ الخليفة الي محمود عيسى زايد ، ١٤ القعدة ، ١٣ ، مهديّة ، صادر ، رقم ٦٥ ص ١٣

١٤ الخليفة الي محمود عيسى زايد ، ٢٨ محرم ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر ، رقم ٩ ، ص ٥٢

١٥ الخليفة الي محمود عيسى زايد ، ٣ صفر ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر ، رقم ١ ، ص ٦٢

الاسلوب الرقيق والروح المتسامحة فكتب له قائلا " . . . والحال يا حبيبنا انك من الاصحاب
 السابقين الذين يادروا باجاية داعي الله والانقياد للمهدية رغبة فيما عند الله تعالى وبذلك
 لازال سمعك مشكورا وصحتك ثابتة في قلبنا . . . وكان ايها الحبيب اكثرنا لك التحريـس
 عندنا بالحضور والمشاركة معنا واتخذ البيعة وكذلك حررنا لك بالتوجه لعثمان دقنة وما قدر الله
 لك حضور وظننا انكم اذا لم تكونوا مشغولون هناك بعلمحة دينية لكنكم حضرتم وقد سامحناكم
 في التأخير ولا حرج عليكم فيه . . . فبينما في حصول جوابنا هذا عندك . . . تحضر لطرفنا
 . . . " ١٦ .

ومما زاد من موقف ولد زايد تعقيدا حادثتان . الاولى انه تكاسل في احدى المرات
 في امر المهدية . فقد ترك حلة ابو سحنون وبها كميات كبيرة من الذرة دون حماية حتى
 هجم عليها الحبش واخذوا اغلب ما بها من مؤن . وكان محمد ابراهيم ضاوي - احد
 العمال في تلك المنطقة - قد نبه ولد زايد الى ضعف موقف الحلة ولكن ولد زايد لم
 يعر كلامه انتباهها ١٧ . وبالرغم من ان الخليفة لم يهتم لتلك الحادثة في وقتها ، الا

١٦ الخليفة اليمحمود عيسى زايد ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر رقم ٩٠٩ ، ص ١٦

١٧ محمد ابراهيم ضاوي الى الخليفة ، ٨ القعدة ١٣٠٢ ، مهديّة ، ١٣/٢/٣٢

لأنها ظلت عالقة بذهنه إذ ذكرها لولد زايد في إحدى خطاباته منهوالة من عدم
 التعاون في امر المهديّة^{١٨} . ثانيا ، ان ولد زايد قد دخل في صراع مع عمال
 المهديّة في تلك المنطقة وأهمهم عبد الله الطريفي والنور ولد فقرا^{١٩} . وعلى الرغم من
 ان ولد زايد قد كتب الى الخليفة متضررا من سلوكيهما نحوه ، وان الخليفة قد نهى
 طي عطيه بعدم التعرض لولد زايد ، الا ان الخليفة اعتبر ذلك الصراع نوعا من عدم
 تعاون ولد زايد ومظهرا من مظاهر تضجره من المهديّة . فكتب الى عبد الله الطريفي
 في نفس الوقت ان يلاحظ ولد زايد ويراقبه ان قال " . . . وطيب نفسك معه ولا
 تظهر له الا مايسره ومع ذلك كن ملاحظا عليه ومتى ماصدر منه شيء مخالف فيدنا به
 فورا . . . " ^{٢٠} .

لقد حاول الخليفة ان يضم ولد زايد الى صفه وان يكسبه بكل الاساليب ، ولكن يبدو
 ان ولد زايد لم يكن على يقين من امر المهديّة ، اولعله كان يشك في نوايا الخليفة ،

١٨ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٣ صفر ١٣٠٣ ، مهديّة صادر ، رقم ٢ ، ص ٦٢

١٩ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر رقم ، ص ٩٥

الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر رقم ٩ ، ص ١٦

٢٠ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٧ ربيع اول ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر رقم ٢٥ ص ١٢٥

لو ربما كان مفتونا بقوة قبيلته ولذلك كثر ان يظل محتفظا باستقلاله ، غير مدرك
 للتطورات التي أحدثتها المهدية في علاقتها بالقبائل ولصرار النظام الجديد بضرورة
 الولاة لسلطة مركزية واحدة ، كانت في بادئ الامر في يد المهدي ثم الخليفة من
 بعده . فكان لا بد للخليفة اذا ، من القضاء عليه .

نقام الخليفة بتكليف عبد الله الطريفي - وليس عوض الكريم كما تقول رواية
 الشهبانية السماوية - باعتقال ولد زايد . فسار الطريفي ومعه النور فقرا على رأس قوة من
 الانصار الى منطقة كبير شرق نهر عطبرة حيث كان ولد زايد يحسرك على الضفة الغربية
 مستعدا للحرب . واستطاع الطريفي ان يعتقل ولد زايد مستعملا الخدعة . فاخبر
 ولد زايد يانه مرسل من قبل الخليفة لمساعدته للمحافظة على الحدود الشرقية من غارات
 الحبشة ، واقسم لولد زايد على المصحف بحسن نواياه . فعده ولد زايد وقام بارجاع
 قبيلته الى مراعيها بعد ان كان قد جمعها للحرب . وفي اليوم التالي ذهب ولد زايد
 الى معسكر الانصار بدعوة من الطريفي وهناك تمت مبايعته واعتقاله وهو في قلعة من انصاره
 بعد مقاومة ضعيفة استشهد فيها ستة من الانصار . وقد صور الشاعر الحارثي كيف
 خدع ولد زايد ان قال في قصيدة له :

٢١ اكتب لى جواب يا صبحى لاتنعمانى ود زايد يقول ظاهر الامان غشائى

وتذهب رواية المضايقة الى ان ولد زايد وانصاره على قتلهم قد حاربوا ببطولة

وقاموا بعنف ٢٢ . ولكننا لانثق كثيرا فى صحة هذه الرواية لان احفاد ولد زايد ربما

حاولوا ان يظهروا اسلامهم على جانب من النجاعة . ولعل ولد زايد وابنه محمد قد

ابديا نوعا من المقاومة التى اخمدت فى حينها ٢٣ .

وكتب الخليفة الى الطريفى مبديا لارتياحه لاعتقال ولد زايد قاتليه ، " نعرف

الحبيب ان جوابكم الحارى لخباركم لنا بغبط محمود عمى زايد . . . ومن معه على

يدكم انتم والاحباب انصار الدين جماعتكم والنور فقرا وجماعته قد وصلنا ٢٤ وطلب

الخليفة فى الطريفى فى نفس الرسالة ان يعلم ولد زايد الى عوض الكريم كافوت ليقوم

هذا بدوره بتسليمه لعثمان دقة بدلا من لرساله الى اعدمان . ويبدو ان الخليفة -

راى من الافضل حفظ ولد زايد فى الشرق حتى ينتهى من صراعه الذى بدأ مع الاشراف

٢١ الطاهر عبد الكريم ، ود زايد ، ص ٧٥-٧٩

٢٢ المصدر السابق

٢٣ الخليفة الى عبد الله الطريفى ، ٢٦ ربيع لخر ١٣٠٣ ، مدييه ، صادره رقم ٩ ص ٢٤٨

٢٤ الخليفة الى عبد الله الطريفى ، ١٩ ربيع لخر ١٣٠٣ ، مدييه ، صادره رقم ٩ ، ص ٢٢٣

في ذلك الوقت خوفا من ان يستفيد الاشراف من وجود ولد زايد في امدرمان او يغتنم
 سو ظروف ذلك الصراع فيهرب عائدا الى اهلهم • وكان للدور الذي قام به ولد كافوت
 في ارسال ولد زايد الى دقنة ما جعل رواية الضمانات نعتقد خطأ في ان كافوت هو
 الذي قام باعتقال ولد زايد •

اما تاريخ اعتقال ولد زايد فغير محدد تماما • ولكن يبدو من الخطابات المتبادلة
 بين الخليفة وهاله انه اعتقل في منتصف يناير ١٨٨٦ (اوائل ربيع اخر ١٣٠٣) • ثم
 ارسل ولد زايد الى دقنة حيث احتفظ به اسيرا حتى سبتمبر ١٨٨٦ (اوائل عام ١٣٠٤)
 ثم ارسل الى امدرمان وسجن في " الساهر " •

وحتى بعد سجن ولد زايد فان الخليفة لم يياس تماما من كسبه الى جانبه •
 فكتب له رسالة عند حضوره الى سجن امدرمان ذكر له فيها ان ما حل به انما هو امر
 اراده الله وقدره ، وتضمن ان يكون ذلك من اسباب رشاده ولصلاحه • ثم اخبره انه
 مازال من المظننين بالخير ، وان حضوره الى البقعة لم يكن الا لصالحه • واخيرا اقترح
 عليه ان يحضر عائلته الى امدرمان ليقبوا معه لانه قد لفتير ليكون بجانب الخليفة •
 ٢٥

عندما بلاشك خطاب رقيق استعمل فيه الدهاء وكان بعيد النظر • ولعله عندما طلب من ولد زايد ان يحضر عائلته اراد ان يكسب جانبه • اوربما كان يرى من وراء ذلك الا الا ان يكون ولد زايد تحت سيطرته القاه هو واهله • وقد اورد الاستاذ الطاهر عبد الكريم رواية للضبانبة تقول ان ولد زايد هو الذي طلب من الخليفة ان يسمح له باحضار عائلته الى امدردمان لتقوم بخدمته في المعتقل ^{٢٦} • وهذا الرأي ضعيف اذ يستبعد ان يضع ولد زايد نفسه واهله تحت السيطرة المباشرة للخليفة وان يعيش على احسانات الخليفة • ثم نجد ان خطاب الخليفة السالف الذكر يكذب هذا الرأي ايضا • وعليه فقد قام ولد زايد بارسال ابنه محمدا لحضار عائلته وحمله الخليفة رسالة الى عمال المنطقة لمساعدته والاخذ بيده والاسراع في انجاز مهمته وهي • احضار كافة اهالي منازل الحبيب محمود عيسى زايد ونساؤه وعشيرته ^{٢٧} • ونفعل • تم جمع عائلة ولد زايد وارسالهم الى امدردمان •

اما قبيلة الضبانبة فقد بقيت بعد اعتقال زعيمها بلا رئيس خصوصا وان محمد ولد

٢٦ ولد زايد ، ص ٨٠

٢٧ الخليفة الى ادريس احمد ومحمد عثمان حاج خالد ، ٣٠ صفر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ص ٩٥

زايد كان معتقلا مع والده • ضد ذلك برز عوض الكريم عيسى زايد ، اح محمود ولد زايد وتقلد زعامة القبيلة ليجمع شملها حتى يحفظها من القشت والضباع • فجمع مابقى من افراد القبيلة وكتب للخليفة يطلب منه الانضمام الى الراية الزرقاء • كما طلب ان ترفع عن القبيلة " المعارضة " ووعده بالوقوف بجانب الهدية والجهاد في سبيل الله • فقبل الخليفة طلبه وعينه عاملا على قبيلته • وكتب الخليفة الى عبد الله الطريقي يخبره بتعيين عوض الكريم زايد وطلب منه ان يرفع عن الضيانية بقية العملاء وان يترك جمع الزكاة التي عوض الكريم كما اوصاه بمعاظمتهم بمقتضى العدل والانصاف ان " القصد راحة العباد وهو ايتهم الى الطريق الرشاد بالحكمة وطريق الرفق " • ^{٢٨} كما بعث بخطاب اخر الى كافة عربان الضيانية يحثهم فيه على نهذ الدنيا والعمل من اجل الفوز بالآخرة ثم اوصاهم قائلا " ... وعليكم امان الله ورسوله ومهديه عليهما السلام وتم اماننا فاطمئناوا وابقوا في محكم الذي انتم فيه الان واشتغلوا بمزارعكم وقضاة • حوائجكم وكونوا قايمين بامور دينكم على الوجه المطلوب في محلاتكم ولا تخشوا حصول

٢٨ الخليفة الى عوض الكريم عيسى زايد ، ١٩ جمادى الاولى ١٣٠٣ ، مئدية صادر

شيء * عليكم لافى انفسكم ولا فى اولادكم * ٢٩ لقد كان الامان الذى بعثه الخليفة الى الضيافة ضروريا لهم بعد سنوات الشدة التى مرت بهم وهم هائمون بعيدا عن ارضهم ، وكان ضروريا كذلك لان الخليفة كان يود ان يعود لقبيلة الضيافة استقرارها لتمامهم فى الانتاج الزراعى خصوصا بعد ان انكسرت شوكتها وحادت طائفة الى حظيرة المهديّة * ويبدو ان الخليفة كان يعول على أهمية الضيافة الاقتصادية وقد أوضح رايه هذا فى رسالة بعث^{بها} الى ادريس احمد ومحمد عثمان خالد يقول فيها ان للضيافة منفعة كبيرة لبيت المال ، ولذلك ارجاهما خيرا بها * ٣٠ اذا ، فقد استطاع الخليفة ان يعود قبيلة الضيافة الى حظيرة المهديّة ، مستشعرا أهميتها الاقتصادية ، ولكن يبدو ان إعادة الضيافة هذه كانت لها تكاليف باهظة فى الارواح والاموال * ويمكننا ان نقول ان سلك الخليفة تجاه الضيافة كان سلكا مرنا متسامحا * وهذا يعطينا صورة لسياسة الخليفة تجاه القبائل المعارضة * ويمكننا ان نقول ايضا ، ان الخليفة لم يكن يقضى

٢٩ الخليفة الى كافة عربان الضيافة ، ٢٥ جمادى الاخر ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٢٩

ص ٣٥٦

٣٠ الخليفة الى ادريس احمد ومحمد عثمان حاج خالد ، ٤ ربيع الاخر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر

رقم ١١ ، ص ١٠٦

على سائر ضيمه الا بعد ان يصير الى ذلك اضطرارا .

اما عبد الله احمد ابوسن فقد اختلف مصيره عن مصير ولد زاید . فقد حدث عند اعتقال ولد زاید ان اعتقل عبد الله ونج به في السجن اعتقادا بانه كان مشاركا له في النسيان . ولكن تبين للخليفة ان عبد الله لا دور له في احداث ولد زاید ولذلك كتب الى كافوت باخلاء سبيله وعدم التعرض له وطلب ارساله الى امدردان^{٣١} كما كتب الى عبد الله مبينا له ان هناك خلطا قد حدث مما ادى الى اعتقاله ، وطلب منه ان يبرز خطابه هذا الى عمال المهدية في المنطقة لاختلاء سبيله نورا^{٣٢} . والتفت الخليفة بعد ذلك للقضاء على عبد الله الطريفي عامله في القضاة . وبدأ الخليفة يشك في سلوك الطريفي بعد اعتقال ولد زاید والاستيلاء على ثروته . وحل ثروة ولد زاید كانت من اسباب القضاء عليه . فطلب الخليفة الى الطريفي ان يتقسم اموال ولد زاید الى اخماس وان يرسل اربعة منها الى عثمان دقنة والباقي الى امدردان . ويبدو ان الطريفي لم يكن دقيقا في تصريف تلك المهمة العالية . فطلب منه الخليفة

٣١ الخليفة الى عوض الكريم كافوت ، ٢٨ ربيع لخر ١٣٠٤ ، مدية صادر رقم ٩ ، ص ٢٥١

٣٢ الخليفة الى عبد الله احمد ابوسن ، ٨ جماد اولى ١٣٠٣ ، مدية صادر رقم ٩ ، ص ٢٦٧

الا يقدم بأى أعمال مالية أخرى خاصة اموال ولد زايد وارسل محمد عثمان حاج خالد ليتولى كل الاعمال المالية المتعلقة بهوت المال والغنائم وطلب من الطريفي ان يطيعه وان يقدم له ان مساعدة ممكنة ^{٣٣} .

ويبدو ان مهمة ولد حاج خالد هي ان يقوم بجرد عام لبوت المال ثم يبعد عنه الطريفي كلياً . ولكن الطريفي لم يقبل ان تسلب منه سلطات بوت المال وهي مصدر نفوذ كبير له ، ولذلك لم يتعاون مع محمد عثمان حاج خالد ولم يقدم له المساعدة المطلوبة . فنشب بينهما خلاف من نوع تلك الخلافات انتهى بخر بها تاريخ المهدية ^{٣٤} . وحسباً لذلك النزاع قام الخليفة بإرسال العوض العرضى بخرض استلام اموال ولد زايد من الطريفي ، وان يكون المسؤؤل عن بوت المال على ان يحاوله محمد عثمان خالد فى تلك المهمة . ويبدو ان الطريفي قد تردد فى قبول الوضع الاخير كذلك . فبعث له الخليفة بخطاب حاد اللهجة قال فيه " سبى التحرير لكم بتسليم كافة ما هو بطرفكم من حقوق

٣٣ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ١ شوال ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٢٠

٣٤ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٩ شوال ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٦

بيت المال الى الحبيب العوض المرضى واكدنا عليكم بابرارنا نتمكم وتنظيف طرفكم .. فينبغي
لكم ان تسعوا في ذلك وتسلموا انفسكم من الحساب في يوم العاب ...^{٣٥}

وعلم الخليفة ببعض التصرفات غير المقبولة من جانب عبد الله الطريفي والتي ادت
في نهاية الامر الى اعتقاله . فقد كتب محمد عثمان حاج خالد الى الخليفة يخبره ان
عبد الله الطريفي ولخيه محمد يقومان " بامور مغايرة " للدين ومخالفات مالية . ويبدو
ان الطريفي كان قد استبقى لديه بعض اموال بيت المال ولم يسلمها لمحمد عثمان خالد .
كذلك قام الطريفي بالتعدي على محمد عثمان خالد الذي قام بايلاغ الامر للخليفة ، الذي
اعتبرها مخالفة دينية . كما تاخر الطريفي في ارسال سرية الطاهر تاتاي عندما طلب
منه الخليفة ذلك ، فاضطر الخليفة الى مخاطبته بعنف في هذا الشأن^{٣٦} . ونتيجة
لمخالفات الطريفي المتكررة قرر الخليفة ان يحسم الامر ، فارسل ادريس احمد وديسدي
الى القضاة ليقيم باعتقال الطريفي ونجريدته من امواله وجهاديته . وفعلوا ذهب

٣٥ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٢ القعدة ١٣٠٣ ، مودية صادر رقم ١١ ، ص ٥٦

٣٦ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٣ محرم ١٣٠٤ ، مودية صادر رقم ١١ ، ص ٦٠٨

ادريس الى القصارف واعتقل عبد الله الطريفي مع اخيه محمد ومعهما امين بيت المال
يوسف، طاهر، وقام بوضعهم في الحديد واولدعهم السجن • وتبين لادريس ان عبد
الله الطريفي قد استولى على كميات من الذهب وانه قام برسالة مع اخيه احمد الطريفي
الى " السافل " • ثم قام ادريس بالاستيلاء على كل جنودية الطريفي فالتجسس
بلا قوة حربية وبلا مال ^{٣٧} • وراى الخليفة انه من الصواب ارسال الطريفي وجماعته
الى امدردمان حتى يتفرغ ادريس لتنظيم الجيادية فارسل الطريفي مع جماعته الى البقعة
بصحبه النقيب حمزه صديق يعقوب • فوصلوا اخر فبراير عام ١٨٨٧ (اوائسل جماد
اخر ١٣٠٤) ^{٣٨} • وبهذا يكون الخليفة قد تمكن من القضاء على عامله من القصارف
بعد سراع استمر قرابة الحزم • ثم أصبح ادريس وديدي عملا على القصارف خلفا
للمطريفي •

تبرز لنا من الحادثة الماضية بعض الحقائق عن الاوضاع الداخلية في دولة المهدية
نشير منها الى حقيقتين • الاولى ان الخنائم واعمال بيت المال عمولا كانت في كثير من

٣٧ الخليفة الى ادريس احمد • ١٤ صفر ١٣٠٤ ، مدية صادر رقم ١١ ، ص ٨٤

٣٨ الخليفة الى ادريس احمد • ٢ جماد اخر ١٣٠٤ ، مدية صادر رقم ١١ ، ص ١٣٨

الاحيان مصدر افراء للعمال في الاماكن النائية ، وان بعض اولئك العمال قد كون لنفسه من ثروة شخصية • فهل يرجع تصرف اولئك العمال الى بعدهم عن مراقبة السلطة المركزية ، ام يرجع لعدم تعمق روح المهدية فيهم ، ونظرتهم لها على انها سلطة سرعان ماتزول ، ولذلك قاموا باثراء انفسهم لمواجهة اى تحولات قد تطرأ في المستقبل ؟ لحل ذلك راجع الى كلا السببين • وقد شهدت منطقة القضايف عدة اثلة من تلك المخالفات المالية لانها كانت من اثنى مناطق الدولة للمهدية • والحقيقة الثانية هي ان الخليفة كان يجد صعوبة في القضاء على العمال الخارجيين عن سلطته في المناطق البعيدة خاصة اذا كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي وهم وسط جهاد يتسم وحاشيتهم واقاربهم الذين يحيطون بهم • نفى مثل هذه الاحوال كان الخليفة يلجأ اما الى انجيله بان يستدرج العامل الى اعدوان او يرسل له من يباغته ويعتقله ويجرده من مصادره قوته •

(ب) الصراع مع الحبشة

قبل التعرف لتفاصيل هذا الصراع واحداثه لنقف قليلا عند الاسس النظرية التي

ارتكزت عليها سياسة الخليفة الخارجية •

اعتنق الخليفة فكرة الجهاد كما حددتها المهدى ونادى بها • والجهاد ، سواء كان على النطاق المحلى او الخارجى ، كما ن من الافكار الاساسية فى دعوة المهدية • وقد رأى الخليفة فى استمرار فكرة الجهاد استمرارا لدعوة المهدية وقوة دافعة لها • لذلك تميزت سياسة الخليفة الخارجية باستمرار فكرة الجهاد والفتح ونشر الدعوة المهدية •^{٣٩} فكانت حروب الخليفة مع تحبشة تعتمد على هذا الاساس الفلسفى الدائم • ولكن كانت لتلك الحروب دولفع اخرى • اولها ان الخليفة كان يريد ان يشغل جيوشه ، التى تكونت خلال الصراع ضد الحكم التركى - المصرى ، بالغزوات والحروب والاعمال الحربية الاخرى • فبالخليفة لم يكن يريد ان تبقى تلك الجيوش فى حالة هدوء مما قد يدفع بها للتمرد على الاهالى فى المناطق المختلفة خصوصا المناطق الزراعية ، او ربما تدفع حالة الاستقرار والتعطل بعض مواد تلك الجيوش للانفراد بالسلطة لانفسهم • ثانيا ، كانت الخائف من الاسباب التى دفعت بعدد من القبائل للانضواء تحت راية المهدية ، ولذلك فان استمرار الحروب من اجل الغنيمة سيجعل تلك القبائل تحتفظ بولائهم المهدية

٣٩ مكي شبكة ، عبر القرون ، ص ٣٢٥

مستعدة للجهاد في البوغازات الدائمة . فلم يكن في مقدور الخليفة ان يحتفظ بجيش كبير مثل جيش بوغاز القلايات ، وان يقوم بمدّه بالغذاء والكساء فكان لابد لذلك الجيش من الغزو حتى يعيش نفسه . ثالثا ، فان منطقة القلايات لها اهميتها الخاصة . لها اهمية تجارية فالاستيلاء عليها والدفاع عنها كان امرا ضروريا لئلا يعود بفوائد تجارية كما يضمن السيطرة على سائر التجارة نفسها . ولها اهمية استراتيجية كذلك . فتغر القلايات تغر حصين على حدود الحبشة وحفظ السودان يفضى بحفظه مسدودا^{٤٠} . لذلك كانت حروب الخليفة مع الحبشة لها اسبابها ودوافعها ولم تكن حروب بلا هدف ولا مبرر يقول ثيوبولد ويكره محمد فوه اد شكرى^{٤١} . وسنحاول في هذا الفصل وفي الفصول القادمة ان نثبت صحة تلك الاهداف ونرى مدى قوتها كمحرك لسياسة الخليفة تجاه الحبشة^{٤٢} .

٤٠ نعوم شقير ، ص ١٠٦٠

٤١ A.B. Theobald, The Mahdia, A History of the Anglo-Egyptian Sudan 1881-1899 (London 1951), P. 151.

محمد فوه اد شكرى ، مصر والسودان ، تاريخ وحدة وان ي النيل للسياسة في القرن

التاسع عشر (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣) ، ص ٣٨٩ .

٤٢ حدد هولت ثلاثة مراحل لسياسة الخليفة الخارجية هي :

(١) ١٨٨٥-١٨٨٩ - وهي المرحلة التي حدثت فيها اهم حروب الخليفة مع الحبشة

(٢) ١٨٨٩-١٨٩٦ - فترة ركود في السياسة الحربية على اثر هزيمة عبد الرحمن النجومي

في توشكى .

بقيت قضية أخيرة في علاقة الخليفة بالحبشة وهي الخلاصة بحديث الرسول (ص) عن الحبش الذي يقول فيه " اتركوا الحبش ما تركوكم " . فإذا كان الرسول قد دعى الى ترك الحبش فكيف توفى دولة المهديّة بين الحديث الشريف وحرمانها مع الحبشة ؟ يبدو ان هذا التناقض قد شغل ذهن الخليفة ومن حوله من المفكرين . لذلك نجد ان اسماعيل عبد القادر الكردفاني قد تصدى لهذه القضية في شيء من التفصيل في كتابه " الطراز المنقوش ببتري قتل يوحنا ملك الحبش " ^{٤٣} . يبدأ الكردفاني مناقشته بالحديث عن دولة الحبشة فيقول انها من الامم القديمة ذات اليأس والقوة في الحرب . وعندما ظهر الرسول كان مهتما بنشر الدعوة في الجزيرة العربية وكان هذا هو هدفه الاول . ولذلك لم يشأ ان يشغل انصاره بحرب مع دولة قوية مثل الحبشة قد تشغلهم عن تحقيق الزدات الاساسي . لذلك امر المسلمين بترك الحبش والاشتغال بمقاتلة غيرهم ، ويسرى

== (٢) ١٨٩٦-١٨٩٨ - بداية تدهور الخليفة وتغول الدول الاوروبية على دولة المهديّة ثم نهاية الخليفة .

P.H. Holt, The Sudanese Mahdī and the outside world, Bulliteen of S.O.A.S., Vol., XXI, 1958.

الكردياني انه قد جاز ترك مقاومة الحبش في ذلك الزمان والاستغفال بغيرهم • وبما ان ترك قتال الحبش امر جائز فيصبح قتالهم جائزا كذلك اذا لم يقتلوا عند حدودهم مثل ماكانوا من قبل • ويستمر الكردياني ليقول ان الاثراك قد انشغلوا بالشهوات وتركوا القيام بشعائر الاسلام واعملوا امر الجهاد واعملوا للتغور حتى تمكن الكفار - اي الحبش - من دخول ارض الاسلام وملكوا ضواحيها ووضعوا النواقيص على الكنائس وامتدت يدهم حتى القلايات وغيرها من بلاد المسلمين وجعلوا عليها عسالا من عندهم والزموا اهلها بدفع الجزية (القبر) كل راس سنة ^{٤٤} • ثم ان ملكهم يوحنا قد اتخذ سياسة معادية للاسلام ، فقد بث جنوده على سواحل البحر الاحمر واخذ من الاثراك عدة مدن • وبصفه الكردياني بانهم من اشد ملوك الحبشة بغضا للاسلام حتى انه كان يتشائم من مقابلة المسلم فمضى الصباح ، كما قام بارسال جنوده الى القلايات حيث قاموا بقتل المسلمين ولذلك يرى الكردياني ان محاربة الحبش ليست امرا جائزا فحسب ، بل هي واجب ، وان الحديث الشريف " اتركوا الحبش ماتركوكم " لم يعد قائما بعد ^{٤٥} • وعليه فان حرب المهدية

٤٤ الطراز المنقوش ، ص ٢٩-٣٢

٤٥ المصدر السابق ، ص ٣٣-٣٦

مع الحبشة لهذا السبب سياسية واقتصادية ودينية . فكيف بدأ ذلك الصراع في عهد
ال خليفة وكيف تطور ؟

بعد وفاة المهدي وصل رد يوحنا على الخطاب الذي ارسله له المهدي والذي
تحدثت عنه في الفصل السابق (د) . وقد بحث يوحنا مع ذلك السيد
بخطاب الى الخليفة ، ويبدو انه لم يختلف في محتواه عن الخطاب الذي بعثه الى
المهدي . فلا غرابة اذا حدث رد فعل عنيف عند الخليفة اذ نجده يشير الى خطاب
يوحنا بقوله " . . . ورد الجوابين من الكافر النقيس . . . ونقول الله اكبر على كل من كسر
وتعمر وفجر (و) الله ولي الذين امنوا . . . والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت . . . " ^{٤٦}
وكتب الى عبد الله الصريفي معلقا على نفس الخطاب قائلا " . . . اما في خصوص عدو
الله ريس الحبشة فان خطاه وصل وطم ماعو منظوبا عليه خذله الله واناله ولا تخشوا
من جهته فانه مطرود مخذول . . . " ^{٤٧} هكذا كانت بداية العلاقة بين الخليفة

٤٦ الخليفة الى محمد ارباب ، ١٢ محرم ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٩ ، ص ١٧

٤٧ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ١٢ محرم ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٩ ، ص —

والحبشة ، علاقة يكتنفها العداوة ويحفها العنف • وقد انعكس هذا الاتجاه في الحروب المتكررة التي شغلت حيزا كبيرا من عهد الخليفة •

في نوفمبر من عام ١٨٨٥ (صفر ١٣٠٣) طلب محمد ارباب اذنا من الخليفة بالهجوم على كنيسة الحبش تقع على مسافة يوم من القلايات وقد كان الحبش اتخذوها نقطة لشن الغارات على حدود دولة المهدية • فرد عليه الخليفة مؤيدا ، وناشده الا يدع الحبش " يفسدوا ديار الاسلام وينهبوا المسلمين " ، وسمح له بتخريب الكنيسة اذا كان ذلك ممكنا • ثم حذره من التصرع في الهجوم على الحبش لانهم متحصنين فسي اماكنهم ، واكد عليه ان يكون دائما في حالة تأهب واستعداد^{٤٨} • ولعل الخليفة لم يكن متأكدا من قوة ولد ارباب ومن مقدراته على مصادمة الجيوش ، ولعله قد خشى كذلك من وقوع هزيمة حربية على جيشه وهو مازال في بداية حكمه قد تعود بنتائج وخيمة ولذلك كانت بولا رسالته الى ولد ارباب مزيجا من الحماس والترهيب •

٤٨ الخليفة الى محمد ارباب ، ٢١ صفر ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٩ ، عن ٦٢ - لعل هذه هي كنيسة قبيلة الكوالمة التي قام الحاج علي ولد سالم من قبيلة الكوالمة بالهجوم عليها • واتخذ راس عدار ذلك الهجوم سببا في هجومه على القلايات • راجع

وفي يناير من العام الجديد (ربيع ثاني ١٢٠٣) قام صالح شفا ومعه احد قواد
الحبشة ويدعى دهناشوم ، بالهجوم على القلايات . ويبدو ان الهجوم كان ضعيفا اذ
تمكن الانصار من صدده وقتلوا خمسة من اتباع دهناشوم ، وتمكن صالح شفا من الفرار
مع عدد من اتباعه . وقام الانصار باقتناء اثرهم وقصوا على قلوبهم الدائرة ، اما صالح
شفا فقد استطاع ان ينجو بنفسه ^{٤٩} . وقام الحبش كذلك بهجوم مماثل على جهة
تبارك الله استطاع للنور فقرا من صدده وغنم عددا وانرا من نساء الحبش ^{٥٠} . ثم سار
النور فقرا على راس الف مقاتل لتحزير جبهة القلايات لانها اكثر تعرضا لهجمات
الحبش ، خصوصا وان الاخبار قد بدأت تتواتر عن استعداد الراس عدار للهجوم
عليها . كما انضم احمد البصيري على محمد ارباب كذلك . وفي يونيو ١٨٨٦ (رمضان
١٢٠٣) قام ولد ارباب بالهجوم على جبل غورة بالحبشة ، وقد لاقى هذه الحملة
مصاب شتى مثل غورة الطريق ، وانضمام بعض من الجبيرة في تلك المنطقة السي

٤٩ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ١ جماد اول ١٢٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٩ ، ١٥٦
٥٠ الخليفة الى النور فقرا ، ١ جماد اول ١٢٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٥

جانب الحبش على عكس ما كان يتوقع الانصار . ولكن بالرغم من تلك الصعوبات استطاع محمد ارباب ان يهزم الحبش وان يحتل جبل غورة ، وعين احمد البصيري وكلاطيه^{٥١} . وكان ذلك اول امتداد لدولة المهديّة داخل حدود الحبشة .

وكان منتصف عام ١٨٨٦ (اواخر ١٣٠٣) هو فصل الامطار الذي لا يستطيع فيه

الحبش القيام باى اعمال حربية . فاعتمد الخليفة هذه الفرصة ، ان كان عليما

بطبيعة الاحوال الجغرافية ، وطلب من فواده في المنطقة ان يحضروا الى امدرمان^{٥٢} .

— ولعله كان يرمى من تلك الزيارة ان يقف بدقة على تحركات الحبش وامكانية صعود

جيوشه ضد هجومهم الذي كان يتوقع ان يشنه الحبش بعد نهاية موسم الامطار .

فكتب الى محمد ارباب والنور فقرا يطلب منهما اليه^{٥٣} . وفعلوا ثم ذلك اللقاء

وعادا الى مكانهما في نوفمبر ١٨٨٦ (صفر ١٣٠٤) . وقد استطاع الخليفة خلال

تلك الزيارة ان يقف على ضعف الحاميات على الحدود الحبشية ، لانه ما ان عاد ولـ

٥١ الخليفة الى محمد ارباب، ٢٧ شوال ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٥

٥٢ الخليفة الى محمد ارباب، ٢٧ شوال ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٤

٥٣ الخليفة الى النور فقرا ، ٨ القعدة ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٨

أرباب والنور فقرا حتى اتبعهما بخطاب إلى أدریس أحمد ویدی عامل القضاة يطلب منه أن يمد يد العون لهما لانهما مكلفان بسد البوغازات وحراستها^{٥٤} . وكان الخليفة يتوقع أن يقوم الحبش بهجوم على بوغازات المهدية بعد نهاية فصل الخريف ففعلا كان توقعه صحيحا .

بدأ الحبش هجومهم على المناطق الأكثر قربا اليهم ، فهاجموا أولا على جبهة القدمات . فحق أدریس أحمد لملاقاتهم ، ولكن تحركات الحبش في تلك المنطقة لم تكن الا مجرد مناوشات فلم تحدث معارك رئيسية^{٥٥} . ثم قام الحبش بالهجوم على جبل غورة وقتلوا أحمد البصيري عامل المهدية هناك واعادوا سيطرتهم على الجبل^{٥٦} . وفي يناير ١٨٨٢ (ربيع لخر ١٣٠٤) شن الحبش هجومهم الرئيسي على جبهتي تبارك الله والقلايات . وكان السبب المباشر الذي يبرر به الحبش ذلك الهجوم

٥٤ الخليفة إلى أدریس أحمد ، ١٠ صفر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٨٢

٥٥ الخليفة إلى محمد عثمان حاج خالد ، ٢٣ ربيع لخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١ ص ١١٢

٥٦ الخليفة إلى محمد أرباب ، ٢٥ ربيع لخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١١٩

نشر ان احد امراء ولد ارباب ويدعى الحاج على ولد سالم قد قام بالهجوم على كتيسة
 حوتة وخربوها^{٥٧} . فارسل الراس عدار ، حاكم مقاطعة امهرة ، خطابا الي ولد
 ارباب يطلب فيه تسليم الحاج على وكان ذلك الخطاب قد ارسل بايعاز من صالح
 شنقا والفكي المصوى عبد الرحمن^{٥٨} . وعندما رفض ولد ارباب تسليمه قام عدار
 بالهجوم عليه . وكان هجوم الحبش من اتجاهين : الاول بقيادة عجيل الحمرائسي
 على النورفقا ، والثاني بقيادة الراس عدار على القلابات^{٥٩} .

كان هجوم الحبش على جبهة النور فقا هجوما مفاجئا وسبب ذلك ان الطلائع
 التي كان يرسلها الانصار لاكتشاف لخبار الاعداء كانت تأتيهم بمعلومات خاطئة
 " خيانة منهم لانهم من قبائل الحموان والشبانية " والتي لم تكن لها مصلحة كبيرة

op.cit,
 slatin, /pp. 404-405

٥٧ نعم شقير ، ص ١٠٥٩ ،

٥٨ الفكي مصوى عبد الرحمن من خريجي الازهر . عاد الي السودان في العهد التركي - المصري
 حيث انشأ حلقة للدراس في كركوج . وعندما سمح بالمهدي هاجر اليه في جبل قدير فعينه المهدي
 على سنا . ولكنه لم يكن عميق الايمان بالمهدي فذهب الي الخرطوم وبعد سقوط الخرطوم
 التحق بالمهدي للمرة الثانية ثم هرب الي الحبشة واصبح من ضمن العناصر التي نهجهم دولة
 المشدية على الحدود . وتزوج الشيخ المصوى من الحبشة . وفي عام ١٨٩٠ ذهب الي مصر . وبعد
 الغزو الانجليزي - المصري رجع الي السودان وذهب الي حلة العيلفون وحاول ان يجمع حوله بعض
 الاتباع ويخلق اضطرابا للحكومة فاعتقلته السلطات البريطانية . راجع نعم شقير ، ص ١٢٤
 وما بعدها op.cit,
 Ten Years Captivity / pp. 217-8

٥٩ يقول نعم شقير (ص ١٠٥٩) ان راس عدار هو الذي قام بالهجوم على النورفقا

في المهديّة • ففي أول تشرين الثاني ١٨٨٢ (أول ربيع آخر ١٣٠٤) قام عجيل بمباغنة النور فقرا بجيش يتكون من حرمان وضبانة وشكرية وهندندرة وتكاير ، وقتلوا نحوًا من خمسمائة من الانصار واستولوا على الدليم وضموا ما به من نساء واموال^{٦٠} • ولكن ولد فقرا استطاع ان ينجو بنفسه • وبعد ايام وصلته نجدة بقيادة ادريس احمد وحامد على وشايب احمد ولكنها وصلت بعد ان تمكن الجيش من العودة الى بلادهم ليستعدوا لهجوم آخر^{٦١} • وعاد ادريس بجيشه لانه لا يستطيع ان يدافع عن البوشار ويترك القضايف دون حماية ، خصوصا وان هجوم الجيش الاخير قد احدث نوعا من الفوضى في المنطقة • ولذلك اثر ادريس ان يتحصن في التومات • ثم قام عجيل بالزحف نحو التومات ، وفي طريقه هاجم قافلة كانت محملة بالذرة في طريقها لكسلا

== ولكن الوثائق لم تثبت هذا الرأي • ولعل شقيرا وقع في هذا الخطأ لان الهجوم على القلايات كان بعد الهجوم على النور فقرا ولذلك استنتج ان الهجومان قام بهما شخص واحد •

٦٠ الخليفة الى حمدان ابى عنبة ، ٣٠ ربيع آخر ١٣٠٤ ، مهديّة ، ٢٩٢/٤/٢٥/١

٦١ الخليفة الى ادريس احمد ، ٣٠ ربيع آخر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٢١

رسار عجيل حتى صار على مسافة يوم من التومات • فقام بتقسيم جماعته الى مجموعتين ،
 جزء يهجم على التومات والجزء الاخر على محمد عثمان خالد الذي كان متحصنا في
 دوكه • وكان الخليفة قد امر ادريس احمد بعدم الهجوم على الحصن وطلب منه ان
 يتحصن في مكانه حتى تصله النجدات • ولعل الخليفة كان يخشى من ان اي
 هجوم غير مركز من جانب الانصار قد يؤدي الى نتائج ضارة • وقد عبر الخليفة
 عن قلقه للموقف الحرجي في تلك المنطقة في خطاب الى حمدان ابن عجمه • اما
 عجيل فلم يتم باي هجوم اخر على الانصار ، ولعله خشى من تحصينات الانصار ، فامر
 ان يعيش في الارض نهبا وسلبا دون الحاجة الى الدخول في معركة حربية ^{٦٢} .

وفي اليوم التالي لهزيمة النور فترا قلم الراس عدار ، على راس ستين الف مقاتل ،
 بالهجوم على محمد ارباب الذي كان كل جيشه لا يتعدى ستة الف مقاتل ولعل هذه

٦٢ الخليفة الى ادريس احمد ، ٢١ جماد اول ١٣٠٤ ، مبدية صادر رقم ١١ ، ص ٩١
 الخليفة الى ادريس احمد ، ٦ جماد لآخر ١٣٠٤ ، مبدية صادر رقم ١١ ، ص ٩٤

الأرقام التي ذكرها سلاطين مبالغ فيها ولكنها تعكس التفوق العددي لجيش العباس
 عدار على انصار محمد ارباب^{٦٣} . وتمكن راس عدار من هزيمة الانصار ، بل اوشك
 ان يبعد الحامية عن اخرها لولا ان عددا قليلا بقيادة محمد ارباب تمكنوا من
 الانسحاب لى مكان يبعد يوم ونصف من القلايات . واحتل الجيش القلايات
 وحرقوها وشنعوا كل ما بها من مال وعقار . ثم قاموا بمطاردة قلول الانصار وقتلوا
 محمد ارباب وذلك فى اواخر يناير ١٨٨٢ (اخر ربيع اخر ١٣٠٤)^{٦٤} .

ونتيجة لتلك الحروب فقد اصبحت كل المنطقة من " حد القلايات لى القصارف
 فى اضراب شديد " ، بل ان بعض القبائل هناك تطلعت للانضمام للجيش^{٦٥} .
 اما الجيش فقد عادوا الى بلادهم بعد تلك الانتصارات ولم يوالوا زحفهم . وربما
 فعلوا ذلك لىستعدوا لهجوم اخر لىعلموا اكثر بما حققوه من نصر . اما قلول

Slatin, op.cit, pp. 404-5

٦٣

٦٤ الخليفة لى الريمى احمد ، ١٥ جماد اول ، ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٥٠

٦٥ الخليفة لى حمدان لى عتيد ، ٣٠ ربيع لخر ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/٢٥/٤/٢٩٢

الانصار في القلايات فقد التفتوا حول محمد ارياب سكر الذي كان وكيلًا لمحمد ولد ارياب .

احدثت تلك الهزائم رد فعل عنيف عند الخليفة ، وربما خشي من ان يواصل الحبش زحفهم على كل منطقة القصارف - القلايات . فقام باتخاذ اجراءات حاسمة وسريعة تمثلت اولاً في ارسال يونس الدكهم نورا الى المنطقة ، وثانياً استدعاء حمدان ابي غنجه من جبال النوبة على وجه السرعة . وهكذا انتهت فترة محمد ارياب في القلايات والحركة المهدية تمر بايام من لصعب ايامها هناك فمسيرها معلق وفوايدها بعضهم قتل وبعضهم متحصن في مكانه في انتظار النجدة . وتحرك يونس الدكهم الى القلايات ليويدا هذه في تلك المنطقة .

٦٦

عهد يونس الدكهم

تمتد فترة يونس الدكهم في منطقة القصارف - القلايات الى عام وبعض عام هزرت

٦٦ يونس الدكهم من قبيلة النعايشة وهو ابن عم الخليفة . وقد لمع اسمه عندما عين عاملاً على الجزيرة والقلايات . ثم نقل عاملاً على دنقلا لفترة وجيزة .

خلالها ثلاثة جوانب جدية بالدراسة • أولا مسألة تعيين يونس على القلايات ومسيره
من امدردمان الى القلايات ، ثانيا معالجته للقضايا الداخلية التي واجهته ، ثالثا
حروباته مع الحبشة •

(١) الاوضاع الداخلية

ترجع صلة يونس الدكيم بمنطقة القصارف - القلايات الى مطلع عام ١٨٨٦ وذلك
عندما عينه الخليفة عاملا عميما على الجزيرة والقصارف - القلايات • وقد وقع اختيار
الخليفة على يونس الدكيم لصلة القرابة التي تربطه به ولثقتهم فيه فهو مفضى سره •
وكان تعيين يونس للجزيرة تعيينا سياسيا لان الجزيرة من المناطق الهامة التي يريد

وعند ثانيا اليينا عام ١٨٩٥ بدلا من محمد خالد زقل • واشترك مع
الخليفة في راتعة ام دوسكرات حيث وجد مختبئا بين القتلى فاسر • ونقل
الى مصر حيث توفي هناك •

٦٧ الخليفة الى يونس الدكيم ، ١٨ جمادى اول ١٣٠٢ ، مهدية صادر رقم ٥ ،

الخليفة ان يوطد نفوذه فيها • وامضى يونس العام الاول الذي امتد حتى يناير ١٨٨٢ (جماد اول ١٣٠٤) وهو مقيم بالجزيرة دون ان يمارس سلطانه على المناطق الاخرى من عمالته مع احتفاظه بالنفوذ الاسي فقط • ولم تكن الفترة السبى قضاها يونس الدكيم في الجزيرة ناجحة تماما وذلك لانه اطلق العنان لجيشه لسلب ونهب الاهالي مما ادى الى ارتفاع اسعار الذرة • فاضطر الخليفة الى استدعائه بكامل جيشه الى امدرمان حيث بقي بها الى ان ذهب الى القلايات^{٦٨} • ولعل الخليفة رأى في القلايات مكانا مناسباً يبعد فيه يونس الدكيم بجيشه ريثما يصل حمدان ابي غنجة الذي كان قد استدعى من كردغان على عجل •

لخذ يونس الدكيم يستعد للذهاب للقلايات وذلك بعد ان وصلت اخبار هزيمة الانصار في تلك المنطقة • وفي اواخر ديسمبر ١٨٨٦ (اواخر ربيع اخر ١٣٠٤) خرجت راياته للعرضة خارج امدرمان استعدادا للسفر • وكتب الخليفة الى عدد

من عماله لينضموا الى يونس الدكيم في الطريق ومن هؤلاء احمد المكاشفي
والمرضى ابوروف ومحمد حامد جفون ومحمد علي ابو ضلع ، كما كتب بذلك الى
" كافة الانصار على طريق جيش يونس الدكيم " ^{٦٩} . روى يوم ٣١ يناير / ١٨٨٢
(٦ جماد اول ١٣٠٤) تحرك يونس بجيشه من الشاطئ * الشرقي للنهل الازرق متجها
الى القلايات ^{٧٠} . واكد الخليفة على يونس ان يدير بجيشه بطريق الشرق ، كما
كتب الى اهالي الجزيرة بذلك قائلا * . . . وقد تأكد على عموم الانصار السير
بالطريق المذكور وحذرناهم من القطوع الى الهوى لانه ليس بطريق لهم ولما انكم
من جملة الانصار فليزم ان كل من تجدونه قطع الى الهوى من الجيش المذكور تضبطوه
وتشعبوه وتوصلوه الينا لاجل مجازاته لاسيما اذا كان معه عائلته . . . ^{٧١} . كما
أكد على يونس الدكيم عدم التمرد على اهالي الجزيرة والتزام طريق للشرق في

٦٩ هناك مجموعة من الخطابات من الخليفة الى عماله وكافة انصار الدين :

مهديّة ، ص ١١ رقم ١٢٤ ، من ص : ١٢٤ الى ص ١٢٨

٧٠ الخليفة الى حمدان ابي غنجة ، جماد اول ١٣٠٤ ، مهديّة ، ٢٩٧ / ٤ / ٢٥ / ١

٧١ الخليفة الى اهالي الجزيرة ، ٥ جماد اول ١٣٠٤ ، مهديّة ص ١١ رقم ١١ ، ص ١٢٢

٧٢ مسيره • والسبب في اختيار طريق الشرق هو ان الخليفة كان يخشى من ان يحدث هور ذلك الجيش في قلب الجزيرة نوعا من الفوضى من جراء النهب والسلب • والسبب الثاني انه كان يخشى من ان يستقر عدد من المجاهدين في الجزيرة اثناء عورهم بنا ويتركوا امر الجهاد ايثارا لحياة الاستقرار والاخذ بالزراعة ولذلك فقد شدد على ضبط الانتصار الذين لهم عوائل لانهم اكثر ميلا من غيرهم لحياة الاستقرار • وهذا يكشف لنا بعض الجوانب المتعلقة بالمهدية • اولها ان حماس الجهاد اخذ يفتر عند بعض الانعام وانهم اثروا حياة الاستقرار في المناطق الزراعية خصوصا وان اغلب جيش يونس الدكهم من اهالي غرب السودان الذين ربما خرجوا من اماكنهم جريا وراء الحياة المستقرة • ولم تقتصر ظاهرة الهروب من الجهاد على اولاد العرب فحسب بل امتدت لتشمل الجهادية • فقد لاحظ الخليفة ان عددا من الجهادية قد تسلل من جيش يونس وعادوا الى ادمرمان لاخذ عوائلهم • وقد انتزع الخليفة

لوجود تلك الظاهرة بين الجهادية وهم عصب الجيش المقاتل • فكتب الى يونس
ليزجر مقادير الجهادية على افعالهم وان يندرجهم في ان " من يتعاون في ضياع
نفر واحد او يفدق لابد ارساله لطرفنا بالشعبه لاجل مجازاته " • كما أكد على
٧٣
يونس لهجيم الجهادية صباح مساء للنعام عليهم •

تحرك يونس الى القلايات وكان معه من القواد عيسى دفع الله وأبراهيم الرفيعة
وادم ابوش وهنون النيل ومحمد النور مدرع وعبد الباقي خليفة الذي كان معه لا عن
الجبخانة • وفي يوم ٨ فبراير ٨٧ (١٤ جماد اول ١٣٠٤) وصلت المربة الى ابي
حرار حيث عبرت النيل الى الضفة الغربية بعد ان تجاوزت جزءا كبيرا من الجزيرة •
ومن هناك ارسل يونس رجلا يدعى يوسف ابوتفه عاملا على الحملة لاستنفارهم
٧٤
للجهاد • وفي يوم ١٤ مارس (١٨ جماد اخر) وصلت الحملة الى ود البتول

-
- ١٣ الخليفة الى يونس الدكهم ، ٢٧ جماد اول ١٣٠٤ ، مبدية صادر رقم ١١ ، د ١٣٦
١٤ الخليفة الى يونس الدكهم ، ٢٤ جماد اخر ١٣٠٤ ، مبدية صادر رقم ١١ ، د ١٦٣

حيث مكنت بهذا إلى ٢٩ فبراير (٤ رجب) • وفي ود البتول تقابل يونس مع محمد عثمان خالد حيث استنفهم منه يونس عن احوال المنطقة وتحركات الحبشيين ثم ارجعه يونس قبل الحملة ليعمل على جمع الغلال لمؤناتها • وكان يونس قد رفض اقتراحا لمحمد عثمان خالد بارسال جزء من السرية وذلك لتطمين الاهالي وتهدأتهم • فقد فضل يونس عدم تفريق الجيش ورأى ان يعبر كله دفعة واحدة ولكنه وعد محمد عثمان خالد بان يسرع في مسيرته • وبما ان ود البتول كانت تحت لخر نقطة هامة قبل الوصول الى القلايات فقد قام يونس بالكشف على كل الاسلحة حيث اكتشف ان بعض الصواريخ التي كان يحملها غير الصالحة للاستعمال فارسل له الخليفة مهندسا قام باصلاحها • ومن ود البتول قامت للحملة تجد في المسير دون توقف حتى وصلت القلايات يوم ١ تموز ١٨٨٢ (١٥ رجب ١٣٠٤) •

٧٥

من الواضح ان الحملة كانت تسير ببطء • وذلك لكثرة عدها وعدد العوائل التي تعبط بها • فقد كانت الحملة تتألف من تسعة عشر الف مجاهد منهم حوالي

الفين من الجهادية وسبعة عشر الفا من اولاد العرب ، يمدونهم من المواصلات اثنا

عشر الفا^{٧٦} . وفي الطريق الحقيم الخليفة بستة الاف آخرين بقيادة لم بمدور.

حمدون ومحمد احمد ابو ام نضال . وفي الغلايات انضم على الحملة بعض جماعة

ادريس احمد ومحمد ارباب حتى بلغ مجموع الحملة عند اول تعداد لها في يونيو

(رمضان) واحدا وثلاثين الفا^{٧٧} . وكان الجهادية وبعض اولاد العرب مسلحين

بالبنادق واغلبها من الرامنتين وبعضها من " ابو روحين " . وكان مع الحملة

بعض الاسلحة الاخرى مثل المدافع الجبلية وغيرها ، وكذلك كميات من الجبخانه

بلغت نحو مائتين صندوقا وعشرة صناديق جبخانه خاصة بالصواريخ^{٧٨} .

وكان الجهادية يمثلون اهم عنصر في جيش يونس لذلك لم يل وبالنسبة لكل

٧٦ : كشف ، ١ شعبان ١٣٠٤ هـ ، مؤدية ١ / ٢ / ٢٠٥٠

٧٧ : الخليفة اليونس الدكيم ، ٢ رمضان ١٣٠٤ هـ ، مؤدية صادر رقم ١١ ، ٢٠٠٠

٧٨ : كشف ، ٢١ رمضان ١٣٠٤ هـ ، مؤدية ١ / ٢٢ / ٢٠٥٠ - ١٠٦

جيوش المهدية • فقد كانوا جنوداً نظاميين يجيدون فن القتال واستعمال الاسلحة النارية • ولذلك اعطاهم الخليفة اهتماماً خاصاً • فقد طلب من يونس ان يضع الجهادية في مستوى واحد مع اولاد العرب من حملة الاسلحة النارية^{٧٨} • ولكن الجهادية احتجوا على دمجهم مع اولاد العرب فوافق الخليفة فصلهم عنهم واوصى يونساً بحسن معاملتهم واعتبارهم من " جملة الانتصار " كما غير الخليفة قراره الاول القاضي بعدم اصطحاب الجهادية لندائهم ، فسمح لهم باخذ موائيلهم بغية ارضائهم^{٨٠} • وبالرغم من اهتمام الخليفة الخاص بالجهادية الا انه لم يكن كبير الثقة فيهم ولعل هذا راجع لتعدد حوادث الفرار من بينهم ولعدم تآكده عن تغلغل روح المهدية في نفوسهم • ولذلك نجده يوصي يونساً بان يقسم الجهادية الى مجموعات من خمسين شخصاً وان يضع على رأس كل مجموعة قائداً من اولاد العرب وذلك " لكي يسهموا ضبطهم بهذه الكيفية والتفهم عليهم " بل طلب من يونس الا يسلم الاسلحة النارية

٧٩ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٧ جماد اول ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٣٦

٨٠ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٨ جماد اخر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٦٣

الا للجهادية الذين يشق فيهم • فنجده يوصيه قائلا " والجهادية
 ليس مدركة حقيقتهم عندنا لان بعضهم من اهل تلودي والبعض من خلافه فتتجس
 في احوالهم فالذي ترى فيه الصداقة لامانع من ان تسلموه سلاح رامتون والسدي
 لاتثقوا به فالاتسلم اليه شئى^{٨١} ولذلك ماقتى" الخليفة يكرر للجهادية
 نعمائهم بالامثال والطاعة فيقول لهم مثلا " فنيغنى ان تحلوا همكم زيادة في امور
 الدين وتقوموا باقتال امر ونهى حبيبنا المكرم يونس الدكيم ولا تخرجوا من اثارته^{٨٢}
 لنا امر كل العمال بمنطقة القصارف .. القلايات بتسليم كل الجهادية الذين معهم
 الى يونس الدكيم • وكان يرمى من وراء ذلك التجميع الى وضع الجهادية تحت قيادة
 يشق فيها • ويرى كذلك الى تقوية جبهة القلايات وجعلها تجمعا لجيوشه •

وكانت مشاكل الحدود بين العمالات والصراعات بين العمال المختلفين من
 المشاكل الاولى التي تصدى الخليفة لحلها • وقد جاء الصراع بين يونس الدكيم

٨١ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٨ شعبان ١٣٠٤ ، مودية صادر رقم ١١ ، ص ١٦٠

٨٢ الخليفة الى يونس الدكيم ، ١٤ رجب ١٣٠٤ ، مودية صادر رقم ١١ ، ص ١٧٠

وأي قرعة حول الحدود بين عمالتيهما على رأس تلك المشاكل • فكتب الخليفة إلى يونس قائلا * ... وصار على مقتضى هذا جميع من مغرب بحرانية فهو تبعاً لجهتكم من أي الاجناس كان ومن جهة شرق البحر المذكور تبعاً للحبيب محمد عثمان أي قرعة ... (وهذا) كيلا يحصل استحوار على الحدود المذكورة وينشأ من ذلك تشويش ...^{٨٣} ولكن بالرغم من هذا التحديد المقاطع فإن علاقة القاتدين لسم تخل من " تشويش " وتعدى على حدود بعضهما البعض مما اضطر الخليفة لتكرار قراره في عدة خطابات •

ونشب خلاف مشابه بين ادريس احمد عامل القومات ومحمد ولد على عامل القوارف • فقام يونس بتحديد حدود لكل عامل فاصبحت القوارف تشمل راشد وعصار، وتبع القومات بقية المنطقة المحيطة بهذا حتى حدود الحشة^{٨٤} • وقد وافق ذلك

٨٣. الخليفة اليربونس الدكيم ، ١٩ جمادى آخر ١٣٠٤ ، مهادية صادر رقم (١١) ، ص ١٥٢

٨٤. يونس الدكيم إلى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهادية ، (١/٢٢/٢٢) ، ص ١٢

الموضع هو في نفس الخليفة لأنه يرى أن بوغار الثومات هام ويحتاج إلى شخص
يؤثق به مثل إدريس أحمد .

واهتم الخليفة اهتماما كبيرا بإعادة الاستقرار للمنطقة بعد الفوضى التي لحقت
بها من جراء غارات الحبش . فرأى أن أول عوامل الاستقرار هو تركيز كل السلطات
في يد يونس الدكيم وتأكيد رئاسته^{عليه} المنطقة . فكتب إلى " كافة عباد الله المؤمنين
بجهة القذارف " وإلى جميع الحملاء يطلب منهم طاعة يونس الدكيم والامتثال لأوامره^{٨٥} .
وعندما حدثت بعض الاحتكاكات بين يونس وبقية العمال لم يتردد الخليفة من
استدعائهم إلى إمدمان . فقد شكوا يونس من محمد أرباب سكر واتهمه بالخيانة
وعدم الصدق . فطلبه الخليفة إليه ، ولكن يونس رأى بقاءه في القلايات خوفا
من أن يؤذى استدعاؤه ، إلى ثورة أهله للتكفير فينضموا إلى صالح شنقا . رأى
يونس أن يرسل سكر بعد هطول الأمطار وامتلاء الأنهر والوديان إذ يصعب حينئذ

٥٠ الخليفة إلى المؤمنين بالقذارف ، ٢٩ رمضان ١٣٠١ ، مهدية صادر رقم

تحرك القبائل^{٨٦} • وتضر محمد عثمان خالد من معاملة يونس له وتعدى جماعته
 طيم • فكذب الخليفة الى يونس بأن يحسن معاملة محمد عثمان • ولكن عندما تازمت
 الامور بينهم لم يتردد الخليفة من استنساخ محمد عثمان خالد الى المدرمان^{٨٧} •
 ولم تخل علاقة يونس وادريس احمد من شوائب • فقد ظل ادريس يتفقل بين التومات
 والقلابات حسب رغبة يونس • ودائما ما يوافق الخليفة على رغبات يونس دون اعتبار
 الى تطلعات العمال • وقد حدث ان اخذ ادريس يهتم بجمع اموال بيت المال
 حسب الاوامر التي رحلته من ابراهيم عدلان • ولكن يونس الدكيم لم يقبل ذلك
 التدخل من امين بيت المال في شئون عمالته • فكذب الخليفة متهما ادريس احمد
 بأنه أصبح يهتم بامور الدنيا دون الالتفات الى احوال جهته العسكرية • ولكن
 الخليفة ادرك ما يرى اليه يونس فكذب الى ادريس قائلا " ان يونس الدكيم هو

١. يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٢ / ٣ / ٧٥
 ٢. الخليفة الى يونس الدكيم ، ٨ رمضان ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٢٠٨

عامل الجهة ... وانتم تبعه وجهاتكم الى الآن في اضطراب فامركم متسلسلي
 بهما الحبيب يونس لا يولد عدلان وما يفعله معكم المذكور لقبولهم واصرفوا النظر
 عن محررات ولد عدلان فان امر الدين مقدم على امر الدنيا ...^{٨٨} هكذا
 اهتم الخليفة بتأكيد رئاسة يونس الذكور على المنطقة وتركيز كل السلطات في يده
 وابعاد اي عامل لا ينسجم معه .

واهتم الخليفة كذلك بتطمين الاهالي ليعودوا الى قراهم واعمالهم وذلك رغبة
 منه في إعادة الاستقرار الى المنطقة . فكتب الى يونس شارحا له هذه السياسة
 قائلا " ... حينما انك متوجه الى جنت القلابات وما والاها كالقصارف وراشد
 وغيرها من الاماكن المواتية لتلك الجهات ومعلوم عندك ان سكان النجفة المذكورين
 اغلبهم تشتتوا وتحوشوا نظرا للخراب الحاصل من جهة اعداء الله الحبيشة لابلدهم
 من التامين والتطمين المستقروا باماكنهم ويلتبهوا في دينهم ويرجعوا بما كانوا فيه

٨٨ الخليفة الي لدريس احمد ، ١٩ رمضان ١٣٠٤ هـ ، مودية صادر رقم ١١ ،

من المروء وتترك الديار خالية فيلزم باحبينا بمحصولك الى تلك الجهات ان تجرى
تأمين كل من ترى منه تحوش وتحرر لهم المكاتبات اللازمة بالامان والرجوع الى الاوطان
كما كانوا سابقا^{٨٩} . كما طلب منه بمجرد وصوله ان يحرر الامانات الكافية للاهلالي
وان يوجههم الى الرجوع الى مساكنهم والعمل بالزراعة في الوقت الذي تتوقف فيه
العطيات الحربية كما راي الخليفة ان توضع كل قبيلة مع بعضها لعل هذا يساعد
على استقرار القبائل وبفائدة^{٩٠} . وبالرغم من هذه السياسة التسامحة فقد واجهت
المهدية ضعفا في ولاء بعض القبائل وبالذات التكاير والضبانية والشكرية حتى ان
يونس الدكيم وصفهم بانهم " خائنين من غير استثناء " ولاحية لهم ولا معاملة
لهم ولا مع الله بل مع اعداءه^{٩١} . فما هو موقف المهدي في تلك القبائل

٨٩ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢١ جمادى الاخر ١٣٠٤ مهدي صادر رقم ١١ ، ص ٢٥٦

٩٠ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ مهدي ، ١ / ٢٢ / ٣ / ٧١

٩١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢١ رجب ١٣٠٤ ، مهدي ، ١ / ٢٢ / ٣ / ٣١

في عهد يونس الدكيم ؟

اما التكاير فقد كانوا موزعين في ولايتهم ينظرون حونا عبر الحدود الى صالح
شفا والى ايام انتعاش التجارة مع الحبشة وحينا لخرالى سطوة المهدية وقوتها .
وقد كان وجود محمد ارياب بلاد سببا في بقاء بعضهم على ولائه للمهدية لانه
منهم . ولذلك عين الخليفة بعد محمد ارياب سكر خلفا لمحمد ارياب حتى لا يتعبد
التكاير ويتسربوا عبر الحدود الى الحبشة ^{٩٢} .

اما قبيلة الضيانية فقد تبينا شأنها في بداية عهد الخليفة عندما سجن زعيمها
محمود عيسى زايد مما ادى الى تشتتها حتى سمح لها الخليفة بالاستقرار تحت
زعامة عوض الكريم عيسى زايد . وفي عهد يونس الدكيم اتهم عوض الكريم بظلم
الاهالي فقرر الخليفة عزله وولى بدلا عنه حامد مروس ، وارسل الى الضيانية لرفع
ضلامانهم ضد عوض الكريم الى يونس . فقام يونس الدكيم باستدعاء عوض الكريم
والقى به في السجن ووضعه في الحديد وشد عليه حتى يعترف بما ارتكب من

مظالم • وبقي عوض الكريم في السجن مدة ثلاثة اشهر دون ان ترد الى يونس
 الى شكوى ضده • فاطلق صراحه ووجد ما زال على استعداد لخدمة المهديسة •
 كما قام بمد يونس بكريات من الذرة كان يخترنها لجيشه • وقام يونس من جانبها
 بمخالفة اوامر الخليفة فعزل حامد مروس واعاد تعيين عوض الكريم وذلك لانه راي ان
 وجود حامد قد زاد القبيلة " زعزعة واضطرابا " ^{٩٣} وكان الخليفة قد قرر اعادة
 الضمانية المحتجزين في امدرام الى اوطانهم بعد ان عاهدوه على الوقوف
 بجانب المهديسة ووعدها بان يقوموا بان يقوموا بترصد اخبار الحبش على الحدود •
 ولكننا نجد ان الخليفة لم يأخذ بوعدهم كاملا فارسل الى يونس ليكون على حذر
 منهم وان يتأكد من انهم مهتمين بالتجسس على الحبش • كما طلب من يونس
 ان يرسل دائما معهم اشخاصا موثوق بهم ليراقبهم عبر الحدود حتى لا ينقلبوا عن
 وعدهم وينضموا الى الحبش على الجانب الاخر من الحدود ^{٩٤} • ولعل هذا الوضع
 يعكس مفتحي عدم الثقة بين الخليفة والضمانية • ولكن رغبة الخليفة في خلق جو

٣. يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٢ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهديسة ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٩١

٤. الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢١ الحجة ١٣٠٤ ، مهديسة ، ١ / ٢٢ / ٩ / ٤١

من الاستقرار في المنطقة ، وأمل في الاستفادة من الضمانية في عمليات التجسس وفي
الزراعة فقد أطلق صراح زعمائهم وبعث لهم بالامان الكافي .

لما قبيلة الشكرية فقد اهتم بها الخليفة اهتماما خاصا ، ادراكا منه باهميتها
في تلك المنطقة . وحتى قبل ان يصل يونس الدكيم الى القلايات كان لخليفة قسده
كتب اليه يوصيه خيرا بعيد الله ابو سن وبأخيه " عبد الله " وقبيلة الشكرية عامة ،
كما طلب منه ان يحسن مخاطبتهم بما يشرح صدورهم . وحرصا من الخليفة للتأكد
من ولاء الشكرية فقد طلب حضور كل القبيلة الى امدرمان ، وكتب لهم بذلك
في يوليو ١٨٨٢ (شوال ١٣٠٤)^{٩٥} ويبدو ان طلب الخليفة هذا قد جاء نتيجة لان
الشكرية قد اهتموا مسألة القيام للجهاد كلية واهتموا بامور الدنيا من زراعة ورعي وتجارة .
وكانت هذه نقطة الافتراق بين الشكرية والمهدية . فكان لابد من استدعاء الشكرية
الى امدرمان لازالة ذلك التناقض . وعلى الرغم من مجيء الشكرية الى البقعة ومعاودة
الخليفة للقيام بامر الجهاد ، الا ان الخليفة رأى ان يعيدهم الى اماكنهم وان يوزعهم

٥ : الخليفة الى قبيلة الشكرية ، ٢٥ شوال ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٢٠

الى ثلاثة مناطق متفرقة ليضعف من شأنهم ، فطلب من شكرية " العاديين " الحضور الى امدرمان " بكلياتهم " . اما الشكرية على نهر عطبرة فامرهم ان ينضموا على كسلا . واما شكرية " الاعداد " فقد خيرهم بين كسلا والبقعة ، وامهلهم حتى اخر اكتوبر ١٨٨٢ (صفر ١٣٠٥) لتنفيذ هذا الاتفاق ، ومن يوجد منهم بعد ذلك مخلا به فسيقع عليه الجزاء الشديد " بالتغليم او ما هو اشد " . وعبر الخليفة عن عدم ثقته بالشكرية بوصفه لهم " انهم لصحاب حيل " ، ولذلك طلب من يونس ان " يرفع عنهم كل العمل " ليلا يتعجبوا في ما بعد بان جماعتكم (تعدوا عليهم) .

وقد اتخذ الخليفة قراره هذا بشأن الشكرية لاعتقاده بانهم ليسوا اهل تربية وراسم خالي من جهة الدين وحيلهم كثيرة^{٩٦} على ان قبيلة الشكرية لم تستجيب كلها لدعوة الخليفة فقد هرب جزء منها الى الحبشة وناصبوا دولة المهدية العداء .

فقام الخليفة باعتقال بعض زعمائهم الذين كانوا في امدرمان وادعاهم السجن وبلغ عدد هم حوالي مائتين وعلى راسهم عوض الكريم احمد ابوسن الذي توفي في نفس

٩٦ . الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٥ الحجة ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٢٦٢

العام وهو بالسجن ولحق به عدد من زعماء قبيلته^{٩٨} . وبهذا ينتهي فصل هام من
علاقة دولة المهدية بقبيلة الشكرية .

ولا تختلف قبيلة الشكرية عن قبيلة الضباطة في موقفها من المهدية . فكلا القبيلتين
قد قاستا كثيرا من القسوة والحرارة . فاذا كان موقف المهدية من اكبر قبيلتين في
المنطقة هو ما سلف ذكره فلا بد لنا ان نستنتج ان المهدية لم تضرب جذورا اجتماعية
وفكرية عميقة في المنطقة بل ظل وجودها يعتمد الى حد كبير على وضعها العسكري
وقوتها . ولكن لابد لنا ان نشير كذلك الى ان تلك القبائل قد وقعت من المهدية
موقفا جعل علاقتها مع المهدية لا تقوم الا على القوة والعنف . ولعل هذا راجع الى
ان تلك القبائل لم تكن تريد التغيير الذي كانت تدعو له الحركة المهدية . فقد كانت
تلك القبائل تتخضع بوضع اجتماعي وسياسي واقتصادي متنازحت ظل الحكم التركي -
الحصري مما جعلها تنشب به . ولذلك لم تكن «هاضمتها» للتركة مجرد نزوة من زعمائها
بل لارتباط مصالحها مع النظام الماضي .

التصراع مع الحبشة

لم يشأ الخليفة ان يدخل في حرب مع الحبشة منذ بداية الامر خصوصا وان المنطقة مضطربة والقبائل مزعزعة الولاء ، وجيش يونس الدكيم لا يوثق به كثيرا ففى مجابهة جيوش الحبشة وحمدان لم يصل بعد من الغرب . فقام الخليفة فى فبراير ١٨٨٢ (جماد اول ١٣٠٤) بارسال خطاب الى يوحنا . ويختلف هذا الخطاب فى نغمته وروحه عن الخطابات التى ارسلها الخليفة فيما بعد . ويمكننا ان نقول ان الخليفة كان يرمى من ذلك الخطاب الى كسب الوقت حتى يقوى موقفه . يبدأ الخليفة خطابه بالديباجة المعهودة ويتحدث عن قدرة الله ويستشهد بايات من القرآن . ثم ينتقل للحديث عن دعوة المهدية واهدائها ويخاطب يوحنا قائلا " فان شهدت ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله نطقا بلسانك واعتقادا فى جنانك واجبت دعوتى والقيت زمام امرك طوعا شارتى فقد دخلت فى حرم الاسلام " . ثم يذكر له الحديث الشريف عن الحبش " ونحن كنا ملاحظين اشارة قول سيد المرسلين اتركوا الحبش ما تركوكم ومن ثم لم نصرح لجيوش المسلمين بغزو جيئكم حتى حصل منك التعدي " . ويستمر الخليفة فى الحديث عن اعداءات الحبش المتكسرة

وسلبهم ونهبهم وابواقهم المرتدين من المسلمين امثال صالح شنقا وعجيل وابي جسن الشكري والمضوي هيد للرحمن . ثم وضع الخليفة ليوحنا ثلاثة شروط لتنفيذها حتى يسلم من الحرب وهي ان يرجع جميع الاسرى الذين بطرفه ، ثانيا ان يعيد المرتدين اذا كانت لهم رغبة او يحصل منهم على تنازلات كتابية يعلنون فيها تنازلهم عن دينهم حتى يعتبروا من غير المسلمين ، واخيرا ان يكف يده عن التعدي على بلاد الاسلام وان يلزم حدوده . فان اوفى بهذه الشروط فان الخليفة يعده بان يكف عنه الحرب ولا يدع " جنس المسلمين " يدخل بلاده ، وان ابي فسيلا سبيل الالحرب بينهما ^{٩٨} .

يشير هذا الخطاب الى عدة قضايا هامة . اولها انه يضع شروطا للسلم بين دولة المهدية والحكومة بغض النظر عن مسحية الحبشة ، وهذه فكرة شريفة على المهدية في ذلك الطور المبكر من تاريخها . ففكرة التعايش السلمي بين الدولتين فرضتها ظروف التدخل الاجنبي فيما بعد . وثانيها ان الحبشة هي الدولة المعتدية

وليس المهدية • ويمكننا ان نلاحظ كذلك ان اسلوب الخطاب يتصرف بالهدوء وهذا
 يختلف عن اسلوب التهديد والعنف الذي ظهر في خطابات حمدان فيما بعد ^{٩٩} •
 ولعل الخليفة كان يهدف من ذلك الخطاب ان يتجنب الدخول في حرب مع الحبشة
 قبل ان يتأكد من قوته العسكرية وموقفه الداخلي • ولذلك يمكننا ان نصف خطابهم
 الذي يوحنا بالذكاء وحسن التصرف • فقد كان خطابه ، على حد تعبير سلاطين ، خطابا
 سلميا • ولكن الخليفة لم يستلم اى رد على خطابه وبهذا يكون باب التقاهم السلمي
 قد انقضى تماما ^{١٠٠} • وظل الخليفة ينتظر وصول حمدان ابي عتبة في الوقت
 الذي اتبع فيه يونس سياسة تجنب حينا نحو السلم وحينا نحو الحرب ولكن دون ان
 يدخل في معارك رئيسية مع الحبش • ويمكننا ان نلخص سياسة يونس في ثلاثة
 مظاهر : اولا السماح باستمرار التجارة بين البلدين ، ثانيا ارسال حملات للقيام
 بأعمال حربية محدودة على الحدود الحبشية ، ولخيرا استطلاع اخبار الحبشيين
 وتحركاتهم وارسال المعلومات عنها الى الخليفة اولا بأول •

١٠١ انظر الفصل الرابع الجزء الخامس بعلاقة حمدان ابي عتبة مع الحبش في

لم تتأثر تحركات القبائل عبر الحدود الحبشية السودانية بالأوضاع السياسية والعسكرية التي تطورت في المنطقة • فقد كان التكاير ينتقلون بين القلايات ومنطقة صالح شنقا وينقلون أخبار المزدية أو يتجسسون على الجيش • على أن يونس الدكيم كان يرى بأنهم جواسيس للجيش لا للمهدية ولذلك قام باعتقال^{عند} منهم ووضعهم في الحديد بل واتهم محمد أرباب سكر بالاشتراك معهم^{١٠١} ولكن يونس لم يفقد الأمل في استمالة صالح شنقا وعلى أقل تقدير أن يخلق جوا من التفاهم معه • لذلك بادره بالكثافة طالبا منه أن يسلم الأسرى الذين معه^{١٠٢} • ولعل يونس الدكيم كان يرمى من تلك المحاولات عدم عرقلة للحركة التجارية • واستمرت عطية التبادل التجاري كذلك على يد النقادية^{١٠٣} • وقد سمح لهم يونس بدخول دولة المهديّة لأنهم في رأيه " من مساكين المكاد ••• أهل بيع وشراء فقط لا أهل محاربة " ولذلك لم ير مانعا من السماح لهم بالتنقل بين الحبشة ودولة المهديّة على الرغم من علمه بضعف إيمانهم وتظاهرهم بالاسلام في القلايات وعدولهم عنهم

١٠١ يونس الدكيم إلى الخليفة ، ١٩ رجب ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٢ / ٢٤ / ٣

١٠٢ يونس الدكيم إلى الخليفة ، ٢٢ رجب ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٤ / ٣٥ / ٣

١٠٣ نقادية كلمة حبشية معناها تجاري وهي جمع لكلمة نقادي • واستعملها الانصار لتعني التجار الحبش • أما المكاد فتعني الحبش عموما ولكنها تستعمل عند الانصار كثيرا لتعني الحبش المتأخمين لمنطقة القلايات •

إذا عادوا لبلادهم • وكتب إلى الخليفة يستشير في أمرهم فرد عليه بأن النقادية
 " مساكين وضعاف وليس شرا لكم منهم ضرر وحاصلة الثمرة في حضورهم للمجاهدين
 فلا مانع من تركهم والتصریح لهم بالحضور إذا كان لم تروا ضرر في ذلك ولكن يؤخذ
 منهم الثمن من جملة الاشياء التي يحضروا بها " ١٠٤ • ووضح أن الخليفة قد غلب
 المنفعة التجارية والمصلحة التي سيجنيها المحاربون من ذلك • وطلب اكتم قبور ،
 أحد زعماء المكادة ، من يونس أن يسمح باستمرار التجارة بين البلدين ^{لن} على أن يظل كل
 على دينه ، وأن ينسى الانتصار مقتل محمد الرباب وينسى المكادة بالتالي مقتل دهناشوم •
 فلم ير يونس مانعا من ذلك • وكتب إلى اكتم قبور بأن قصد الانتصار هو تسليم صالح
 شتا فقط • وعندما كتب يونس إلى الخليفة واتفق على فعله تماما ١٠٥ •

ولكن هذه الروح المتسامحة وذلك النشاط التجاري وتلك الحركة الدائبة على
 حدود البلدين لم تدم طويلا • ففي مايو ٨٧ (منتصف شعبان ١٣٠٤) حضرت

١٠٤ الخليفة إلى يونس الدكيم ، ٦ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٨٠
 ١٠٥ يونس الدكيم إلى الخليفة ، ١٨ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية ، ٤٧/٣/٢٢/١

الى اللقابات قافلة تجارية كبيرة مكونة من ٤٠٢ من المكادة والجبرة فقام يونس
 باقتالها ومصادرة بضائعها وارسلها الى امدردان . فارتفعت اسهم يونس لسدى
 الخليفة حتى اطلق عليه عدة القاب مثل " غريت المشركين " و " مسمار الدين " ^{١٠٦} .
 وقد كانت حجة يونس في اعتقالهم انهم من الحبش الذين يتبعون ~~يونس~~ لامارة برهم
 الحبش ودجاج تسما وكلاهما من اتباع الراس عدار ، وانهم من المضلين الذين لا يقيمون
 الصلاة ويدفعون " القبر " للحبشه ^{١٠٧} . ووافق الخليفة على كل الخطوات التي
 اتخذها يونس بينما كان الخليفة نفسه قد وافق من قبل على استمرار الحركة التجارية
 على الرغم من علمه بان المكادة غير مخلصين في امور دينهم ^{١٠٨} . فما الذي ادى
 الى ذلك التحول في اتجاهات الخليفة وعامله يونس الدكيم ؟ يعتقد سلاطين ان امتناع
 يوحنا من الرد على خطاب الخليفة هو الذي جعل الخليفة يوافق على خطوات يونس
 الاخيرة ، وبـل ويؤنسده على القيام بمعطيات حربية محدودة ^{١٠٩} . وفي راي سلاطين

١٠٦ Slatin, op.cit, P. 416

١٠٧ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٧ رمضان ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٢٠١

١٠٨ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٧ رمضان ١٣٠٤ مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٢٠٥

١٠٩ Slatin, op.cit, P. 415

هذا ربما تكمن بعض الحقيقة ، ولكنه لا يعطى تفسيراً كافياً للتحول الذي طرأ على سياسة يونس . من المرجح ان يونس الدكيم قام بمهاجمة تلك القاذلة لكثرة عددها وكمية الثروة التي كانت تحملها ، وراى يونس ان تقديم تلك الثروة سيرفع من شأنه امام الخليفة . وما شجعه على القيام بذلك الخطوة تأكيد من ان الجيش لن يتمكنوا من القيام بمعطيات حربية ان كانت تلك الفترة بداية فصل الامطار مما يجعل تحركات الجيوش امرا صعبا بل ربما مستحيلا . ووافق الخليفة كذلك لمعرفة بقلك الحقيقة ، بل ووافق يونس على القيام ببعض الاعمال الحربية . وفعلا ارسل يونس بعض الحملات الحربية الى حدود الحبشة وذلك في شهرى مايو ويونيه (شعبان ، رمضان) بلغت جمعتها اربع حملات .

كانت الحملة الاولى الى قديى ^{١١٠} في مايو (شعبان) ، وكانت بقيادة الياس علي . كنونه . فبعد وفاة محمد ارباب تحول عامل قديى يحيى ولد الوكيل نحو

١١٠ تقع قديى على الحدود الحبشية للشمال من الغلابات . وهي سور تجارى . وكان محمد ارباب قد عين يحيى ولد الوكيل عاملا عليها .

الحبش ، بل وحضر بعض قاداتهم الى منزله واحسن وفادتهم واعطاهم عدداً من
 الوفاق " الرامنتون " • وعلم يونس انه عنأهم بمقتل محمد ارياب • كما سمح لهم
 بقتل الاهالى الذين يعتقدون انهم ضد الحبشة • وجعل سوق قديى مفتوحاً
 للحبش حتى يبيع فيه التمباك • وكان يحيى يأخذ العشور على البضائع وسمح
 للحبش باخذ ثلثين منها • كما قام بارسال كل امواله ومناعه للحبشة استعداداً
 للهروب ^{١١١} • يبدو ان هذه الرواية التى يعثرها يونس الى الخليفة فيها بعض
 المبالغة • فلعل يحيى ولد الوكيل قد سمح للحبش ببعض الحرية التجارية حفاظاً على
 انتعاش التجارة • او لعله آثر ان يدالم الحبش لعدم قدرته على صدهم • لانه
 اذا كان ولد الوكيل قد وصل ذلك الحد من الخيانة لقضية المهدية ، لما قبل دعوة
 يونس ونذهب الى القلايات • فقد كان يونس قد دعاه الى القلايات ، وعند قدومه
 اليها قام يونس باعتقاله وسجنه • وفى السجن اعترف ببعض تلك التصرفات ، وربما
 اعترف باعتداله التجارى بالحبش • فدا كان من يونس الا ان قام بصلبه فى سمسوق

١١١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٠ شعبان ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٢ / ٢ / ٤٢

القبائل وكتب الى الخليفة بذلك فوافقه على تصرفه ^{١١٢} . ثم بحث محمد بحملة
الى اسكنونه واحتلت قدي .

وارسلت الحملة الثانية في ١٥ مايو (٢١ شعبان) بقيادة علي جبير الى جبل
غرة محل إقامة مقيم الجيش . وكان يونس قد سمع بتجمعات الجيش في تلك المنطقة .
سارت الحملة الى الجبل وتمكنت من صعوده بعد يوم كامل وهناك وجدوا ان الجيش
قد فروا منه بعد ان طموا بكثرة عدد الانتصار . وقام الانتصار عند ذلك بهدم ثلاثة
كنائس هناك واطلقوا سراح بعض الاسرى الذين كانوا قد اعتقلوا في الواقعة التي
استشهد فيها محمد ارباب . ثم قام الانتصار بعد ذلك باقتداء اثر الجيش حتى
لحقوا بهم في مكان يقال له قلقوا على بعد ثلاثة ايام من انقلابات . وتمكنوا من
هزيمة الجيش واسروا منهم ثلاثمائة وواحدا وعشرين رجلا ومائة وثمانين امرأة
وطفل وستة من القواد . وكان من بين الاسرى بعض من الشبانية والحمدية والشكرية .
وعادت الحملة الى انقلابات سالمة على الرغم من صعوبة الطريق ووعورته ^{١١٣} .

١١٢ : الطرز المنقوش ، ص ٥٠-٥٣

١١٣ : المصدر السابق ، ص ٤٠-٤٤

وارسلت الحملة الثالثة ضد عجيل عوض الحمرائى فى غبنة وكانت بقيادة هنون
 النيل • وكان عجيل مانقى يقوم بغاراته على حدود دولة المهدية بخرض السلب
 والنهب • فى ٢١ مايو (٢٧ شعبان) قام جماعة من اتباعه بالهجوم على حلة ايمو
 حامد بجهة التويمات ونهبوها • وفى طريق عودتهم قابلتهم جماعة من الانصار عند
 نهر عطبرة بقيادة محمد ولد عامر فقتلت منهم عددا كبيرا • وفى اواخر مايو (نهاية
 شعبان) قامت جماعة اخرى من انصار عجيل بالهجوم على حلة قديى ولكن الانصار
 بقيادة عبد الوهاب ولد داود تمكنوا من صددهم ^{١١٤} • وتماذى عجيل الحمرائى فى
 اعماله العدوانية " فشرع فى الفساد فى الارض وشن الغارات على ارض الاسلام
 وسلب ونهب وقطع الطريق وانضم اليه المفسدون وقطاع الطرق ... " ووصلت اسماع
 يونس انه يفوى القيام بهجوم كبير على تبارك الله ^{١١٥} • فكتب يونس الى
 الخليفة بانه قرر القيام لمحاربة عجيل وان يقتفى اثره • محل ما يكون ولو كان مع

١١٤ الخليفة الى يونس الدكيم ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ٢٤ / ٣ / ٢٢ / ١

١١٥ الطراز المنقرش ، ص ٥٣ - ٥٤

النفس " ، ولكن لعل الرأى من الانتصار منعه من ذلك خوفا من ان يحدث قيامه
 " ومن رغبه لضعفه " العقول بالنظر لقيام اكثر اهل السرية " معه ، وخوفا من
 ان يقوم الحشيش بالهجوم على القلايات اذا علموا بخروج الجيش مع يونس . اما اذا
 بقى يونس بالقلايات فسيعتقد الحشيش ان اكثر القوة باقية مع يونس بالقلايات . ولذلك
 اشار الانتصار من " اهل العزم والتدبير " على يونس بارسال هنون النبل على راس
 " الغزوة " . وتحركت الحملة من القلايات يوم ٢٧ مايو (٤ رمضان) وكانت تتكون من
 اربعة عشر الف بندقية وثمانمائة وثمان واربعين من حملة الحراب ومائة من الخيالة
 بجانب رايات النور فقرا التي كانت تصاحب الحملة .
 ١١٦

سارت الحملة حتى بحر باسلام حيث قابلت جماعة من اعوان عجيل بقيادة
 اشيه ان ان عجيلا كان قد ذهب لعدالة يوحنا ليستغفره للقيام لمحاربة الانتصار .
 واستطاع هنون ان يهزم جماعة عجيل وان يقتل منهم نحو من مائة وخمسين واسمر
 اعدادا كبيرة اخرى كما قتل احمد التوم احد قادة عجيل وكان " طليعة عجيسل

وعنيفة وقوته " • ثم توجهت الحملة إلى " حكومة " وهو أحد عبيد الضيائية
وكان قد هرب عند قيام المهدية وانضم إلى عجيل وأخذ في شن الغارات من تلك
المنطقة • واستطاع الانتصار أن يحققوا نصرهم الثاني وكان ضد " حكومة " وأجبروه
على الفرار • ثم انتقلت الحملة إلى حلال نقارة وهاجموها وقتلوا أحد قادة عجيل
ويدهى عبد الرحمن ولد الطاهر • ثم قابلت الحملة جماعة من الشكرية المعارضين
للمهدية فقتلت منهم نحو من ثلاثين شخصا • وعندما وصلت الحملة إلى مشرعجول
جدته شبه خالي ، فقتل الانتصار للبقية الباقية منهم وأسروا عددا منهم • ثم عادت
الحملة ادراجها إلى القلايات بعد تلك الانتصارات المتعددة ومعها من الغنائم
ستة " خروز ذهب " ، واثنان وثلاثون " شوقي ذهب " ، وستة " منمن ذهب " ،
١١٧
وثلاثة وثلاثون رقيق ، واثنان وعشرون جمال ، وأربعة حير •

وكانت آخر حملة أرسلها يونس ضد صالح شنقا وهي أيضا بقيادة هنون النيل •
وبعث إلى الخليفة برسالة يوضح فيها الأسباب التي أدت إلى إرسال تلك الحملة فقال

... ان البعث لتعيين انصار الدين لجهاد عدو الله صالح شقنا من هذا
 الان عدة اوجه منها ان المذكور كلما اطلقت الحبشة ناز الحرب اوقدها وكلما نامت
 الفتنة اثارها ... وكلما انهزم احد من الصائفتين كان له نصرا ... وتمكين بنات
 عمه ولقاربهم الى المكادة ... ودواما مقربين بنا وعارف بلحوالنا بواسطة جواسيسه
 الذين ياتونه بلخبارنا واكثرهم من الفكارير فغيره على الاسلام وسدا لباب افساده
 اخترنا جهاده ... كما اوضح يونس للخليفة ان الحملة مرسله لاسباب عسكرية
 استراتيجية وهي ان الجيش اذا هجموا بعد انتهاء فصل الامطار فان هجومهم
 سيكون شاقا على الانصار خصوصا وان الجيش اكثر استعدادا من الانصار . لذلك
 راي ارسال حملة مهاجمتهم على غلة " ليوقع الله الرعب في قلوبهم " . واذا
 تمكن الجيش من الهروب وانلثوا من الهجوم العاجي فان في " حرق حلالهم
 وتدمير ديارهم رهبة لاعداء الله " وقطع دابرهم بحيث لا " تتعلق ايمانهم مرة
 اخرى بهالح " ^{١١٨} . وكانت قد وصلت الى يونس بعض الاخبار فادها ان صالح

شتقا على علم باحوال الانصار ، وقد وصلته تلك الاخبار عن طريق جواسيسه . وعلم
 يونس كذلك ان بعض رؤساء الثكاريير في القلايات كانوا يرسلون جزية سنوية الى
 صالح ومقدارها الف ريال ، وانهم طلبوا من صالح ان يدركهم لانهم لن يستطيعوا
 دفعها بعد ذلك لان الجهة قد خرجت عن ايديهم . وعلم يونس ان صالحا قام
 باستدعاء زعماء المكادة فاجتمع لديهم عدد كبير منهم في مكان يدعى دبر سيندا
 بمقاطعة شلقة ، فالتزم صالح يستعد للهجوم على القلايات ^{١١٩} . لكل هذه الاسباب
 مجتمعة قرر يونس ارسال حملة حربية ضد صالح ادريس ، وقد وافقه زعماء الانصار
 على رايه . وقرر يونس ان يخرج على رأس الحملة ولكن عقلاء الانصار تروا للمرة
 الثانية عدم خروجه ، فـ يونس بدلا عنه جنود القيل " لما فيه من البسالة
 والهمة والشجاعة " ولم يكن قائد تلك الحملة عربي دفع الله كما ذهب الي ذلك
 الكردفاني . ولعل شهرة عربي دفع الله هي التي جعلت الكردفاني يقع في ذلك
 الخطأ ^{١٢٠} . وخرجت الحملة من القلايات يوم ١٣ يونيو (١١ رمضان) . واختارت

١١٩ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٠ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية ، ٣٨/٣/٢٢/١

١٢٠ الطراز المنقوش ، ص ٥٠-٥١

الحملة ان تسير باقرب الطرق على الرغم من وهورته وممراته الضيقة لانه خالى من السكان ويمكن قطعه فى ثلاثة ايام . وكانت الحملة تتكون من الفين ومائتين وخمسين وعشرين بندقية والى وثلاثمائة وسبعة عشر من حملة الحراب ومائة وثلاثة عشر خيالة ، وكان عدد الجهادية فى الحملة الفا واربعمائة وخمسة وثلاثين بقيادة عربى دفع الله وابراهيم الرفيع .^{١٢١}

بعد مسيرة ثلاثة ايام وصلت للحملة على مقربة من حلة صالح شتقا (١٥ يونية ، ٢٣ رمضان) وقرر الانصار مهاجمة فى الحال حتى لا يفلت منهم . فدارت معركة قصيرة بين الطرفين انتصر فيها الانصار ، اما صالح ادريس فقد تمكن من الفرار مستعمدا بالوديان والجبال التى تنتشر فى تلك المنطقة^{١٢٢} . رغم الانصار كل ماله واقله ، وفقدوا شهيدين . ويبدو ان الهجوم كان فعلا مفاجئا حتى حقق تلك النتائج الباهرة . ولكن صالح شتقا يرى ان سبب هزيمته راجع الى ان القائد الحبشى اكشم قبرو لم يخفى لنجدته . فعزله يوحنا وولى دجاج برهى بدلا عنه . ثم قام الانصار

١٢١ يونس الدكهم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٢ / ٢ / ١١٥

١٢٢ يونس الدكهم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٢ / ٣ / ١٨٤

باحراق كل منازل الحلة وغادروها يوم ١٦ يونية (٢٤ رمضان) في طريق هودتهم •
 وفي الطريق كان الانصار يقومون باحراق القرى وقتل اهاليها حتى وصلوا في منتصف
 ذلك اليوم الى " المناق " وهي الطرق الضيقة التي تنتشر في شعاب الجبال •
 حيث وجدوا ان فلول جماعة صالح قد احتلوها • فقام بعض الجهادية بقيادة
 سرير سليمان بالتصدي لهم وهزمهم ، وفي اليوم التالي اعاد الاعداء الكرة ولكن
 دون جدوى ، فقد كان الانصار متيقظين تماما • واستأنفت الحملة مسيرها حتى
 وصلت القلابات يوم ٢١ / يونيو (٢٩ رمضان) • وبلغت جملة خسائر الانصار واحدا
 وعشرين شهيدا واربعة عشر جريحا ^{١٢٣} • وبلغت غنائم الانصار كميات كبيرة من
 الذهب الشناوى وحوالى خمسين قطعة من الحلى الذهبية ، وتسعة وتسعين من الرقيق ،
 ومائتين وثمانين ريالاً ، وكل امتعة صالح شتقا واهله وعائلته • كما عادت الحملة
 باعداد كبيرة من المغانم اسرى الانصار الذين اخذوا بعد مقتل محمد ارباب ^{١٢٤} •

١٢٣ يؤنس الدكيم الى الخليفة ، ط٢ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٣ / ١٨٨

١٢٤ امين بيت مال السرية للشرقية الى الخليفة ، شوال ١٣٠٤ ، مهدية ، ٢ / ١ / ١٢

واعتبر الخليفة ذلك الانتصار حدثا هاما فقام بقلاوة تفاصيله على الانتصار في مسجد
امدرمان .

يبدو واضحا ان تلك الحملات التي ارسلها يونس نباعا لم تعد عن كونها
غزوات او حملات تاديبية بقصد الغنمة وتهدة المنطقة . وكانت تلك الحملات
موجهة في جملتها ضد اهل تلك الذين هربوا من المهدي وانضموا الى جانب الحبش ،
ولم تكن موجهة الى الحبش انفسهم ، ولذلك اقتصر نشاطها على الحدود الحبشية . وفي
تلك الحدود لم يضع الحبش اى جيوش من عدهم بل اعتمدوا على اعوانهم من
القبائل المحلية مثل التكاير والحمران وبعض الشكرية . والضيائية . فلا الانتصار
ولا الحبش كانوا على استعداد في ذلك الوقت لحرب كبيرة . فقد كان يوحنا
في دير تابور يحاول تجميع جيوشه ، وكان الخليفة في امدرمان في انتظار وصول حمدان
ابوعنجة ، لذلك طلب من يونس ان يكون مدافعا اكثر منه مهاجما . كما وجهه
ليهمم بتسقط اخبار الحبش وتحركاتهم ، واكد عليه الاهتمام بتلك المهمة .

مضى يونس الدكيم بقية فترته في الغارات (يوليو ٨٧ - يناير ١٨٨٨ ،

الفترة ١٣٠٤ - ربيع اخر ١٣٠٥) وهو يحاول التجمس على الحبش ومعززة

اخبارهم لارسالها الى الخليفة . فارسل له في ٣٠ يوليو (٩ للقعدة) يخبره ان
عجيل الحمرائي قد عاد من عند يوحنا وبصحبه تسعة الحبشي بعد ان اطلع انفس
بينهما ، وان عجيل قد استقر في غيبة وهو " متعصب للقتال " . اما يوحنا
فهو مقيم في زبول بجهات القالة " . اما بقية اخبار الحبش فان يونس ليس على
علم بها وتفصيلها غير واضحة لديه ^{١٢٥} . لاشك ان تلك الاخبار لم تزعم الخليفة
لان عجيلا في رايه لا يمثل خطرا كبيرا ولا يمكن ان يعود اليه الحبش بالقيام
بحرب واسعة النطاق . ثم ان وجود يوحنا بجهات القالة يبعد فكرة الحرب في
ذلك الوقت . وقد كان الخليفة على يقين من ان الحبش لا يمكن ان يشنوا حربا
في فصل الامطار . وفي ١٢ سبتمبر (٢٣ الحجة) ارسل يونس خطابا اخر الى
الخليفة يكرر فيه انقطاع اخبار الحبش ويرد ذلك الى مراكمة محمد ارياب سكر لهم ،
ولذلك فقد قرر اعتقاله وسجنه وارساله الى الخليفة ^{١٢٦} .

١٢٥ يونس الدكيم الى الخليفة ، بالقعدة ١٣٠٤ ، مهدي ، ١ / ٢٢ / ٣ / ١٣٩

١٢٦ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٣ الحجة ١٣٠٤ ، مهدي ص ١١ ، ص ٢٦٠

وفي نفس شهر سبتمبر (آخر الحجة) وصلت إلى يونس بعض الأخبار مفادها
 أن يوحنا قد دعى كل رؤساء دولته للاجتماع به بجيوشهم في دير تابور، وأنه
 قد اجتمع إليه عدد كبير منهم وعلى رأسهم منليك وراس عدار. وقد حدد لذلك
 الاجتماع يوم ١٤ سبتمبر (٢٥ الحجة) لأنه يوافق عيد "شرب العرغل" لحد
 أعياد الحبش حيث يجمعوا الأخشاب والحطب ويضرموا النيران ابتهاجا بانتهاء
 استيفاء وحلول الشتاء^{١٢٧}. وعلم يونس كذلك أن يوحنا نفسه كان قد عاد من
 أرض النجدي محل عشيرته إلى دير تابور وأنه أخذ يستعد للهجوم على القلايات
 كما تواترت الأخبار إلى يونس بوصول سيوم الحبشي إلى جهة غرة" وبصحبته أدريس
 على وهو من قبيلة الحمدة، وكان يونس قد بعثه للتجسس على الحبش فأنحاز إليهم.
 وعلم يونس كذلك أن راس عدار قد وصل إلى شلقه" وانضم له صالح شنقا ودجاج
 تسمى وعجيل. وأنهم ناوون" الهجوم على القلايات من ثلاثة جهات وأنهم أرسلوا
 طلائعهم إلى جهة التومات وأنهم مدابرين على ذلك يوميا^{١٢٨}.

١٢٧ يونس الدكيم إلى الخليفة، ٨ الحجة ١٣٠٤، مهدية، ١/٢٢ - ٣/١٥٩

١٢٨ يونس الدكيم إلى الخليفة، ٢٦ الحجة ١٣٠٤، مهدية، ١/٢٢ - ٣/١٧٤

ووصلت لخبار اخرى الى يونس تفيد ان شخصا يدعى محمد ولد الفحل الصليحي ،

من قبيلة صليح النقيفة بجبهات القلايات ، كان قد ذهب الى قدي ومثا عبر نهـر

عظيرة الى مكان يسمى خور الدوم على الحدود الحشمية ، وهناك وجد اعدادا كبيرة

من الحش منجمعين تحت قيادة دجاج بوهي . كما علم ان يوحنا مصم على

غزو القلايات وانه قد اجتمع له جيش كبير قام بتقسيمه كل اربعة اقسام : قسم نسي

دبرتabor ، واخر في شلقه ، وثالث في دهر سينا ، والاخير في جركن مع دجاج

برهي ، وذلك لان يوحنا قرر الهجوم على القلايات من اربعة جهات ^{١٢٩} . ونسي

منتصف اكتوبر (اواخر محرم ١٣٠٥) اكد يونس للخليفة خبر استعداد الجيش للهجوم .

فقام يونس من جانبه باجراء تحركات احتياطية لمواجهة الهجوم المرتقب . فوضـم

الهديرية بقيادة النعمري محمد العالم في مواجهة صالح شفا ، والجوامعة بقيادة عبد

الله جاموس على جهة شلقه ، والحر بقيادة محمد احمد ابو ام فضالى على جهة غورة ،

وعبد الله البرقلاوي على جهة قدي . فقام كل امير بارسال دوريات لتستطلع اخبار

الحبش ، وكانت تلك الدوريات تدخل في اشتباكات مع الحبش أحيانا . ١٣٠

لعله من الواضح من تلك الخطابات التي كان يبعث بها يونس إلى الخليفة أن الحبش كانوا يقومون ببعض الاستعدادات الحربية . ولكن بعض الروايات التي كان يردها يونس عن خطورة تلك الاستعدادات ربما كان مبالغ فيها . ولعل يونس كان يرجو من ذلك وصول تجددات من الخليفة أو لعله أراد أن يظهر أمام الخليفة بمظهر المدافع عن المهدية وشيوخها .

ظلت أخبار الحبش بعد ذلك نقطة لمدة قصيرة وذلك حتى أوائل نوفمبر (منتصف صفر ١٣٠٥) حتى أخذت تصل أخبار تحركاتهم بشكل منتظم . . ففي يوم ٢٣ نوفمبر (١٦ صفر) وصل رسول من عبد القادر البشير عامل القرمات ليخبر يونس الدكيم بحصول الحبش إلى جهة سركة وأنهم متجمعين على ثلاثة فرق ، سركة ، البادية ، والعا ، الأخضر بشرق جبل نقاره على مسافة يوم ونصف من ديم النور ١٣١

فقرأ . . وفي يوم ٨ نوفمبر (٢١ صفر) وصلت أخبار من النور فقرأ تفيد أن

١٣٠ يونس الدكيم إلى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مديّة ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٤٤

١٣١ يونس الدكيم إلى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مديّة ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٤٠

عجلاً معه جمع كبير من المكادة قد توجهوا الى بحر سيتيت وليس معلوم وجهتهم .
وبعد اسبوع علم ولد فقرا ان الجيش قرروا الهجوم عليه يوم ٢٠ نوفمبر (٤ ربيع
اول) فاستنجد بيونس الدكيم . وبالرغم من ان يونس كان يعتقد ان هجوم الجيش
الرئيسي لن يكون على تيارك الله ، انما اظهروا ذلك للخديعة ، الا انه قام
بارسال نجدة الى ولد فقرا تتكون من خمسة رايات ^{١٣٢} . وبقي مع يونس
بالقلايات اثنان وعشرون الفا وثمانمائة واربعة وتسعين مجاهدا منهم تسعة الاف
ومائتان وتسعة عشر باسلحة نارية ، وبقي معه كذلك خمسمائة وواحد وتسعون
خيالة .

وبنما كان يونس يستعد لمواجهة الجيش نشب صراع داخلي في القبضة
بين يوحنا واحد قواده . فقام دجاج تسما بجيشه وانضم على يوحنا وتبعته بقية
الجيش على الحدود وتفرقت بذلك جموع الجيش التي كانت في مواجهة الانصار ^{١٣٣} .

١٣٢ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٥٢
١٣٣ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١١ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٨٦

وقبل أن يتجمع الحبش للمرة الثانية كان حمدان أبي عنجة قد وصل إلى القلايات
 وبحضوره حدث تحول في القيادة أدى إلى نقل يونس من القلايات فغادرمها
 في منتصف يناير ١٨٨٨ (آخر ربيع آخر) إلى لمدريمان^{١٣٤} . وبذلك انتهت فترة
 يونس الدكهم في القلايات والحبش يقومون باستعداداتهم الحربية من جانب والانتصار
 يستعدون من الجانب الآخر . وبقي حمدان ليقود الجهاد على جبهة القضايف -
 القلايات .

الفصل الثالث

حمدان أبو عنبجة في القضاة - القلايات

١٨٨٧-١٨٨٩ (١٣٠٥-١٣٠٦ هـ)

تحدد فترة حمدان أبو عنبجة من أهم الفترات في تاريخ العلاقة بين المهدية والحبشة • ويمكن معالجة هذه الفترة من جانبين : من جانب القضايا الداخلية والمشاكل التي تعرض لها أبو عنبجة في تلك المنطقة مثل الصراع بينه وبين بنفس الدكيم ، والقضاء على حركة محمد آدم الذي ادعى النبوة ومجاعة سنة ١٣٠٦ • والجانب الثاني علاقة دولة المهدية بالحبشة وحروبها حمدان في تلك المنطقة •

١ ولد حمدان أبو عنبجة حوالي عام ١٨٣٧ • وقد بنيت هذا التاريخ تقديرا على وفاته عام ١٨٨٩ وكان عمره حوالي ٥٢ عاما •

وينتمي إلى قبيلة المناظلة والتي كانت تتبع قبيلة التعايشة في التركية • وقد نشأ حمدان عبدا في بيت الخليفة عبد الله • ولكنه عمل معاملة حسنة من قبل عبد الله وعائلته واعتبر كعبد في تلك العائلة • وكان من عادة البقارة أن يحسنوا معاملتهم رقيقهم بل كانوا أحيانا يزوجهونهم من بناتهم (Ten Years Captivity, P.221) وتعلم حمدان من التعايشة فنون الفروسية واشترك مع القبيلة في حروبها ضد الزعيمين باشا حيث وقع في الأسر • وبعد أن أطلق سراحه عاد إلى قبيلته ولم يحدث في حياته شيئا يذكر حتى قيام المهدية •

انتقال حمدان ابو عنجه الى القلايات

فر منتصف عام ١٨٨٦ (مطلع ذاءم ١٣٠٤) — قبل هجوم الجيش على

القلايات مع استدعى الخليفة حمدان من جبال النوبة وطلب منه ان يكتم خبر

مجيئه وان يكون تحركه باقصى ما يمكن من سرعة . فما هي الاسباب التي

ادت الى ذلك الاستدعاء المبكر ؟ هل كان الخليفة يريد ان يكون حمدان

عند قيام المهديّة كان من اوائل من انضموا اليها ، ولمع اسمه عندما اوكل اليه قيادة الجهادية التي كونها المهدي بعد سقوط الابيض . ولعل ذلك التعيين قد كان بايعاز من الخليفة الذي لم يشأ ان تكون قيادة الجهادية في يد شخص لا يثق فيه شخصيا . وقد كان وجود حمدان ابو عنجه في قيادة الجهادية من العوامل التي ادت الى تقوية موقف الخليفة . واشترك ابو عنجه بجهاديته اشتراكا فعالا في انتصار المهدي على حملة هكس^{كما} / احتل حامية امدردمان . وقام فيما بعد باقتال محمد خالد زقل ، كما اعتقل مادبوطين وقتله . وقام بعمليات ناجحة ضد صالح فضل الله شيخ الكبابيش . وفي اثناء تلك العمليات استدعاء الخليفة للتوجه للقلايات .

كان حمدان طويل القامة غليظ الحية قوى البنية خفيف اللحية اشدبها ، اسود

اللون مهيب المظلة ووصف بأنه كان حسن الخلق شديد الرأي وكان من اشد قواد المهديّة بأسا واكثرهم جرأة . وكان مطيعا للخليفة الى درجة بعيدة . ولعل اهم ميزاته سيطرته التامة على الجهادية . وبلغت عدد الخطابات التي تبادلها مع الخليفة ٨٦٣ خطابة .

بجانبه لتقوية موقفه الداخلي ؟ لا شك ان ذلك لم يكن سببا قويا لان الخليفة فسي
 ابريل ١٨٨٦ (رجب ١٣٠٣) كان قد لخص المعارضة التي تجمعت ضده واصبح
 موقفه قويا نسبيا . وفي غالب الامر كان استدعاء حمدان مرتبطا بالوضع العسكري
 على الحدود الحيشية . ويرى سلاطين ان استدعاء حمدان كان سببه صمت يوحنا
 وعدم رده على خطاب الخليفة^٣ . ولعله من المستبعد ان يحرك الخليفة ذلك
 الجيش الكبير من صحارى كردفان لمجرد امتناع يوحنا عن الرد . ويذهب كثير
 من المؤرخين الى الربط بين مجيء حمدان وهجوم الحيش على القلايات وقتل محمد
 ارياب^٤ . ولكن استدعاء الخليفة لحمدان كان قبل هذه الحادثة . اذا فاستدعاه
 كان عملا احتياطيا في بادئ الامر ثم ادت الاحداث لارساله بكل جيشه المسمى
 القلايات . ولذلك عندما بدا ابو عجة يستعد لمغادرة الابيض طلب من
 الخليفة الا يتعجل في الحضور اذ ان الخليفة كان قد اطمأن حينئذ من موقف

Slatin, op.cit, P. 416

٣

٤ قال بهذا الرأي كل من شقير والكردفاني وهولت .

الحبشة ، وتأكد له ان الحبش لن يواصلوا انتصارهم في انقلابات بالزحف غربا .
فكتب الى ابي عنجة قائلا : " حيثما ان الجهات ساكنة وليست بمحركة واعداء الله
الحبش الذين سبقوا لكم القول فيهم هربوا ولم يفضل منهم باقى فينبغى ان تكونوا
في حالة حضوركم ثابتين ولا تنزعجوا في الحضور لعدم الموجب لذلك " .^٥

اغذ حمدان ، اذا ، يستعد للتوجه الى امدرمان في فبراير (جماد اول)
فوصل الى ضواحيها في ٢١ مارس (٢٧ رجب) . وفي اليوم التالي دخل بجيشه
مدينة امدرمان^٦ . وكان دخوله في غاية الانتظام لان الخليفة كان مهتما بمظهر

٥ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٤ ، مودية ، ١ / ١٥ / ٤ / ٣٠٣

٦ للخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٢٧ رجب ١٣٠٤ ، مودية ، ١ / ٢٥ / ٤ / ٣٨٠

حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٢٧ رجب ١٣٠٤ ، مودية ، ٢ / ٧٠٢ / ٥٢

نحرض هولت¹⁵¹ (Holt, The Mahdist State, P) الى اخطاء المؤرخين

في تحديد التاريخ الذي وصل فيه حمدان الى امدرمان . فسلاطين يحدده بنهاية
يونيه الذي يصادف عيد الفطر . واهرولدر يحدده بنهاية يوليو ويجعل ذلك الشهر
يصادف عيد الاضحى . ولعل الذي ادى الى هذا الخلط ان حمدانا وصل البقعة في
٢٧ رجب وكان الخليفة يحتفل بهذه المناسبة الدينية احتفالا كبيرا (الرجبية) ولذلك اعتقد
سلاطين واهرولدر ان ذلك الاحتفال اما عيد الفطر او الاضحى ان كان الكاتبان كان
يكتب من الذاكرة .

الجيش وترتيبه قبل وصوله بمدة طويلة • فكتب الى ابي عنجة في ١٨ فبراير
 (٢٤ جماد اول) ليلتقت الى مظهر الجيش فقال له * وبعد ان تنزلوا البحر
 مكانة الجيش لازم ان تآمروا بغسل جبههم بالصابون وتزعم ملابس الجبال الوسخة
 وتامرهم ان يشنظفوا والعارى منهم تكسوه وتراعيهم حتى تقابلهم على حاله حبيسة
 تهرب العدو وتسرا الصديق *^٧ • ولعل هذا راجع الى ان القبائل النيلية كانت
 تحترق قبائل الغرب لعدم تهذيب مظهرها ، فرأى الخليفة ان يتفادى هذه
 الظاهرة ، او ربما ادرك بنفسه هذا الفارق الحضارى فعمل على استئيل هذه •
 وكان الجيش الذى صحبه حمدان من الغرب يتكون من ثمانية وعشرين الفا ومائتين
 وواحد وخمسين جنديا ، معهم واحد وثلاثون وتسعمائة وخمسة وخمسون من العوائل •
 وبلغ عدد حملة الاسلحة المتطورة النارية تسعة الاف وثمانمائة وسبعة واربعين ، منهم
 ثمانمئة الف واربعمائة وسبعة وثمانون بهنادق رامنتين ولف وثلاثمائة وستون باي
 لفة واي روجين • وعدد الخيول الف واحد عشر ، والدروع مائة وواحد وثلاثين ،

٧ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٢٤ جماد اول ١٢٠٤ ، مبدية ١٢ / ١٥ / ٤ / ٣٣

"واللهوس" واحد وسبعون • وكان مع الجيش مئتان وواحد وثمانون من صناديد—

الجيشانة ، خمسة مدافع ، خمسة صواريخ ، وثلاثة وستون نحاسا ، وواحد

وسبعون "بوريا" ستة وعشرون "ترنبيطة" • وزرع ابو عتجة جيشه على واحد

وثمانين راية • وبلغ مجموع الجهادية ثمانية آلاف ومائة وست وتسعين^٨ •

وفي امدردان مكث ابو عتجة حتى منتصف أكتوبر (منتصف محرم ١٣٠٥) •

فما هي الاسباب التي أدت الى ابقاء حمدان بجيشه الكبير في امدردان شـهـر

معطل قرابة نصف عام ؟ لعل اهم سببين هما بداية فصل الامطار وانحسار خطر

الهجوم الحشوي موثق • ولذلك لم يشأ الخليفة ان يرمى بجيش كبير معه الآف العوائل

للزحف اثنا فصل الامطار • وتصادف نى ذلك الوقت ان حدث عصيان قبيلة

٢٥

٨ حمدان ابو عتجه الى الخليفة ، ٢٦ رجب ١٣٠٤ ، مدينة ، ١/٢٨/٨/١

ذكر مسلاطين (ص ٤١٦) ان الجيش الذي كان مع ليو عتجة هو اكبر

جيش تجمع في تاريخ المدينة وان تعدادـه بلغ خمسة عشر الفا باسلحة نارية وخمسة

واربعون الف باسلحة بيضاء وثمانية الاف من الخيالة • ولكن هذه الارقام مبالغ فيها

لان التعداد الذي اجراه ابو عتجه كان دقيقا ان قلم بحصر الجيش " راية راية مقدم

مقدم نفر نفر بالاسماء " •

رفاعة الهوى بقيادة شيخها صالح لبوروف • فقام الخليفة بإرسال جزء من جيش
حمدان بقيادة عبد الله ابراهيم واسماعيل الامين والزكوى طعل لتأديب قبيلة رفاعة
ولخضاعها^٩ • ولعل الخليفة قد ارسل ذلك الجزء من الجيش الى الجزيرة لانه
لا يستطيع اعاشة كل الجيش في امدرمان فرأى ان فى ارسال جزء منه الى الجزيرة
مايخدم له غرضين هامين •

وعندما شارف فعل الخريف على نهايته رأى الخليفة ان يبعث بأى عنجه الى
القلايات لمواجهة تحركات الجيش العسكرية التى اخذت تزداد فى ذلك الوقت •^{١٠}
فغادر الجيش امدرمان يوم ٦ اكتوبر (١٨ محرم ١٣٠٥)^{١١} سائرا بالتساوى الشرقى

١ يقول الكردغانى ان حمدانا ارسل عبد الله ابراهيم والزكوى طعل الى الجزيرة •
ولكن اسم الزكوى طعل لايرد فى منشورات الخليفة فى هذه الفترة كقائد هام بل
يرد اسم اسماعيل الامين • اما الزكوى فكان فى هذه الفترة تابعا لربيع عبد
الله ابراهيم حتى ان حمدانا وضعه محل عبد الله عند مرضه •

١٠ الطراز المنقوش ، ص ٥٥٥

١١ يذكر هولت (The Mahdist State, P. 152) ان حمدانا غادر امدرمان
يوم ٧ اكتوبر (١٩ محرم) • ولكنى حددت التاريخ على اساس خطاب

للفيل بينما كان أبو عنجة يتابع مصر الحملة من الوابور . وفي أبي حراز انضم عليه
 أحمد علي ومحمد الطيب ، كما أرسل يستدعي عبد الله إبراهيم وإسماعيل الأمين
 والزaki طفل من الجزيرة ^{١٢} . وفي أبي حراز بدأ في تعبئة الجيش إلى الجانب
 الغربي و إرساله على دفعات صوب القلايات لأنه جيش كبير فإذا سار في دفعة
 واحدة فقد تنشا مشكلة حول موارد المياه ^{١٣} . وفي يوم ٢٣ أكتوبر (٥ صفر) ،
 وحمدان مازال بأبي حراز ، وصلت أخبار من يؤمن بالدكيم تفيد أن العدو قد
 تأهب للهجوم على القلايات فقام حمدان فوراً بتجهيز جيش بقيادة عبد الله إبراهيم
 " مجرد من كل العوائق " ليتوجه رأساً إلى القلايات ، وجيش آخر بقيادة إسماعيل
 الأمين ليلاحق به بعد يوم ، وبعدهما تقوم الجبهة ثلثاً . وتحرك الفوج الأول يوم

== مرسل من أبي عنجة إلى الخليفة يخبره بوصوله إلى الكاملين يوم ٦ أكتوبر
 منهية ، ١٢٩/١ / ١ / ٨ ، حرم ١٣٠٥ .
 وبما أن الكاملين تقع على مقربة من أمدران فالأرجح أن أبا عنجة غادر أمدران
 في نفس اليوم أو ربما قبل يوم على أكثر تقدير .

١٢ الطرز المنقوش ، ص ٦٩-٧٠

١٣ حمدان أبو عنجة إلى الخليفة ، ٥ صفر ١٣٠٥ ، مهدي ١٠٧/٧/٣٥/٢

٢٥ أكتوبر (٢ صفر) بقيادة الزاكي طمل الذي حل محل عبد الله ابراهيم لعرضه .
 يوم ٢ نوفمبر (١٥ صفر) تحرك اسماعيل الامين من بعده . وسار الزاكي واسماعيل
 الامين بطريق القلعة ... رانج ، واتبعهما بالنور عنقرة على ان يملك طريق " البحر "
 حتى لاتحدث مشكلة في الماء ، على ان يلتقيا في راشد . وفي هذا الاثناء ارسل
 يومئذ رسالة اخرى يستعجل قدوم الحملة نظرا لقرب هجوم الحبش . كما وصلت
 رسالة اخرى من عبد القادر البشير عامل التمام تعيد بقدوم عجيل^{على} / راس قوة كبيرة^{١٤} .
 فقام حمدان بمداخلة استعداداته فارسل الجيخانة امامه يوم ٥ نوفمبر (١٨ صفر) ،
 وتحرك هو من بعدها بعد ان مكث شهرا في ابي حراز . وكان سبب ذلك التأخير
 كثرة عدد الجيش وبطى حركته في عبور النيل . وسلك حمدان طريق " البحر "
 متجها الى القنارف . وفي يوم ٩ فبراير (٢٢ صفر) وصل مشرع ليونة وهناك لحق به
 عبد الله ابراهيم مع الجيخانة . ويبدو ان رسائل يومئذ المستمرة قد اثارت حمدان
 وجعلته يجد في مسيره . وقد وضع استنجاله من خطاب بعث به الى الخليفة

١٤ : النور عنقرة الى حمدان ابي عجه ، ١٢ صفر ١٣٠٥ ، مدينة ٢ / ٤١ / ٦ / ٤٦

من مشرع لويطة يقول فيه " . . . ولذلك سيدي بنيد ان قصدنا سابقا تدريح الذين هم معنا الى ان يتم الوصول بالمركز نقصنا كافة المجاهدين اهل السلاح وخصصنا للمخبخانة الجمال القوية جدا وتمنا ظميرة يميننا هذا جالدين الميرطى بركة الله . . . ونشرنا لكافة الاخوان قدامنا على ان يتصلوا من كافة العوايل والمستقلات وينشطوا

للتغاية . . . " ١٥ وفي يوم ٢ نوفمبر (٢٠ صفر) وصل الجزء الاول من الجيش بقيادة الزاكي والنور عنقرة الى سرف سعيد وانتظروا بها وصول بقية الجيش لودخلوا

معا الى القلابات ١٦ . وفي يوم ١٣ نوفمبر (٢٦ صفر) وصل ابو عنجة الى جيسل بيلة . وفي يوم ١٨ نوفمبر (٤ ربيع اول) دخل حمدان القطارف . وفي يوم ٢٠ نوفمبر (٤ ربيع اول) وصل الى سرف سعيد بعد رحلة شاقة اسرع فيها حمدان المسمير وذلك لان يونس الدكيم كان قد اخبره بان الحوش ينهون الهجوم يوم ٢٠ نوفمبر (٤ ربيع اول) وهو يوافق نفس اليوم الذي هجموا فيه على القلابات في العام الماضي

١٥ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٢ صفر ١٣٠٥ ، مهديّة ١ / ٢٩ / ٢١

١٦ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مهديّة ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٤١

وقتلوا محمد ارياب . ولعل يوسف الدكيم قد ضمن هذا للتاريخ وليس نتيجة
معلومات مؤكدة . ثم اخذ ابو عنجة في ترحيل الجيخانة حيث تم وضعها في
خور أطرب على بعد ساعة ونصف من القلايات . وفي ٢٥ نوفمبر (٩ ربيع اول) تم
اكتمال جميع رايات الجيش ماعدا احمد على الذي وصل براياته البالغ تعدادها
تسعة الاف جندي بعد شهر من وصول حمدان (٣ يناير ٨٨ - ١٨ ربيع ثاني
١٣٠٥) . وراى ابو عنجة ان يكون دخول الجيش الى القلايات على دفعات " بحيث
ان في كل يوم او يومين تاتي سرية لما في ذلك من الرهبة والرعب للكافرين ولكونه
ايح في قلوبهم واشد عليهم من دخول الجيش بأكمله " . وفي يوم ٢٨ نوفمبر
(١١ ربيع اول) بدأ حمدان في ارسال الجيش الى القلايات وفي ٢ ديسمبر (١٦ ربيع
اول) دخل ابو عنجة مع ما تبقى من الجيش ، فكانت جملة راياته تسعا وسبعين
راية^{١٧} . وكان ابو عنجة قد امر بفناء حائط مربع محل نزول الجيش اذ " كانت
القلايات من قبله بدون ترتيب ولا تمييز لاحوال الفارلين " . فرتب كل قبيلة

١٧ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ١٨ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدي ٢٤١/٤/٢٢/١

بمكان متصل ، وكذلك فصل الرايات عن بعضها ، كما امر ببناء أماكن من الطوب
 لحفظ الجبخانه^{١٨} . وهكذا تم وصول حمدان بجيشه الى القلايات بعد رحلة
 دامت ما يقرب من شهرين .

الصراع بين حمدان ابي عنجة ويونس الدكيم :

يرجع هذا الصراع الى بداية تعيين حمدان على رأس الجيش المتوجه للقلايات .
 ولعل الخليفة قد أدرك ان مثل ذلك التعيين قد يشير يونس الدكيم . ولذلك
 كتب الى يونس الدكيم ، قبل تعيين حمدان على القلايات ، يطلب منه ان يرسل
 الى حمدان اخبار الجبهة . ولعل الخليفة قصد بذلك ان يمهّد لتعيين حمدان على
 القلايات . وعندما قرر ارسال حمدان كتب خطابا مطولا الى يونس شرح له فيه
 العوامل والظروف التي أدت الى ارسال حمدان الى القلايات . فذكر ليونس ان
 منطقته بها اعداد كبيرة من الاعداء من حبش وغيرهم ، ونظرا لاهتمام الخليفة بتلك
 المنطقة ولاجل نصرة الدين فقد رأى ان يبعث بابي عنجة على رأس جيش كبير

للمحافظة عليه) • ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن ابن عتجة وعن مكانته وأنه من
 " الأقارب الأحباب الباذلين أنفسهم معنا في السراء والنسراء ومن خاصة الرجال
 الذين يجب العناية لهم وحرمتهم على جميع المؤمنين " فضلا عن أن يؤمن بالنسبة
 للخليفة هو " النفس والحالة الواحدة " • ثم ذكر له أن حمدانا موضع رضائه ورضاء
 يعقوب • وحدثة كيف كانت علاقة حمدان بعثمان آدم عندما كان في كردفان ،
 وكيف أن عثمان آدم كان يحترم حمدانا ويجله ويتأدب معه ويحسن معاملته ومعاملة
 كافة من معه من الأنصار ، وأن عثمان آدم كان يفعل ذلك عملا بوصية الخليفة وأنسه
 بذلك قد شرح صدر الخليفة إذ أن تصرفه مع حمدان كان " كامرنا وزيادة حتى
 نأا الرضا • " وبعد هذه المقدمة طلب الخليفة من يؤمن أن يفيد أنه كان يرغب
 في قدوم حمدان إليه ، وهل هو على استعداد لاحترامه وإكرامه وتوقيره مثل ما فعل
 عثمان آدم ؟ فإن كان على استعداد فعله أن يكتب إلى الخليفة حتى " ينشرح
 صدرى ويتوجه لك الحبيب العذكر وإذا كان لا مقدرة لك على إكرام الحبيب
 نفيدنا لنحرر إليه بعدم الوصول اليك " ^{١٩} لاشك أن هذا الخطاب قد وضع يؤمن

الدكيم في موضع دقيق ، فهو لا يستطيع رفض حمدان قائدا عليه بعد كل ما ذكره
 الخليفة ، وفي نفس الوقت سيجد صعوبة كبيرة في قبوله . ولكن خطاب الخليفة
 كان بارعا فلم يجد يونس مخرجا الا ان يكتب الى الخليفة موافقا على قبول حمدان ،
 وكان رده مقتضيا للفاية ^{٢٠} . في نفس الوقت بعث الخليفة الى حمدان نسخة
 من خطابه الذي بعثه الى يونس .

ورأى الخليفة ان منفصل مكان اقامة جيش حمدان عن جيش يونس ، حتى
 يتفادى اى احتكاك قد ينشب بين القائدين . فكتب الى ابي عنبجة في شيب
 من التلمح قائلا " وعند وصولكم لجهة القلايات ومداولتكم انت والحبیب یونس فی
 محل النزول فالمحل الذى تروا منه اللهاقة لنزول الجيش اذا كان خارج مركز
 فاس یونس او خلاف ذلك تجربوه " ^{٢١} . كما طلب من حمدان بان لا يدع مجالا
 للنشاية بهته وبين يونس ، وذكره بان هو الاخ الاكبر " المأمول فيه جمع الشمل "

٢٠ یونس الدکیم الى الخليفة ، ٧ محرم ١٣٠٥ ، مهدية ١ / ٢٢ / ٤ / ١٩٩

٢١ الخليفة الى حمدان ابي عنبجة ، ٣ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ٥٦ / U.C.

ولعل هذه اشارة الى ان حمدانا هو القائد الاول ، حقا لقد كان الخليفة نسي
 بداية الامر في حرج من امر هذين القائدين ، لحدتهما قريبه ويشق فيه كثيرا ، والثاني
 قائد مقتدر لم مكانة ولم نفوذ وموضع ثقة الخليفة ايضا ، فايهما يؤيد في مركز القيادة ؟
 لعل الخليفة كان اميل الى ابي عنبجة ولكنه لم يشأ ان يخرج قريبه بل وابن عمه .
 وكان الوضع الامثل بالنسبة للخليفة ان يظل يونس الدكيم بجانب حمدان . ولكنه شعر
 بعدم رغبة يونس في ان يكون في المرتبة الثانية . فبدلا من عزله أكثر ان يبقيه في
 القلايات مع الاحتياط لتفادي أي احتكاك بينه وبين حمدان . ولذلك لجأ الى فصل
 جيشه عن جيش حمدان ، ولم تكن فكرة الفصل هذه من غفلة يونس كما قال بذلك
 نعيم شقير^{٢٢} ، وسجل الخليفة قد اقترح انفصال القائدين في عدة امور اخرى وهذا
 ما اشار اليه حمدان بقوله " علمنا من خطوط الاوامر الكريمة اننا طي جماعتنا
 والحبيب يونس على جماعته وتكن الموانقة بين الفريقين في نصره الدين^{٢٣} " ولكن

٢٢ نعيم شقير ، ج ٤ ، ص ١٠٦.

٢٣ حمدان ابو عنبجة ابي الخليفة ، ١٦ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدي ١ / ٢٩ / ١ / ٤٢

ال خليفة رأى ان يشير الى اولوية حمدان بالقيادة دون ان يلجأ الى اصدار اوامر
 مشددة فكتب الى يونس طالبا منه اتباع " اشارة ... حمدان وامثال امره
 ولا يخالفه في شئ " ما ولا تكون له مشاركة في ذلك ... ولأنه لم
 خبرة وتجربة في الحروب " ٢٤ . لقد اتخذ الخليفة كل هذه الاجراءات والاحتياطات
 قبل وصول حمدان الى انقلابات . وهذا دليل على ان الخليفة كان يشعر بمسما
 سيكون عليه مسلك يونس مع ابو عجة .

وعندما وصل حمدان الى انقلابات وجد ان موضوع بيت المال لم يحسم بعد ،
 وصل هو تابع ليونس ام تحت امرته سر . ويبدو ان يونس الدكيم قد اثار صراخا
 في هذا الامر . ان ما ان وصل حمدان الى انقلابات حتى طلب من الخليفة
 ان يعزل محمد حمزة العمراني امين بيت مال الانقلابات والذي كان قد عينه يونس ،
 واقترح استبداله بمحمد ابي القاسم صالح . كما طلب من الخليفة ان يحدد الوضع
 بالنسبة لبيت المال فكتب اليه قائلا بان " بيت المال ماوفقنا فيه من جناب

السادة على اشارة بتصريح ولا تلويح . . . نرجو الارشاد ^{٢٥} "

واقترح حمدان عند وصوله الى القلايات ان ينتقل بجيشه الى الثغوات ليهتد
عن يونس . فكتب الى الخليفة يطلب الاذن بذلك ، وذكر له ان سبب انتقاله الى
الثغوات لانها مستقلة الارض وهراوة هاصمى وفيها " نوعا من التنفيس على الجيش
بدلا عن تراكمه محبلا واحدا " . كما ذكر للخليفة ان جهة القلايات تصبح في زمن
الخريف غير صالحة للحبوانات ويصعب فيها الحركة وتنقطع المواصلات مما يجعل الحصول
على قوت الجيش امرا فيه مشقة وهذا يجعل ضبط الخنود وحفظهم صعبا بالاسم
" يروا الكفاية في المعاني " . وذكر له ايضا ان الجيش منذ وصوله الى القلايات قد
اصيب " بمرض الدم " ، وان هذا المرض يشتد في زمن الخريف ، وقد مات عدد كبير
منه وربما ازداد العدد بعد ذلك . و اشار حمدان كذلك الى ان الخريف فمضى
القلايات يجعل حركة الجيش تتوقف تماما ولا يمكن تحريكه ضد الجيش او الى
جهة اخرى ^{٢٦} . وعلى الرغم من ان ابا عنجة قد قدم حجبا قوية لاقناع الخليفة ليمسح

٢٥ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٦ ربيع اول ١٢٠٥ ، مديدة ١ / ٢٩ / ١ / ٤٣

٢٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٦ جمادى اخر ١٣٠٥ ، مديدة ١ / ٢٩ / ١ / ٩٥

له بالانتقال للقرمات الا ان الخليفة لم يقبل طلبه ورأى انه من الاصلح " جعل
الديم بالقلابات محلا واحدا بحيث يكون تريبا ملتصقا " فذلك " اولى من الفسوق
بينهما لما فيه من وجوه المضار الشتى " . واقترح على ابي عتبة بدلا من الانتقال
الى التومات ان يفصل " بديع " عن يونس الدكيم ^{٢٧} . من الواضح ان الخليفة
لم يشأ ان يفصل جيوشه ويفرقها في عدة جهات مما قد يضعفها عسكريا . ولكن
يبدو انه فيما بعد ، وبعد عزل يونس من القلابات ، قد تبين وجهة الحجج الستى
اوردها حمدان فكتب اليه مقترحا ان ينتقل من القلابات الى عصار لودوكة . ولكن
حمدانا فضل حينئذ ان يبقى بالقلابات فقد حسم في ذلك الوقت الخلاف بينه وبين
يونس ^{٢٨} . وعلى الرغم من ان فكرة الانتقال من القلابات التي اقترحها حمدان قد
غلغها صراعه مع يونس حول السلطة ، الا ان الحجج التي اوردها عن القلابات وعن عدم
صلاحيتها تكشف لنا عن حقيقة هامة وهي ان تلك المنطقة لم تكن صالحة لاستقرار
الانصار بشكل مستديم . ولذلك فقد كان وجود الانصار بها وجودا سطحيا مرتبطا

٢٧ حمدان ابو عتبة الى الخليفة ، ٩ جمادى لخر ١٢٠٥ ، مزنية ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٠٤

٢٨ حمدان ابو عتبة الى الخليفة ، ٢٧ جمادى لخر ١٢٠٥ ، مزنية ، ١ / ٢٩ / ١ / ١١٠

بالوضع العسكري الذي نشأ في ذلك الوقت • ولعل جحافل الانصار كانت تشعر
بغريبتها عن تلك المنطقة •

بعد انقضاء شهر على حمدان في القلايات قام يونس فجأة بالنسليم الكامل له
وتنازل عن " الرايات والجهادية وبيت المال والاسلحة وجميع الآلات الحربية وغيرها " ^{٢٩}
ولكن الخليفة لم يوافق على تلك الخطوة زامر حمدان بان يرد الى يونس " جميع
اشغاله المتنازل عنها ويكن على ما هو عليه " . فما الذي جد في موقف يونس حتى
اتخذ تلك الخطوة ؟ هل لحسن بضعفه لمقام حمدان ، ام لاراد ان يكسب
رضا الخليفة فاطهر الطاعة وعدم الاكتراث بالسلطة ؟ يبدو فعلا ان يونس كان يرمي
الى شيء من هذا القبيل ان تلك المناورة التي قام بها عادت عليه بانقاذ
ان علب الخليفة إعادة سلطاته اليه • ولم يكن تنازله رغبة منه وايثارا لحمدان
بالقيادة •

واستمر يونس يضع المعرقاتيل امام حمدان مما صعب عليه القيام بواجباته •

٢٩ يونس الدكيم الذي الخليفة ، ٢٢ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مصرية ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٠٥

فقد كتب حمدان إلى الخليفة في إبريل (رجب) بأنه منذ وصوله إلى القلايات
 لم يجد " راحة في الدين " فانشطرت إلى السكوت خشية " موجبات الفشل "
 ولأنه وجد " لعرضاً من الكل " فاختصر على حدود ماله من الأوامر والوقوف على
 " أدبنا وصرنا لا حل لدينا ولا ربط ... ولم يكن وقتها حالنا إلا كحال الآخرين " .^{٣٠}

يبدو أن الخليفة قد اقتنع بعد تلك التطورات بعدم جدوى سياسته الخاصة
 بابقاء يونس مع أبي عتبة فقام باستدعائه إلى البقعة في يناير (جماد أول) .
 ومكث يونس الدكيم ملازماً للخليفة " صباح مساء " مدى أربعة أشهر ثم أعاده
 للقلايات في إبريل (رجب) بعد أن نال " حسن التربية وحوزة الفضائل " ، وبعد
 أن أكد الخليفة لحمدان " بأولوية جميع الجيش ... وكذلك الدار وما فيها ...
 مع اعلام الجميع بامتثال الأمر منا " ^{٣١} . ولكن يونس الدكيم لم يبق بالقلايات

٣٠ : حمدان أبو عتجه إلى الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ / ١ / ٢٦ / ١٣٠ / هـ

٣١ : حمدان أبو عتجه إلى الخليفة ، ٢٢ رجب ١٣٠٥ / ١ / ٢٦ / ١٣٢ / هـ

سوى لسبوع عام بعده إلى أمد زمان ، وعين عربى دفع الله زائدا على أولاد العرب والجهادية الذين كانوا تابعين ليوهمس . وهكذا انتهى الصراع بين يونس وحمدان لصالح حمدان . ولعل هذه من المعرات القلائل التى يتعرف فيها الخليفة زائدا من قواده على أحد اقربائه ، ولكن حمدان لى عجة لم يكسب زائدا عاليا بل كان بالنسبة للخليفة من أهم قواده بل ويعتبر فى مرتبة أسرته .

القضاة على محمد البرقاوى الذى ادعى النبوة

وكانت المشكلة الثانية التى واجهت حمدان عند قدومه للقلايات هى مشكلة آدم محمد البرقاوى^{٣٢} الذى ادعى أنه نبي الله عيسى وكان آدم هذا تابعا

٣٢ يقال ان آدم محمد هذا ولد ببرقو . وكان عمره ٢٥ عاما عند قيامه بتلك الدعوة فيكون ميلاده حوالى عام ١٨٦٣ . وهو ، حسب وصف ابو عجة ، شاب لالحية له اخضر اللون يعدل الى صفرة ، مفرق الاسنان السفلى ، مضمض الوجه مربع القامة واسع الجبهة عظيم الرأى اعجى اللسان .

٣٣ انتشرت فى السودان فى ذلك الوقت الدعوة الى نبي الله عيسى والخضر والمهدي المنتظر . ويقول حمدان فى رسالة للخليفة ان فكرة نبي الله عيسى كانت رائجة

لراية الحاج عبد الله البرقلاوي • ويبدو ان ادم قد بدأ دعوته بالاتصال بعبد
الله البرقلاوي الذي آمن بهذا • فقام عبد الله ورتب لقاء في منزله بين ادم وبعض
امراء الرايات ، وكان ذلك اللقاء حول مائدة طعام • وقد لبي تلك الدعوة عدد من
امراء الرايات وهم : محمد عمر المشهور بابي القرشي والذي اصبغ فيما بعد الياسد
اليميني لادم ، ومولانا اسماعيل ، وعيسى احمد ، والطبيب محمد بن البديري ، ومحمد
احمد ابو ام فضالي الحويري ، والطايف احمد وهنون النويل الهباني ، ومحمد
حسين بقادي ، ومحمد علي البرقلاوي ، وعبد الله جاموس • وقام اولئك الامراء
بمبايعة ادم البرقلاوي في ذلك الاجتماع واقسموا على انصحوا وتعاهدوا على ان
يكونوا عوناً لبعضهم البعض وان يكتفوا امرهم فيما بينهم ^{٣٤} • كما قرروا ان يعرضوا

وبما ان دعوة المهدى نفسه كان تعتمد على امر الباطن فقد فتحت المجال
لكل من يريد ان يدعي المهدية • وقد حدث فعلاً ان قام شخص يدعي الفكي
ولد محمد في التوابع وادعى انه المهدى وكان ذلك في نوفمبر ١٨٨٨ ولكنه اعتقل
وارسل الى ابي عجة في القلايات • وعند استجوابه تنازل عن دعواه وسجن •
راجع : فرج الله رجب الى احمد علي ، ١٤ ربيع اول ١٣٠٦ ، مهدي ٢/٤ /
• ٢٨/٢

٣٤ • يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٨ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدي ١/٢٢ / ٤ / ٢٨٣

دعوتهم على يونس في الوقت المناسب فإذا رفضها قاموا بقتله ^{٣٥} . ولكن امرهم
 كشف قبل ان يتمكنوا في تنفيذ مؤامرتهم . فقد قام رجل يدعى محمد البيلاع
 بإبلاغ الخبر الى يونس الدكيم ان حمدان لم يصل بعد . فقام يونس بجمعهم
 في المسجد وولجهم بالتهمة ولكنهم انكروها جميعهم . فعفى عنهم يونس واعتبر
 ما حدث مجرد هفوة . وقد لجأ يونس الى اتخاذ تلك الخطوة السلمية تجاه الحركة
 لانه كان " في قلة لعدم وصول حضرة العكرم حمدان " . يبدو من رسالة يونس
 هذه ان تلك الحركة كانت على جانب كبير من الانتشار حتى انه لم يجرأ على
 مواجهة زعمائها وأثران ينتظر وصول حمدان .

وبعد وصول حمدان الى القلايات يومين طم بالخبر ، فكان في الحال مجلسا
 من نواب الشرع وهم آدم ضو البيت وحامد بلولة وادم علي ^{٣٦} . وضاف اليهم عددا

٣٥ نعزم شقير ، ١٠٦٤

٣٦ في ٢٣ يناير ١٨٨٨ أصبح حامد بلولة رئيسا لنواب الشرع في القلايات .

من النقباء والعمال لمشاركته هو ويونس الاستماع الى اقوال ادم وجماعته • وعند صيا
واجموا ادم بالنسبة لم يفكر هابل قال للمجلس " ان ما قد بلغكم حقيقة وانى اذا
لنبي الله عيسى وان الحق عز وجل اخبرني بانى نبي الله عيسى وكذلك الرسول " •
روافقه بقية جماعته على دعواه بل كانوا " مبالغين فى تصديقهم وايمانهم بما جاء به " •
فقام حمدان بارساله الى السجن هو وجماعته • وبعد ايام اعاد استجوابهم فلم ينزحزحوا
عن رأيهم • وكان امراء الرايات لا يتكلمون امام المجلس الا باذن من ادم^{٣٧} • واستمر
ادم ليقول بان دعواه من امر الباطن وليست من الظاهر مثلاً مثل دعوة المهدي
والانبياء والمرسلين^{٣٨} • فاعادهم حمدان للسجن بعد ان اثقل لرجلهم باسحديده
والبخ الامر للخليفة وطلب مشورته فى الامر • فارسل الخليفة رده فى ٢٧ ديسمبر ٨٧

-
- ٣٧ حمدان ابو عنجة ويونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ ربيع اول ١٣٠٥ هـ ، محمديه ٢ / ٤٣ / ٢ .
- ٣٨ كانت دعوة المهدي ترتكز على امر الباطن وكانت هذه هى حجة المهدي الاساسية
التي اعتمد عليها فى رده على العلماء الذين اعتبرهم اهل ظاهر ولا علم ليهم
بامر المهدي • وقد تعرض الاستاذ عبد الله على ابراهيم لهذه القضية
فى شئى • من تفصيل : عبد الله على ابراهيم ، الصراع بين المهدي والعلماء ،
مطبوعات وحدة ابحاث السودان ، الخرطوم (١٩٦٨)

(٢ ربيع آخر ١٣٠٥) وخلفه أربعة من الأمراء • وطلب الخليفة من حمدان قتل آدم مدعي النبوة وخيره بين قتل الأمراء الذين تابعوه أو العفو عنهم^{٣٩} • كما أرسل عددا من المنشورات إلى الجهادية وانتصار الدين يكذب لهم فيها دعوة آدم ويطلب منهم التمسك بدينهم • كما خاطب أمراء الرايات الذين تبعوا آدم مذكرا بأهم بذائهم للمهدية وجهودهم لتبوءها ، ونصحهم بأن يعلنوا توبتهم أمام حمدان ويونس^{٤٠} •

أما حمدان فقد كون مجلسا لمحاكمة آدم وجماعته ، وأضاف إليه الندوات الأربعة الذين أرسلهم الخليفة من أدرمان • واستقر رأي المجلس على قتل آدم وجماعته • كما تقرر تعيين أمراء جدد للرايات التي تبع أمراءها دعوة آدم ، وأن يكون توبى الأمراء الجدد لراياتهم في مساء يوم ٣٠ ديسمبر (١٤ ربيع آخر) وأن يتم قتل الأمراء المقامرين صباح يوم ٣١ ديسمبر (١٥ ربيع آخر) ، وذلك حتى

٣٩ نعم شقيع • ١٠٦٥-١٠٦٦

• الخليفة إلى محمد أحمد أبو أم فضالي وآخرين ، ٩ ربيع آخر ١٣٠٥ ، مزديّة ،

لأنظر الرايات دون أمراء مما قد يؤدي الى حدوث "خلل فيها" • وفي صباح
اليوم المحدد تم شق آدم محمد وكل أمراء الرايات في سوق القذليات "واحدًا واحدًا"
امام الجيش" • ثم اخذ الأمراء الجدد في اخذ البيعة على يد يونس الدكسم^{٤١} •
ويذكر شقير ان الخليفة قد بحث بكتاب لشمس الى حمدان يرويه فيه قتل آدم وبطلب
من ابي عجة ان يعفو عن اتباعه امراء الرايات ، ولكن خطاب الخليفة وصل القذليات
بعد ان نفذ حمدان حكم الاعدام^{٤٢} • ويبدو ان الخليفة قد تأثر لقتل الامراء
فتجده يقول في "حضرته نهوية" جاءته بعد قتل آدم واتباعه انه عندما سمع
بقتل امراء الرايات الذين تابعوا آدم محمد داخلته "شفقة شديدة" (عليهم)
نظر لسابق اجتماعهم وصحبتهم وسالت الله المغفرة لهم والصفح عنهم وابتغلت الى
الله كثيرا حتى استغفرت لهم سبعين مرة • ثم يقول انه بالرغم مما احسه من
شفقة نحو اولئك الامراء الا انه رأى هاتفا سماويا يدعوه لكشف امرهم فراههم
يتعذبون في نار جهنم • وانهم عندما ظهروا القوية من الرسول ومن المهدي

١ : حمدان ابو عجة ويونس الدكسم الى الخليفة ، ١١ ربيع اشر ١٣٠٥ هـ ، مودية ١/٢٩/١ ، ٥٢/١

٢ : نعم شقير ، ص ١٠٦٧

احالهما الى الخليفة الذي اكتشف انهم لم يتوبوا تماما بل ماتوا على كفر وانهم
 لن يغفر لهم ابدا^{٤٣} . لقد كانت تلك " الحضرة النبوية " ضرورة لازالة التناقض
 الذي نشأ بين خطاب الخليفة الاول الذي يأمر بقتل آدم واتباعه والذي نفذ
 حمدان ، وخطابه الثاني الذي يطلب من حمدان ان يعفو عنهم ، ان اثبتت
 الحضرة ان الامراء قد ماتوا على كفرهم . وبهذا تكون مشكلة آدم محمد قد انتهت
 بسلام بعد ان كانت ان تحدث فتنة وسط الجيش المرابط في القلايات .

مشاكل حمدان لبرنامج الداخلية

لعل اهم هذه المشاكل هي : مشكلة الحدود وتخريب عمال العمالات
 المختلفة ، ومشكلة الغنائم ، وتنظيم الجيش ، ومشاكل القبائل المختلفة ، واخيرا
 مواجهة مجاعة سنة ١٢٠٦ .

رأى الخليفة ضرورة توسيع عمالة القلايات في عهد حمدان ووضع حدود

٣ : الخليفة (حضرة نبوية) ، ٢٢ ربيع الآخر ١٣٠٥ ، مهديّة ١٠ / ٤ / ٤٣ / ٢

معلومة لها حتى لا تختلط مع المدمان ويصبح جمع الزكاة أمرا صعبا • وما جعل
 الخليفة يعمل على توسيع عمالة القلايات كثرة الجيوش المقيمة بها مما يزيد حاجتها
 من الزكاة • وطوله فقد أصبحت حدود القلايات الجديدة تمتد من جهة "السافل" حتى
 الضبابية ومن الشكرية حتى نهر عطبرة ، ومن جهة الغرب "وسافل" القضايف وما يليها
 إلى العتور ، ومن جهة الصعيد غرب عمالة الحمدة • ثم أضيفت لها الحمدة لحد
 عمالة ولد عيسى والقلعة ^{٤٤} • وأضيف إليها فيما بعد بولة والقلعة رانج لتحصي
 الخلال مئوما فقط للمساعدة في غذاء الجيش • ثم أضيف إليها كذلك عمالة الفونج
 من حدود "الطرفاء" حتى اندبية ^{٤٥} • حقا لقد اتسعت عمالة القلايات فـ
 عهد حمدان اتساعا كبيرا ولكن حمدان لم يتفرغ لإدارتها إذ شغل بحروب
 الحبشة أيضا شغل •

وحدث في عهد حمدان بعض التغييرات بين العمال • فقد عزل عبد

٤٤ الخليفة إلى حمدان أبي عجة ، ٢ رمضان ١٣٠٥ ، مصرية صادر رقم ١٥ ، ص ٥٠
 ٥ . محمد الملك ناصر بادي إلى حمدان أبي عجة ، ٢٢ القعدة ١٣٠٥ ، مصرية ،

الباقى خليفة عامل القضاة لكثرة تشكى الاهالى منه واذا انه لهم ، وعين بدلا عنه
 عبد الصادق عمر . وعزل كذلك عبد القادر البشير عامل التجمعات لعدم استقامته
 فقد علم حمدان انه ارسل لاهله مقدار ثمانية الف ريال وعددا من الرقيق . كما
 ان حامد على عامل كملا قد اشتكى كذلك من عبد القادر . فعزل حمدان وولى
 بدلا عنه فرن الله رجب . كما عين عبد الرحمن محمد شرو فى محل محمد ابراهيم
 ٤٦ . وعين انور عنقرة عاملا على سرف سعيد وذلك لتأديب اهل الجبلية
 ٤٧ " وتطهيرهم من حقوق الله . " وعين عبد الله حامد عاملا على الحمدة ، وادم
 الجليل على بيلة . فيتضح من هذه التحولات ان حال المهديّة كانوا اما مشددين
 على الاهالى مطالبين فى اذائهم متعنتين فى اخذ حقوق الله منهم تساعدهم
 السلطة الدينية التى كانت قد ترفع لواءها الدولة المهدية ، ويساعدتهم بعدتهم عن

١ : عبد الرحمن محمد شرو الى الخليفة ، ١٣٠٦ (تاريخ ناقص) ، مهديّة ٨٧/٧٠٢

٢ : انور عنقرة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٦ / ٤ / ٤

مراكز السلطة والمراقبة ، وأما كانوا يكرسون لطلب أوقاتهم في شراء أنفسهم وإرسال
 الأموال إلى ذويهم لحفظها حتى إذا دالت دولتهم عادو إلى بلادهم وعاشوا من
 الثروات التي جمعوها أيام كانوا في السلطة ولا شك أن مثل هذه الأوضاع كانت من
 عوامل عدم الاستقرار وزادت على أعباء الدولة أعباء أخرى .

وكان بيت المال دائما سببا لصراعات كثيرة شهدتها دولة الممهدية . فمنذ
 الأيام الأولى لابي عنجة في القلايات كتب له الخليفة رسالة حدد فيها سياسته فيما
 يختص ببيت المال . وكان الخليفة يرى أن يكون محمد حمزة أمينا عاما لبيت المال
 في القلايات نظرا لمعرفته بالجهة ، وأن تكون الغنائم التي تجمع من الحروب
 تحت مسؤولية شخص آخر يعينه حمدان بمعرفته . وقد أوكل حمدان تلك المهمة
 إلى محمد أحمد رحمة ومحمد ابي القاسم^{٤٨} . ويبدو أن ابا عنجة كان يريد التخلص
 من محمد حمزة الذي كان قد عينه يونس الدكيم . فكان تقسيم بيت المال إلى

٤٨ حمدان ابي عنجة إلى الخليفة ، ٢٠ جلفك اول ١٣٠٥ هـ ، مبدية ، ١ / ٢٩ / ١ / ٧٤

شقين يخوض ارضا* الطرفين • ولكن بعد استدعاء* يونس الدكيم الى مدرمان اجري
 الخليفة تعديلا في ادارة بيت المال مما يرضى حمدان ، فجعل محمد حمزة
 ومحمد ابو القاسم امنا* لبيت المال الموحد ، وعين محمد احمد رحمه ملاحظا عاما
 عليهما ٤٩ • ولكن لم يمض على محمد احمد فتح رحمة سوى بضعة اشهر فمضى
 منصبه حتى امر الخليفة بحل مسنده وجرد بيت المال ، واوكل الى عبد الحليم احمد
 مهمة الجرد ٥٥ • فرد حمدان بان عبد الحليم يرى ان محمد احمد رحمة اذا
 ما حسب وجرد بيت المال فلن يوجد لديه شيء • لان بالقلايات عدد من العملاء

٤٩ حمدان ابي عنجة ابي الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١٣١/١/٢٩/١
 ٥٥ كان طلب الخليفة لجرد بيت المال نتيجة لحدوث بعض "الخبائيات والامور
 المغايرة" في بيت المال في مدرمان ، ما ادى الى جرده • وتم ذلك في سبتمبر/
 اكتوبر ١٨٨٨ (متطلع عام ١٣٠٦) • ويبدو ان ما حدث في بيت مال العموم كان
 مثلهما للصراع بين ابراهيم محمد عدلان امين بيت المال ويعقوب • وتطور ذلك
 الصراع واصبح بين ولد عدلان والخليفة مما ادى في النهاية الى اعدام ولد عدلان فسن
 يناير ١٨٥٠ (جماد الاول ١٣٠٧)

Holt, The Mahdist State, PP. 174-5

حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣٠٦ ، مهديّة ، ١٣٣/١/٢٩/١

المؤمنين بأمور المال ، وأنه كلما ورد شيء من المال من أولئك العملاء فان حمدان يطالع عليه شخصيا . ولكن حمدان وعد الخليفة بأجراء الجرد^{٥١} . على أن عهد حمدان لم يشهد مشاكل مالية كثيرة لان الانصار شغلوا بالحروب مع الحبشة . ولكن الخنائم التي جمعت من تلك الحروب ومن اللاحقة أدت الى مشاكل مالية لعليا كانت أكثر وضوحا في العهد اللاحق .

اما الجيش الذي كان مرابطا في القلايات فقد بدخ ، بعد ضم جيش يونس عليه ، خمسة وخمسين ألفا وستة وخمسة عشر جهاديا . وقد قسم ذلك العدد الى أربعة ارباع كما هي الطريقة المعتادة في المهدي في تقسيم الجيوش . وكان على قيادة الثلاثة ارباع الاولى كل من الزاكي طعل وعبد الله ابراهيم واحمد على . وتل ربع يتكون من جهادية واولاد عرب . وكل الجهادية كانوا مسلحين بالاسلحة النارية . وبعضهم بالسلاح الابيض . وكان الربع الاخير يتكون من ملازمين وجهادية وكان تحت قيادة حمدان .

ورأى حمدان قبل أن يبدأ الحرب مع الحبشة أن يقوم ببعض التعديلات في تركيب الأرباع بحيث يقوى الربيعين اللذين على الجناحين أي ربيع عبد الله إبراهيم وأحمد علي . وأن يقوى كذلك ربيع الوسط تحت قيادة الزاكي . لأن تلك الأرباع في رأيه تصبح بذلك التشكيل في " مجرى لشغل الحراية " . لذلك قام بضم أم هادي حمدون وأدم إسماعيل وفرج الله خليل على ربيع الزاكي ، وأن يكونوا جزءاً من أولاد العرب بذلك الربيع لأنهم من قبائل الحمر والزريقات وأحوالهم وكثافتهم . وأن يسير هؤلاء خلف الجهادية ساعة الحرب . وقام حمدان كذلك بضم كل التكاير على ربيع عبد الله إبراهيم ، وضم أربعمائة بندقية على ربيع أحمد علي^{٥٢} . وقام بذلك بتوزيع التجهيزات التي كان تحت إمرة عيسى دفع الله على الأرباع الثلاثة ليزيد من قوتها^{٥٣} . على أن الخليفة طلب من العملاء أن يختاروا الربيع الذي سينضموا

٥٢ حمدان أبو عتجة إلى الخليفة ، ٢ شعبان ١٣٠٥ ، مهادية ، ١/١٩١/١٤١

٥٣ الخليفة إلى حمدان أبي عتجة ، ربيع أول ١٣٠٦ ، مهادية ، ٢/٣١/٦١١

عليه على الا يسمح بعد ذلك بالتنقل من ربح لآخر لان التنقل من * محل الى محل
يو* دى الى الفشل وانتشيت^{٥٤} . وبناء على ذلك الامر فقد انضمت ست رايات
الى ربح احمد على ، واربعة رايات الى ربح عبد الله ابراهيم^{٥٥} ، واربعة وثمانون راية
الى ربح النزاكي طعل^{٥٦} .

وشهد الجيش المربط بالقلايات ظاهرة هروب المجاهدين من اولاد العرب
والجهادية . وكان سبب وجود تلك الظاهرة هو رغبة بعض القبائل فى الاستقرار

- ٥٤ الخليفة ابنى الحملاء مع عربى دفع الله ، ١١ ربيع اول ١٢٠٦ ، مصرية ، ٢ / ٢١ /
١٣٢ / ٦
٥ - كانت الرايات الاربعة بقيادة كل من : فضل الله محمد العالم ، على ابو
عاقلة ، احمد ولد ادريس وحبيب الله ابراهيم
: كانت هذه الرايات (٨٤) تتكون من القبائل الانية :

جوامعة	١	رايات
الحسنات	٨	"
دار عقيل	٦	"
جمع	٧	"
محارب	٣	"
برقوا	١٠	"
هبانية	٢	راية
سليم	١١	"
اولاد بلد	١٤	"
مختلفة	١١	"
جهادية	٤	"

في المناطق الزراعية لما زهدا في الجهاد أو لان منطقة القلايات كانت شحيحة
 القوت • فالتجأت مجموعات من بعض القبائل الى مناطق النيل والمناطق الزراعية
 الاخرى • ولجأ بعضها لحياتها للنهب والسلب • وقد تفاقم تلك الظاهرة عام
 ١٣٠٦ نسبة لظروف المجاعة • ففي يناير ١٨٨٩ (جماد اول ١٣٠٦) ابلغ محمد
 مدرع وهو احد امراء الرايات بان سبح تباثل من الحسنات قد هربا من القلايات
 واتجهوا نحو النيل الازرق وارضى الجزيرة • وطلب من ابي عنجه ارسال بعض الاشخاص
 الى الجزيرة لتجريد تلك المجموعات كلها الثوارية من "العلايق الدنيوية المعقمة
 عن حضورهم ... وخطبهم وربطهم لحين وصولهم" الى القلايات^{٥٧} • وقد ابلغ
 مربي دفع الله كذلك عن هروب ستمائة وخمسة وتسعين من جهاديين • وكان الجهادية
 لا يتقون بالهروب الى المناطق الزراعية بل كانوا يقومون بارتكاب الكثير من اعمال القتل
 والنهب والسلب وقطع الطرق • حتى كاد الطريق بين القضايف والقلايات ان
 يتوقف تماما لانعدام الامان • وبلغت تلك الظاهرة درجة من الخطورة حتى ان

٥٧ محمد مدرع الى حمدان ابي عنجه ، ١١ جماد اول ١٣٠٦ ، مصرية ، ٢/٣١/٦/١٤٠٠

ابن عنبجة قاتم بابلاغورا للخليفة ، كما قاتم بشنقى خمسة من الجهادية من الذين قبضوا
 ولا يمارسون أعمال النصب^{٥٨} . ولا شك ان مجاعة سنة ١٣٠٦ قد فاقمت تلمسك
 الظاهرة .

حقا لقد نالت مجاعة ١٣٠٦ (١٨٨٨-١٨٨٩) امرا شديدا على دولة المهدية .
 وكان من اهم اسباب تلك المجاعة ترحيل اعداد هائلة من قبائل الغرب الى
 امدردمان حيث ظلوا يعيشون على بيت المال ويشكلون عبئا ثقيلا عليه مما ادى الى
 نفاذ المخزون من الغذاء . كما انهم ادوا الى انهلاك منطقة الجزيرة لاعتمادهم
 عليها اساسا في الحصول على غذائهم . كما ان رحيل تلك القبائل من مناطقها وانضمام
 قبائل اخرى عليها من مناطق مختلفة بغرض الجهاد ادى الى ان فقدت المناطق
 الزراعية اعدادا ضخمة من الايدي العاملة^{٥٩} . وكان لوجود ثلاثة جيوش كبيرة

٥٨ حمدان ابن عنبجة انى الخليفة ، ٢٣ محرم ١٣٠٦ ، مصرية ، ٢٠٢ / ٢١

٥٩ مكى شبيكه ، عبر القرون ، ص ٣٦٢

مرابطة في القلايات ودنقلا ودارفور ان تفاقمت المشكلة كثيرا^{٦٠} . وكانت امدرمان كثيرا ما تستنجد بالمناطق الغنية للحصول على المواد الغذائية . فهذا هو حمدان يرسل الى الخليفة عشرين الف ريال منها تسعة الاف " قشلى " والباقي " مجيدى " وذلك لان امدرمان كانت مشحونة بالمهاجرين والانصار من سائر الجهات . ثم جاء خريف عام ١٨٨٨ (١٣٠٥ / ١٣٠٦) شحيحا فنادى الى حدوث المجاعة وكانت وطأة المجاعة في بداية الامر خفيفة على المناطق الزراعية مثل منطقة القصارف ، ولكن اعتماد المناطق الاخرى عليها جعل اثر المجاعة يزحف عليها كذلك . وتركزت سياسة الخليفة في اطعام امدرمان اولا وتوفير الغذاء فيها على حساب المناطق الاخرى . وكانت معارضة ولد عدلان لهذه السياسة سببا في نهائيه^{٦١} .

فكفى نقذت تلك السياسة بالنسبة للقصارف ؟

لعل الخليفة قد احس بوقوع الكارثة عندما جاء الخريف ضعيفا ، ولذلك قام

Holt, The Mahdist State, P. 173

Ibid, pp. 174-5

باستدعاء حمدان في سبتمبر ١٨٨٨ (مطلع عام ١٣٠٦) حيث وصل الى امدرمان
 في ٣ نوفمبر ٨٨ (٢٨ صفر ١٣٠٦) • وقد علم الخليفة من حمدان عن احوال تلك
 المنطقة من الناحية الغذائية • ولم يمكث حمدان في امدرمان اكثر من اسبوعين اذ
 كان في طريقه الى القضايف في منتصف نوفمبر (ال نصف الاول من ربيع اول) • وقضى
 ابر عنتجة شهرا بالقضايف بالرغم من كثرة الرسائل التي وردت اليه من احمد عيسى ،
 وكوله بالقلابات ، يستعجل حضوره • وكان يقاء حمدان تلك الفترة لاهتمامه بالضيق
 الذي كان يعاني منه الانتصار في القضايف بالرغم من انهم في منطقة زراعية ، لاهتمامه
 كذلك " بتشغيل ما هو لازم لقوت ^{انتصار} الدين " في امدرمان ، وقد بذل مجهودا كبيرا
 في اداء تلك المهمة كما شدد كذلك على الاهالي لتنفيذ سياسته ^{٦٢} • واستطاع
 حمدان ان يرسل الى امدرمان ثقب وخمسائة جملا محملا بالذرة كدفعة أولى •
 وفي القضايف وضح حمدان الاجراءات الاقتصادية التي قرر اتخاذها لمواجهة

٦٢ حمدان ابر عنتجة الى الخليفة ، ٢٧ ربيع اول ١٣٠٦ ، مقدية ٢٤٦ / ٢ / ٢٠ / ١

المجاعة • وتتلخص تلك الاجراءات في " عدم المداولة بالبيع والشراء عند هذا
 في سعيش... وان يكون البيع فيه يسوق مركز الرباط " بالنسبة لاصحاب الذرة
 الذين في اماكنهم ترحيل محمولهم الى القلايات ^{٦٣} ، اما الذين لا يملكون وسيلة
 للترحيل فيمكنهم ان يبيعوا في القضارف ودوكة وعصار والتومات • ماعدى ذلك
 فغير مسموح ببيع اى ذرة خارج هذه المراكز في " الحلالات " ^{٦٤} . وقد اتخذ حمدان
 ذلك الاجراء لان الذرة كانت تباع بأثمان باهظة لارسالها الى كسلا وسواكن وبربر
 بينما كانت الجيوش فوق القلايات تعاني من الضيق في المعاش • لذلك اتخذ
 ذلك القرار ببيع الذرة في المراكز الهامة حيث يمكن ان يفرش عليها رقائصه •
 ولان الخليفة لم يوافق على تلك الاجراءات التي اتخذها حمدان لان فيها اجحافا
 على المناطق الاخرى • فكتب اليه قائلا " بما انه حاصل ضيق في اتمعاش
 بجهة كسلا وسواكن وان الجهتين ليس بهما زرع وان [لغالب العيوش بجهة القضارف]

٦٣ المصدر السابق

٦٤ حمدان لهو غنجة الى الخليفة ، ٢٨ ربيع لخر ١٣٠٦ ، مودية ، ٧٠٢ / ٧٥

فيجب ان توه كدوا طين فرج الله رجب وعيد الصادق بعدم منح العيش من التوجه
 لجبهة حامد على وشعان دقنة^{٦٥} . والحق الخليفة اوامره هذه . باوامر اخرى يطلب
 فيها من حمدان السماح لوكيل بيت المال في امدردمان بشراء الذرة من القصارف لان
 امدردمان " هي المربض للجيش ووفود الاسلام^{٦٦} " . ويبدو ان الخليفة قد افترض
 على سياسة حمدان لانه كان قد سبق ولحقى امين بيت المال في امدردمان لمرأ ليسمح
 للتجار من امدردمان وكسلا بشراء الذرة من القصارف^{٦٧} .

على ان حمدان لم يوافق الخليفة تماما على رايه فكتب اليه يدافع عن سياسته
 التي قررها . تذكّر للخليفة انه عندما وصل الى القصارف وجدها في حالة " كرب
 لعدم المعاش " ووجد الاهالي يبيعون الذرة للتجار من كسلا وسواكن وبربره ولذلك
 شفقة منه بالانصار فقد قرر اتخاذ تلك السياسة اذ ان حرية البيع خارج المراكز

٥٠ : حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٢٨ ربيع اخر ١٣٠٦ ، مديية ، ٧٥/٧٠٢

٦١ : حمدان ابو^{عجة} الى الخليفة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٦ ، مديية ٧٧/٧٠٢

٦٢ : Holt, The Mahdist State, pp. 173-4

"ستوعدي الي الانذلات"^{٦٨} .

وتحت وطأة المجاعة اضطر حمدان الي صرف الغذاءات للجيش بالنمويس—
 ختموها في منطقة القضايف • فقام بعض امرأه الرايات بكتابة اسماء وهمية اضافوها
 الي راياتهم وذلك طمعاً " في غير ما يبالونه من عرض الدنيا " ، حتى بلغ عدد
 الجيش في الرايات اثنين وسبعين الف وثلاثمائة واثنين وثمانين جندياً • ولذلك قام
 ابو عجة باجراء جرد كامل للجيش " رايه رايه قبيلة قبيله " ، فوجد ان الزيادة
 في العدد بلغت ثمانية عشرة الف وخمسمائة وستة شخصاً جميعهم " هوايدية " لم يقابلها
 احد في الوجود " • وقد بلغ جملة ما كان يصرف للجيش في كل مرة تسعة عشر الف
 وثمانمئة وسبعة واربعين ريالاً ، بواقع ربع ريال لكل فرد^{٦٩} • كانت هذه هي
 الاجراءات التي واجهت بها دولة المهدي المجاعة الكبرى في المنطقة • ولاشك ان
 المجاعة قد عطلت عطية الجواد والحروب مع الحبشة هذا بجانب انارها العامسة

٦٨ حمدان ابو عجة الي الخليفة ، ١ جماد ثاني ١٣٠٦ ، مهدي ، ١ / ٢٩ / ٢ / ٢٦٥

٦٩ حمدان ابو عجة الي الخليفة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٦ ، مهدي ، ١ / ٣٠ / ٢ / ٢٦٣

التي شهدتها كل بلاد اتحاد دولة المهدية • كما ان المجاعة لم تنفخ في ذلك
العام بل امتدت حتى عود الزكي طحل •

حمدان ابو عجة والحبشة

لاشك ان اهم اعمال حمدان في الفترة التي قضاها في القضايف - القلايات
كانت علاقته السياسية والتجارية والعسكرية مع الحبشة • فهي لا تغفل فصلا هاما في
تاريخ حمدان فحسب ، بل في تاريخ المهدية كلها • وفي تناولنا لتاريخ هذه
العلاقة يمكننا ان نقسمها الى خمسة فترات : الفترة الاولى التي قضاها حمدان في
التجسس على اخبار الحبش وتحسس قوتهم وتحركاتهم والوقوف على حقيقة المعساةة
والنقادية الذين كانوا يقومون بعملية التبادل التجاري بين البلدين • والفترة الثانية
وتشمل حرب حمدان مع الراس مدار واحتلال حمدان لقنذار • والفترة الثالثة التي
ظل فيها حمدان في القلايات ساعيا للتعرف على احوال الحبش وتحركاتهم ، والتي
سمح فيها كذلك باستمرار عملية التبادل التجاري • اما الفترة الرابعة فتشمل غسرة
حمدان الثانية للحبشة • واخيرا الفترة الخامسة التي فشلت فيها المساعي السلمية

بين البلدين وبداية استعداداتهما العسكرية لجولة أخرى •

عند قدوم حمدان إلى القلايات للمرة الأولى كان يحمل معه خطاباً من الخليفة إلى يوحنا • وكان ذلك الخطاب هو الخطاب الثاني الذي يبعثه الخليفة إلى النقص • على أن الخطاب الأخير يختلف في روجه وفي منحاؤه عن الخطاب الأول • ففي رسالته الثانية حدد الخليفة أشياء معينة ليوحنا وهي الدخول في الإسلام والانقضاء في سلك اتباع المهدي والنطق بالشهادتين وإقامة شعائر الإسلام في بلاده • ويتحدث في نفس الرسالة عن انتصارات المهدي على الحبشة ولكن يطلب من يوحنا أن ينسحب ذلك باعتبار " ماضى نقد فات " • ثم يتوعد قائلاً " وإن ... لم تنزل على لعراضه عن إجابة داعي المهدي وأصرارك على دين الكفر واتباع الهوى فأعلم أنك تعير من الهالكين ... ولا يد من حلول جيوش الإسلام بدارك ومناجزتك الحرب وقطع دابر وقتل كل من يكون معك " ٢٠ لعل من الواضح في هذا الخطاب أن موقف الخليفة

٢٠ الخليفة إلى يوحنا، ١٣٠٥، مهديّة صادر رقم ١٣، ص ٣٥

لا يرد ذكر الشمر في هذه الرسالة ولكن من الأرجح أنها كتبت حوالي ربيع أول وهو نفس الشهر الذي تحرك فيه حمدان إلى عتجة من أمدردان قاصداً القلايات

لقتنع بآراء يوحنا لن يترشح عن موقفه فإثر استعمال اسلوب اللدغة • وربما لأنه

فوق هذه المرة يتحدث من موقف القوة بعد ان أصبح حمدان فوق طريقه الى القلايات •

وطبق كل فني هذا الخطاب يحدد سياسة العهدية تجاه الحيشة في هذه الفترة •

وقبل ان يعمل حمدان الى القلايات تولت اليه اخبار تحركات الحيشة في جهة

تبارك الله امانة النور فقرا ومحمد الامين ٢١ • فني منتصف نوفمبر ١٨٨٧ (بداية ربيع

اول ١٣٠٥) وردت رسالة من النور فقرا الى ابي حجة يفيد فيها ان جواسيسه تمسك

لشبهوه بـلان الحيشة ينوون اللجج على تبارك الله • وانسبه

يخشى تكرار ما حدث في العام الماضي ولذلك فقد ارسل فسيو طلب نجدة

من مؤنس الدكيم • الا ان حمدان قد طلب منه ان ينتظر حتى يحوله النسي

القلايات • ولكن ولد فقرا كان يرى عدم التأخير لان " حكومة " - احد عميد الضبانية -

والتكريم الملتجئين ببلدة نقارة • جميعهم متريحين لكن يجدوا اي فرصة سانحة

ينجمون فيها • وثانيا لان دجاج تسعي القائد الحيشة في تلك المنطقة قد سافر الى

صاحب حمدان منه شخصا يدعى محمد الامين وهو ابن سلطان البجربة وقد عينه

الخليفة عاملا وطلب منه ان يتعاون مع النور فقرا •

يوحنا ، وترك بدلا عنه " ويرى ام بايه " وكهلا عنه ، وهذه فرصة سانحة للاتصال
 ليهاجموا فيها ^{٢٢} . وكرر ولد فقرا طلبه باستعجال ارسال النجدات في اليوم التالي و اضاف
 ان الحبش في ذلك الوقت " مضايقين " من الطليان " وان يوحنا قد ترجس
 بجيشه لملاقاتهم ولم يبق على الحدود بقية من جيشه . ويخشى ولد فقرا ان
 يتحد الحبش مع " الطليان " فتضيع تلك الفرصة . ويضيف ولد فقرا بان يوحنا
 قام باستدعاء كل قواده مثل راس عدار ورأس مكانيين ومليك للاجتماع به في غبشة
 للتشاور في امورهم الحربية ، وان لم بايه وعجيل قد صحا اولئك القواد الى ذلك
 الاجتماع . وكان النور فقرا قد استلم رسالة من الجبنة في الحبشة يطلبون فيها
 ارسال نجدة اليهم ليقوموا مع دعوة المهدية . فلكل تلك الاسباب مجتمعة يرى ولد
 فقرا ارسال نجدة من " الاخوان اولوا العزم " ليهاجم بهم على الحبش ويخرب ديارهم .
 ويقترح اذا كان ارسال النجدة امرا صعبا ان يسمح له حمدان بالهجوم على
 الحبش بمداخنة عبد القادر للبشير . ويرى ولد فقرا ان يأخذ عنصر المبادرة

بالهجوم قبل ان يفعل ذلك اعوان الحبش امثال " حكومة " ^{٧٣} . اما حمدان فقد
 اصر على رايه الاول ولم ير داعيا للاسراع بالهجوم ولذلك لم يرسل اى نجدات الى
 ولد فقرا بالرغم من الحاجة ومطالباته المستمرة . ولعل حمدان كان يريد ان يتعرف
 أولا على طبيعة الوضع في القلايات قبل القيام باى اعمال حربية . اولعله شغل في
 بداية عهده هناك بالخماد فتنه ادم البرقاوى . ولكن يبدو ان الاخبار التي اوردها
 النور فقرا عن غفلة الحبش وانشغالهم بامور اخرى قد جعلت حمدان يقترح للخليفة
 بان يقوم بهجوم على الحبش على غفلة وهذا في رايه " ابلغ من القعود لهمسم
 محلا واحدا حتى يتم استعدادهم ويكونوا في غاية الانتظام لامرهم " . ويرى حمدان
 كذلك انها عرصة سانحة لان موقف صالح ادريس بدأ يتدهور امام الحبش وانهم
 اصبحوا غير راضين عند ويفكرون في طرده وابعاده . ^{٧٤}

وجاء رد للخليفة على اقتراح النور فقرا وعلى اقتراح حمدان وكانت ردوده

٧٣ انور فقرا الى حمدان الى غنجة ، ١٤ ربيع اول ١٣٠٥ ، ممدية ، ١٠ / ٣ / ١٤٧

٧٤ حمدان الى غنجة الى الخليفة ، ١٤ ربيع اول ١٣٠٥ ، ممدية ، ١ / ١ / ٣٦

قاطعة وواضحة • اما فيما يختص بالموقف في تبارك الله فهو يرى ان الاخبار الخاصة
 بتجوم الحبش ما هي الا " اشاعات فارغة " ، اذ ان الحبش مهتمين اساسا بجهة
 القانيات • وحتى القلايات فهم غير مهتمين بها في ذلك الوقت لان يوحنا مؤتم اساسا
 بامر الايطاليين ، وقد ذهب الى مصوع لاجراء صلح معهم • ولكن طوى الرغم من
 تلك التحركات فان الخليفة حذر حمدان بان لا يغفل عن الحبش ، لان الحبش والايطاليين
 كلاهما من الكفار وربما اشاعوا انشغالهم عن دولة المهدية حتى يغفل الانتصار ويكونوا
 في " عدم اهبة " فيجتمعوا عليهم بغتة ^{٧٥} • اما فيما يختص باقتراح حمدان
 فهو يرى ان يقوم حمدان اولا بالتأكد من مقدرة جيشه على ملاقات الحبش لان لقلب
 جنوده من المستجدين الذين لم يسبق لهم لقاء العدو في جرداد " مثل الحرايات
 الشديدة " ويقترح على حمدان ان يقسم جيشه على مجموعات حسب مدرتها على القتال
 بعد ان يجري عليهم فحصا دقيقا حتى يتضح له صاحب العزم القوي من غيره •
 عليه كذلك ان يتأكد من سكان القلايات اذ ان لقلبهم " ليسوا صادقين ومتعكس

الفدائى من قلوبهم والتكاثر المسموع عنهم انهم منافقين وليس لهم امان • " وبعد
 ان يضع الخليفة كل تلك الاحتياطات يقترح الا يقوم الانصار بالهجوم اولا بل يستعدوا
 فى مكانهم وينتظروا قدم الحبيب اليهم • ^{٧٦} ولعل الذى دفع الخليفة الى ذلك
 التحفظ خوفه من ان يكون هجوم الانصار فاشلا بعد ان وضع املا كبيرا على ابى عتبة •
 فبذء السياسة الدفاعية التى اقترحها الخليفة لم تكن سياسة عامة للمهدية تجسدها
 الحبشة بقدر ما هى موقف املئ ظروفا وقتية •

وفى ذلك الشهر الاول الذى قضاه حمدان فى القلايات كثر ورود النقاديسه
 اليه مباشرة لعمالهم التجارية • وكان ابوعبقة يتحدث معهم دائما فى امور الدين
 محاولا ادخالهم فى حظيرة المهديه • وكان النقاديسه يردون على حمدان بانهم
 " مساكين ليسوا من الحرابة للدين فى شىء " وانما الاماس فى حركاتهم من كبرائهم •
 فاعتاهم حمدان الامان • ولعله بهذا كان يحاول ان يزيل اثار يونس الدكيم
 العدوانية عندما قام بالتحدى على قوافلهم التجارية • ونتيجة لتلك الاجراءات فقد

٧٨
 أعداء الله وتفرق كلمتهم * " فرد أبو عنجة على الخليفة بأن حضر النقادية
 فعلا فيه ثمة دينية لأنهم لا يحضرون للتجارة فحسب بل لأنهم يهربون من الأذى
 الذي يقاسونه من الحبش ، إلى بلاد المهدي لما فيها من عدل * ويرى أيضا
 أنهم يحضروهم إلى القلايات * يرون تحزب لندبار الدين وكثرة العدة والعدد
 المرمب لأعداء الدين ثم يرجعونهم هناك يزدادون الذين هم هناك من أخبارهم رعبا
 على رعبهم * " ويرى ثالثا أن " الثمرة التي هي ابلح من ذلك " أن زعيم
 النقادية نقاض رأس كان قد حضر إلى القلايات وأن أبا عنجة قام بكسوته بلباس
 الانتصار * وعندما يرجع إلى بلاده فالعاملون أن يعود معه عدد كبير من قومه ، كما
 أنه بعد حمدانا بأن يأتيه بأخبار الحبش وتحركاتهم ٧٩ * ونتيجة لهذه السياسة

٧٨ الخليفة إلى حمدان أبي عنجة ، ٣ ربيع لخر ١٣٠٥ ، ممدية ، ٦٠ / ٧٠٧
 لم يكن تخوف الخليفة من التجار وانتقامهم بأنهم جواسيس يقتصر على النقادية
 فحسب بل - كان يشمل أساسا التجار القادمين من مصر لأنهم فعلا كانوا
 يقومون بأعمال التجسس لصالح المخابرات البريطانية - المصرية

٧٩ حمدان أبي عنجة إلى الخليفة ، ١٠ ربيع لخر ١٣٠٥ ، ممدية ، ٥٤ / ١ / ١١ / ١١

فقد بلغ عدد الفراد القائلة حوالي مائتي شخص ، وإن ابا عنجة اشترى من احدى تلك القوافل ثلاثين حصانا وهو عدد كبير نسبيا • ولكن الخليفة حذر حمدانا والانصار عامة الا يركبوا كنية الى النقدية ان انهم في اعتقادهم جواسيس لانهم اذا كانوا عفا مؤمنين فعليهم باعلان اسلامهم والحضور الى البقعة • ^{٨٠} قد اصبغ الشك في النقدية هو الصفة المائدة لمياسة المدينة نحوهم • ولكن حتى ذلك الشك لم يعرقل نشاط الحركة التجارية • ولعلنا نلاحظ ان موقف الخليفة تجاههم قد تحول عن ذي قبل ، فبينما كان من قبل يرى ان يسمح لهم بالحضور الى القلايسات ليستفيد الانصار من شراء حاجياتهم ، عاد ليفزع شروطا جديدة لحضورهم ، فاعتبر المصلحة الدينية هي الاساس لاستئناف النشاط التجاري •

ولاحظ الخليفة ان حمدانا قد اهتم بك كثيرا باحوال الاهالي واهل التجسس على احوال الحبش وتحركاتهم ، فكتب اليه مشيرا الى هذا التقصير • ولكن حمدانا نعى عن نفسه التقصير واخبر الخليفة بأنه منصرف لمعرفة تحركات الحبش ، وأنه يدقق

في اختيار الطارح التي يبحث بها إلى الحبشة ، وأنه مهتم في إرسالها بانظام .
 وكان قد وصلت إلى أبي عبيدة بعض الاخبار التي تفيد بأن الحبش غير موجود يسمون
 على جهة القلايات ، ولذلك قرر ان يدير إلى بلادهم وان يقوم باحتلال قنطار على
 حين غلة . وأنه واثق من ان الجبهة سيجمعون عليه بما ان يدخل بلاد الحبش .
 ولكنه عدل عن تنفيذ تلك الخطة تمسها مع رأي الخليفة الذي ينادي بالاحمد
 بجانب الحذر . ولكنه هذا منتصف ديسمبر (اواخر ربيع ثخر) وهو على اية الاستعداد
 وكل الجيوش خارج البلد في " العرضة " ^{٨١} . واستبدل ابو عبيدة فكرة الغزو بالتركيز
 على معرفة اخبار الحبش . فتأكدت له الاخبار السابقة من ان يوحنا مشغول مع
 الاثيوبيين في مصر وان الجهات الغربية من بلاد الحبشة خالية تماما ^{٨٢} . وكان

٨١ حمدان ابو عبيدة إلى الخليفة ، ربيع ثخر ١٢٠٥ ، بريدية ، ٢٠٢ / ٦٦

لا يرد اليوم الذي كتبت فيه هذه الرسالة ولكنها في الخالب كتبت في بداية
 ربيع ثاني لانها كانت ردا على رسالة الخليفة في ٢٢ ربيع اول . وبما ان الرسالة
 تستغرق اسبوعا من الخرطوم للقلايات فيكون اليوم هو مطلع ربيع ثاني.

٨٢ حمدان ابو عبيدة إلى الخليفة ، ١ ربيع ثخر ١٢٠٥ ، بريدية ، ٢٠٢ / ٦٤

في امكان حمدان ان يقوم بغزو تلك المنطقة في منتصف ديسمبر (بداية ربيع اخر)
لولا حادثة ادم البرقاوي التي كان يجب معالجتها بحزم • وبقي حمدان في انقلابات
وجيشه في حالة استعداد للجهد ، فقد اخرج كل الارباع خارج سور البلدة ووضع
كل ربيع على جهة من الجهات ، وقسم عليهم الاسلحة والذخيرة • وأكد للخليفة بانه
تصرف " المنظر كلية عن التوجه للاعداء في ارضهم الا من بعد المرمى جدا مما
نرسله لهم من الطلائع " وانه مهتم بعملية التجسس على اخبارهم ^{٨٣} •

من الواضح ان الخليفة كان متشددًا في مسألة التأكد من اخبار الجيش وفوتهم
لانه لا يريد ان يفتح بقعة جيشه لأول مرة خارج حدوده الى ارض غريبة غنى
مخامرة قد تكون غير مضمونة العواقب • لقد كان حرص الخليفة وتدقيقه ، انا ، امرا
طبيعيا • ولعل تلك الدقة هي من ضمن الظواهر التي تعكس مقدرته القيادية
ومدى وزنه للامور • فقد ظل حمدان قرابة شهر ونصف وهو يبحث للخليفة بما

١٦٢ حمدان ابن عتبة ابن الخليفة ، ٥ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مزنية ، ١ / ١ / ١ / ٥٣

يتيئه من اخبار الحبش ، والخليفة لا يوافق على توجهه الى الحبش ، فقد كان طوال تلك المدة غير مطمئن الى صحة تلك الاخبار .

وفي منتصف يناير ١٨٨٨ (نهاية ربيع اخر ١٣٠٥) تأكد الخليفة من ان الحبش فعلا يخطط منسجلين مع الايطاليين وان امر عملية حربية في ذلك الوقت ستكون نتائجها مضمونة . وقد عبر الخليفة عن احساسه بالرضا بتلك النتيجة في " حضرة نبوية " قابل فيها الرسول والمهدي ونبي الله عيسى والخضر ، وان الرسول قال للخليفة " قد حصل لك الاذن بغزو الحبش في بلادهم " ، ثم قام الرسول وكبير على الحبش مسرورا وكبير معه جميع الحاضرين . وقام المهدي بعد ذلك وقيل الخليفة على خده وكسان مسرورا ومنسجحا منه ^{٨٤} . ويقول الكردفاني ان الخليفة قام بعد تلك " الحضرة بارسال اوامره لحمدان ليقوم بغزو الحبش ^{٨٥} . ولكن حمدانا قرر غزو الحبشة يوم ١٠ / يناير ٨٨ (٢٥ ربيع اخر) وتحرك من القلايات يوم ١١ يناير ٨٨ (٢٦ ربيع اخر) وقد ذكر

٨٤ الخليفة (حضرة نبوية) ، ٢١ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهديّة صادرة رقم ١٢ ، ص ١

٨٥ الطراز المنقوش ، ص ٧٦

للخليفة بأن قيامه كان لاقتناعه بأن رأس عدار قد وصل إلى دمبيا ولذلك رأى أمير
 عنجة أن يقوم بمواجهته . رأى أن يقوم بتلك الغزوة كذلك " لتراكم الجيوش
 بالقلابات وخشية تفريقها لداعي الجوع الذي منها من عدم الخلال . . . مع شدة
 الأمراض من دم وخلافة " ^{٨٦} . كما أن قيام حمدان كان بغتة ولم يخبر جنوده
 بأنهم متوجهون لمحاربة الحبش وذلك حرصا على مفاجأة العدو . فإذا كان قيام
 حمدان بغتة والجمعة التي يقصدها ظلت مجهولة على جنوده فمعنى هذا أنه هو
 الذي اتخذ القرار بالغزو . فإذا أضفنا إلى هذا أن الخليفة كان قد بعث إلى
 حمدان رسالة في ١٥ يناير ١٨٨٠ (١ جماد أول ١٣٠٥) يوافقها على قراره بالقيام
 بالغزو وأن تلك الرسالة قد تضمنت " الحضرة النبوية السابقة " ^{٨٧} ، فيكون حمدان هو
 الذي اتخذ القرار ، ثم قام بإرسال خطاب إلى الخليفة مع شخص يدعى إدريس
 عواض ، يخبره فيه بقراره وبمحتركه من القلايات . " فالحضرة النبوية " التي جاءت

١٦ حمدان أبو عنجة إلى الخليفة ، ٢٦ ربيع لخر ١٣٠٥ ، مصرية ، ١ / ٢٦ / ١ / ١٣
 ١٧ الخليفة إلى حمدان أبي عنجة ، ١ جماد أول ١٣٠٥ ، مصرية ، ٧٠٢ / بدون ترميز

للخليفة والتي بموجبها قرر غزو الحبشة تكون قد جاءت للخليفة لما بعض الصدمة
في ذلك الوقت بأن يكون قد توصل الى ضرورة الغزو في نفس الوقت الذي انخس
فيه حمدان قراره ، او تكون تلك الحشرة قد جاءت بعد وصول رسالة من حمدان
يخبره فيها بنية القيام للغزو . وفي كلا الحالتين فان ما ذكره الكرد لغاني من ان
الخليفة هو الذي قرر فكرة غزو الحبشة قول غير دقيق .

تحرل ابو عنجة من القلايات ضحي يوم ١١ يناير ٨٨ (٢٦ ربيع اخر ١٣٠٥)
وكان بصحبته خمسة عشر افس مجاهد بأسلحة نارية وخمسة عشر الفا بالسلاح الابيض .
وكان حمدان قد اجري كشفا دقيقا لكل الجيش بالقلايات فبلغ حملة المجاهدين
واحد واربعين الفا وثلاثمائة وستين ، اخذ منهم كل حملة الاسلحة النارية ، ونصف
حملة السلاح الابيض وترك الباقي بالقلايات لان اقلهم كان مصاب بالحصى و " الكرو " .
وصرف لكل بندقية ستة دسنة من التجهيزات " ثلاثة منها بالفشكهلتي وثلاثة بالنسج " .
وكانت خطة حمدان ان يعبر على طريق شلقة الى دسبيا ، وكان يعتقد انها على مسافة

اربعة ايام من القلايات • وفي اليوم التالي من قيامهم تابلتهم قلعة من القلاية اكدت
لهم وجود الراس عدار بدعيها ووجود يوحنا بهلاك التقري^{٨٩} •

وبعد مسيرة اسبوع (١٢ يناير ٨٨ - ٣ جماد اول ١٣٠٥) تراءت لحمدان

طلائع جيش الراس عدار • فقام ابو عتبة بترتيب جيشه استعدادا للمعركة • وكان

يصحب حمدان كل قواد وشم الزاكي طفل وعبد الله ابراهيم واحمد علي ومحمد ايسو

القاسم صالح • اما عربى دفع الله فقد^{بقي} بالقلايات حسب اوامر الخليفة ولم يصحب

الحملة كما ذكر الكردفاني^{٩٠} • فقام حمدان بتقسيم جيشه الى اربعة ارباع تمتد على

خط واحد • وفي المقدمة وضع حملة الاسلحة النارية • وخلف ربح الزاكي طفل •

يقم في الوسط • كان حمدان ومعه العائزين " واهل النجدة وخفاف الحركة " • ومن

خلفه وضع حملة الرماح والسيوف كل مجموعة خلف الرمح الذي تنتمي اليه • ووضع

الخيالة على الجبهة الجيش • وبهذا الوضع يصبح حمدان في قلب الجيش في موقف

١ : حمدان ابو عتبة الى الخليفة ، ١٢ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مئدية ١ / ٢٩ / ١ / ٦٥

٢ : الطراز المنقوش ، ص ٨٠

يمكنه من الاشراف على كل الارباع بحيث اذا طرأ على احدها ضعف يقوم بعده بالرجال .
 وسار ابو عنجة بذلك الوئع حتى التقى بطلان الحبش وكانوا نحو من خمسين الف فارس .
 وعندما بلغ حمدان منهم مرمى الرصاص امطرهم بوابل منه حتى هلك عدد كبير من
 الحبش وانتهت المعركة بانتصار حمدان . وفي الليل جاءت فرقة من الحبش لغارة
 الانصار وهم في معسكرهم على مقربة من جيش الراس عدار ولكن الانصار قاموا بعدها ^{٩١} .

وفي صباح ١٨ يناير ٨٨ (٤ جماد اول ١٣٠٥) صلى حمدان بجيشه صلاة
 الصبح وزحف على اسراس عدار . وكان عدار يقف على راس مائة واربعين الف مقاتل
 جميعهم - حسب المعلومات التي ادلى بها الجبرته - من كچام ، شلقه ، طاقسه ، ووديبيا .
 وبادر الحبش بالغرب اولا باربعة مدافع ثم بالبنادق . واستمر الانصار سائرين نحوهم
 دون ان يسمح لهم حمدان بالغرب حتى تحقق " بان افواه السلاح امتلات من اعداء الله
 فوقتها شرعا في ضربهم " بالرصاص " ماحجب الشمس " . وبعد ساعة انهزم الحبش
 وغروا من امام الانصار ملتجئين بنهر قريب . وبلغ عدد الغاريين نحو من عشرة الاف .

٩١ حمدان ابو عنجة ابن الخليفة ، ١٥ - جماد ١٣٠٥ ، مئذية ، ١ / ٢١ / ٢٦

أما رأس عدار فقد نجى بنفسه وترك أبناءه وأخيه لدرسر • وبعد مطاردة دامت
عشر ساعات ، عاد الانتصار إلى معسكر الرأس عدار وشرعوا في جمع الغنائم • وكان
عدد القتلى قد بلغ سبعة وعشرين ألفاً وعدد الأسرى تسعة آلاف^{٩٢} • ويبدو أن
هذه الأرقام مبالغ فيها ولكن مهما كانت درجة المبالغة فيها فإنها تعكس ضعف
المرتدة وفداحة خسائر الحبش • وفهم الانتصار كل منافع الرأس عدار من ملايين وحلوى
وأثاث وأرسلت جميعاً إلى الخليفة • كما أرسل حمدان إلى الخليفة بمرور من بعض
مادة الحبش • وبقي أبو عنبجة في معسكر لرأس عدار ثلاثة أيام كان يرسل خلالها
الطلائع يحذرون شمالاً دون أن يعثر للحبش على أثر • وكانت حالة المعسكر سيئة ،
وبلغ من كثرة القتلى أن أصبحت رائحته " منقطة من جيف أعداء الله "^{٩٣}

وفي يوم ٢١ يناير ٨٨ (٧ جمادى إلى ١٣٠٥) تحرر أبو عنبجة قائداً قنذار •

وفي الطريق قابلهم بعض سكان المدينة ولقيهم في الأمان • وعند ما قرب من المدينة

٩٢. الطراز المنقوش ، ص ٨٣-٨٥

٩٣. حمدان أبو عنبجة إلى الخليفة ، ١٥ جمادى أول ١٣٠٥ ، مهدية ٦٠٢/٦٠٢

خس اليه " كبراييها من مسلمي الجيبرت بالضاعة والاذعان " . وفي يوم ٢٣ يناير
 ٨٨ (٩ جماد اول) دخل حمدان مدينة قنذار فوجد ان اغلب اهله قد هجروها
 بعدما علموا بما حل بجيش الراس عدار . وفي قنذار ، شاهد الانصار " عجبا مسن
 القصور الشامخات (واحرقوا) اربعين كنيسة " ^{٩٤} ووجد حمدان اربعة قس بالمدينة
 كان قد عثر عليهم عبد الرحيم سالم ابودقل وبعد انذام ابراهيم . نمنح حمدان قتلتم
 واعظامهم الامان ^{٩٥} . وعندما لم يجد حمدان اثرا لجيش الحبش ، كررابعها فوصل
 اليه وهني في ٢٩ يناير ٨٨ (١٥ جماد اول) . وفي يوم ٣ فبراير ٨٨ (١٠ جماد
 اول) دخل القلايات . ولم يكن وصوله في منتصف فبراير (اوائل جماد اخر) كما
 ذكر الكردفاني . لان حمدانا كان قد كتب الي الخليفة يوم ٢ فبراير ٨٨ (١٩ جماد
 اول) انه على مسافة ساعتين من القلايات وانه توقف لجرد الجيش قبل دخوله
 القلايات ^{٩٦} .

-
- ٩٤ الطراز المنقوش ، ص ٨٧-٨٨
 ٩٥ صالح محمد نور (تحقيق) ، مخطوطة يوسف ميخائيل ، (يهبط) رسالة دكتوراه لجامعة
 لندن - غير منشورة ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤
 ٩٦ حمدان ابو عنجة الي الخليفة ، ١٩ جماد اول ١٣٠٥ ، مدينة ١ / ٢٩ / ١ / ٧٣

وقد لخص ابو عنتجة للخليفة المغزى من تلك الغزوة بقوله " ونفضل الله غنق

راى الكفار سطوة المؤدية ورأى قلوب جميع اهل دارهم مع ما وقفنا عليه من قياس ارضهم ومعرفة

الاغلب من جهاتنا وفى شقة حزب الله الغالب لدار الحبشة عبرة لولى الالبساب

اذ انوا من عجب العجايب " ^{٩٧} . وبلغ شدة الانصار فى تلك المعارك خمسمائة

وتسعة عشر ، وجرحاهم خمسمائة وثلاثة وستين وعادوا بكميات من الغنائم بلغت نحواً من

اربعمائة واربعه وسبعين من الخيول ، وثلاثمائة وستة وعشرين بغلاً ، وثلاثة الاف

وستمائة وسبعة واربعين حملاً ، وثلاثة الاف واربعمائة وخمسة واربعين من الرقيق ، واربعة

عشرة قطعة من ملابس القسس ، وتمنع وستين قطعة من ملابس وثلاث رؤساء الحبش ،

وخمسمائة واربع بندقية من مختلف الانواع . وكان الخليفة قد ذكر حمدنا بأرسال

الخصم الى طريقه . ^{٩٨} وبلغ عدد الجيوش الذين انضموا الى الانصار الف واربعمائة وسنة .

وقد ولج الانصار فى تلك الغزوة صعوبات جمه متمثلة فى وعورة الطريق وكثرة الجبال

٩٧ حمدان ابو عنتجه الر الخليفة ، ١٥ جماد اول ١٢٠٥ ، مؤدية ، ١ / ١ / ١ / ١ / ١ / ١

٩٨ المصدر السابق

والمرتفعات . ولكنهم ، كما يدعى حمدان ، قد لاقوا العديد من " الكرامات " فقد كانت الاشجار تسقط على الارض بشمارها ، كما ان الجيش شامد نورا ابدا ينير الطريق ، وكانوا في ساعة لثقتال يسمعون صوت " ام بايا " ^{٩٩} .

ولكن لماذا عاد حمدان الى القلعات دون ان يستأنف زحفه ، او يبقى في قنذار ويحصل على تحصينها ؟ لقد اعطى حمدان تبريرا لعودته من قنذار في رسالة بعثها الى الخليفة قال فيها " لقد كانت اوفنا للمركز كوعدا للملاحم وعدم التصريح الذاتي من قبل هذا في اقامتنا بدار الحبيشة والتوجه لما يلزم من الجبهات ولان الاخبار قد انقطعت من جهتنا على السيادة من مدة فلذلك حصرنا بالسلطة ^{١٠٠} " .

ففي هذه الرسالة يذكر ابو عنجة اربعة اسباب لرجوعه ولكنها لا تكفي لتفسير عودة ذلك الجيش المنتصر وقدم احتفاظه بانتصاره . فاذا كان الصيب الرئيسي هو عدم تصريح الخليفة للجيش بالبقاء في الحبيشة ، فلماذا لم يصرح الخليفة بذلك ؟ لاشك

٩٩ الخليفة الى حمدان ابو عنجة ، ٢٢ جماد اول ١٣٠٥ ، مدينية ١٥٥/٥/٢١/٢

١٠٠ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٩ جماد اول ١٣٠٥ ، مدينية ، ٢٢/١/٢١/١

ان العامل الجغرافى كان من اهم تلك الاسباب • فطبيعة الارض الجبلية وشمارة
الامطار وبرودة الجو كثيرا لاتناسب الانصار الذين لم يالفوا تلك الظروف الجغرافية
الخشيفة • فاذا علمنا ان فصل الخريف كان وشيك البداية وهو خريف عنيف خصوصا
فى المناطق المرتفعة وانه يودى الى قطع طرق المواصلات لادركنا ان العودة كانت
فعلا امرا ضروريا • ثانيا فان طبيعة حروب المهدية فى تلك المنطقة لم تكن حروب
توسعية بقدر ما هى غزوات اما من أجل الغنائم او لتحريك الجيوش وشغله بدلا من
الاحتفاظ به فترة طويلة فى حالة ساقطة • فالحبشة على خلاف مصر لم تكن مجالا
لتوسع المهدية • ولهذا كانت حروب المهدية فى تلك المنطقة اما حروب غزوات
من أجل استيلاء اوبعض الاعمال شبه البوليمية او حروب دفاعية • وعليه فمع
القذبات كانت اكثر ملاءمة لتنفيذ تلك السياسة من قنطار التى تبعد كثيرا عن مركز
تمويل الجيوش وتقع وسط ارض جبلية • ثالثا لم يجد الانصار اقبالا صادقا من الجبيرة •
والجبيرة الذين انشعوا اليهم فعلوا ذلك خوفا من جيوش المهدية لاعتقادهم بانها باقية
بينهم ، والا لبقوا على ولائهم للحبشة ، او ، كما قال حمدان ، هربوا مثلما فعل

الحبس وتفرقوا في المناطق الجبلية المختلفة ^{١٠١} . كما ان بقية سكان المنطقة لم يكن
يؤش بهم فقد بدرت منهم عدة اعمال عدائية ، ولذلك فان عملية التوسع الحربي
في منطقة معادية تصبح عملية شاقة ^{١٠٢} . رابعا فقد كانت تلك الحملة نتيجة ظروف
معينة اهمها ان يوحنا وبعض قواده كانوا منشغلين مع الايطاليين/جعل المنطقة
القريبة من القلايات شبه خالية من الخضر . ومن تلك الظروف ايضا ان عدد الجيوش
في القلايات اصبح كبيرا ولا بد من وجود غذاء له عن طريق الحرب وقد كانت
تتدار نفسها مدينة هامة ومركزا تجاريا مشهورا ، وكان الانصار يعتقدون ان هذا بالنسبة
للحبش " لم مدائنهم " ، ولذلك كان الانصار يفتخرون بوجود ثروات طائلة بها .
وكذلك فان عودة حمدان الى القلايات لم تكن امرا غريبا بل هي تتماشى مع السياسة
الحاكمة لدولة المهديية ، تلك المنطقة .

مكث ابو عجة في القلايات من منتصف فبراير حتى منتصف يونيو (اخر جماد اول -

١٠١ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ١٥ جماد اول ١٣٠٥ هـ ، مهديية ، ١ / ١٦ / ١٢

١٠٢ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٢٩ جماد اول ١٣٠٥ هـ ، مهديية ، ١ / ٢١ / ١٣

آخر رمضان) قيل أن يقوم بغزوته الثانية إلى الحبشة • وفي تلك الشهور الأربعة
وجه أبو عنجة اهتمامه إلى انمات الحركة التجارية والتجسس على أخبار الحبش وإلى
اجراءه بعض الاتصالات السلمية مع بعض رؤساءهم بالذات الرئيس عسدار
ومليك •

بالرغم من الحرب التي دارت بين الانصار والحبش ، فإن عملية التبادل التجاري
بين البلدين استمرت على ماكانت عليه • فقد كانت سياسة المهدية نحو النقاديسمة
لا تتأثر بالعلاقة بين البلدين بل باحتياجات دولة المهدية نفسها • فحينما كان
حضورهم إلى القلايات أمرا ضروريا لمنفعة المجاهدين ، وحينما آخر - ككرة وجواسيس
ولابد من إيقاظهم • وبعد عودة حمدان من قندار لاحظ أن "النقادية أهل التجارة
من جبرته ومكاداة" ما زالوا يقدون على القلايات • وكان أبو عنجة قد قابل جماعة منهم
وهو في طريقه إلى قندار وأعطاهم الأمان وعقد ما عاد إلى القلايات وجددهم على
لهبة العودة • ولم يكن حمدان يدري هل يتركهم يواصلون أعمالهم التجارية أم
يمنعهم عن الحضور بناتنا^{١٠٢} • وكان أبو عنجة يرى في عودة النقادية ما يمكنه

من الوقوف على اخبار الحيش ، اولعله اراد بهذا الحجة ان يقطع الخليفة حتى لا يمنع
 في استمرار الحركة التجارية . وكان حمدان قد رأى في تلك الحركة التجارية منفعة
 للمنطقة خصوصاً وان انتصاره الاخير على الحبشة قد جعل النقادية يفدون على القلايات
 لبيع تجارتهم للانتصار الذين امتلأت اياديهم بغنائم الحيش . فقد شهدت الايام
 التي اعقبت عودة حمدان الى القلايات انفوجاً كبيرة من النقادية فقد تكاثرت عددهم
 " على غير الطاقة بكل يوم دفعة او دفعتين . . . [وكانوا] لكثرتهم اذا وصل الديم
 . . . اوديم في اول وقت صلاة الظهر لا يتقطع لخرهم الى المغرب " . وكانوا
 يدخلون القلايات بعد ان ينزعوا الصلجان (العتب) عن اعناقهم ، كما ان بعضهم
 جاء " متجرداً من كل الحوائث " ليستقر في دولة المهديّة ^{١٠٤} . والحقيقة فان اولئك
 النقادية هم فئة من التجار تجرى وراء مصالحهم بغض النظر عن ارتباطاتهم الدينية .
 وكان اغلب النقادية المترددين على القلايات من الجبهة والامهرة من جزيرة شلقة
 وطافسة . اما المكادة فقد قل عددهم بعد الحرب بشكل ملحوظ . ولكن

١٠٤ حمدان ابو عنبه الس الخليفة ، ٢٢ رمضان ١٣٠٥ ، هـ ١ / ٢٩ / ١ / ١٨٦

الخليفة بدأ يتشكك في تزايد النشاط التجاري وكثرة النقادية الواردة من الحبشة واعتقد للخليفة ان الحبش قد قصدوا من تصعيد الحركة التجارية السيى اضعاف المسلمين بلخارج المعاملة منهم " حتى باتى الوقت الذى تصاب فيه دولته المهدية بانعدام النقود • ولذلك امر بقفل " جميع البغازات " ماعدى القلايات وذلك لثقلته فى حملان وحسن ادارته للامور • كما امر حمدانا بان يمنع اى معاملة تجارية بالنقد سواه كان رباالات او ذهب ، وان تكون المعاملة مع النقادية بالسلع والقطن والسلع الاخرى ، اى ان تكون التجارة بالمقايضة • وكان من نتائج ذلك الاجراء ان انخفضت التجارة وقل الوارد من الخيول والبقر والبغال والحسل^{١٠٥} •

اما جهة تبارك الله والنعيمات فلم تعرف استقرارا كالذى لقيته منطقة القلايات وظلت عرضة لهجمات عجيل وجماعته بغرض السلب والنهب ، واحيانا بغرض المناورات • وقد كانت غبته مركز عجيل عامرة لانها لم تتعرض للحرب مثل غبيرة

وندمها . وعندما كثرت غارات عجيل وتعددت قرر ابو عنجة ان يقوم بمحاربتهم
 في فصل الصيف ، ولكن الخليفة رأى ان يصبر حمدان بالهجوم حتى تراج جهمة
 تبارك الله قليلا ^{١٠٧} . فقرر حمدان ان يقوم يوم ١٩ مارس (٣ رجب) لهذئة المنطقة ،
 ولكنه وهو على وشك التحرك وصلته انها " عودة يومئذ اندكهم فتأخر لملاقاته وشغل
 بعدها . بمشاكل داخلية اخرى ولم يتمكن من محاربة عجيل . ولكنه قام بالتشديد على
 يوزار تبارك الله والتومات حيث بعث بفجعات حربية الى هناك . ويبدو ان تلك
 الجهة حظيت بشيء من الاستقرار بعد ذلك ان اخذت جماعات من انصار عجيل
 يهجون معسكره ويعودون الى التومات وتبارك الله طالبين الامان لما اصابهم من
 الجوع من عدم الاستقرار وتعدد المنزويات ^{١٠٨} .

بعد ان عاد حمدان من حملته الاخيرة على الحيشة رأى ان يستغل انتصاره
 الحربي سياسيا ، فبعث بعدة رسائل و " اذارات " الى بعض قادة الحيشة

١٠٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٩ جماد آخر ١٣٠٥ ، مزنية ، ١ / ٢٦ / ١٠٥

١٠٨ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ شعبان ١٣٠٥ ، مزنية ، ١ / ٢٦ / ١٠٥

خصوصا الراس عدار ومنليك ^{١٠٩} . كانت اول رسالة بعثها حمدان الى راس عدار
 في ٤ فبراير ٨٨ ١ ٢١١ جماد اول) . وفي تلك الرسالة توعده ابو عنجة وذكره بانتصاره
 الاخير على الحبش وقال له * وفي علمكم اننا ما دمنا بهذه الدار لان دعنا من التكسير
 حتى نؤمن بالله وحده وتنطق بالشهادتين فبذا انذارنا لكم وها
 نحن في انتظار ما يرد منكم اما السلم بقبول الاسلام واما الحرب * ^{١١٠} . ووصل رد
 الراس عدار في ١٩ فبراير (٦ جماد لآخر) مع رجلين من الجبزة . وقد طلب راس عدار
 التسلح مع حمدان وعرض شراء اسرى الحبش من الانتصار على ان يرد للانتصار اسرا حسم
 الذين اخذوا في المعركة التي استشهد فيها ولد ارباب . واكد انه على استعداد
 لدفع الجزية ^{١١١} . ورد عليه حمدان رد قاطعا ان قال له بانه لا يريد الدنسم .

-
- ١ . بلغت تلك الرسائل في مجموعها ١٨ رسالة وكلها متشابهة في صنفها
 ٢ . حمدان ابو عنجة الى الراس عدار ، ٢١ (؟) ١٣٠٥ ، مزنية ، ١ / ٣٤ / ١٣ / ٤٠
 هذه الرسالة لم يرد فيها الشهر ولكنه " جماد اول " وقد اعتمدت على هذا
 التحديد من رسالة بعث بها حمدان الى الخليفة .
 مزنية ، ١ / ٢١ / ٧٧ .
 اما تحديد رسالة حمدان الى راس عدار فيؤمن النص الذي بعثه الى بقية رؤساء الحبش .
 ١١١ ورد تلخيصا لرسالة الراس عدار في خطاب لحمدان بعثه الى راس عدار
 نفسه راجع ، ١ / ٣٤ / ١ / ١

ولازخرفها لانها ذاهبة وكل ما يريد منه ان ينطق بالشهادتين وان ينتزع الصليب من
 عنقه وان يقبض على المفسدين امثال صالح الدريس والفكي العضوي عبد الرحمن ومجبل
 ويبعث بهم اليه ^{١١٢} . وكان ابو عنجة ينوي ان يرسل الى راس عدار بنته التي وقعت
 في الاسر، ولكنه قرر اخيرا ان يبقيا في القلايات حتى يصل ردا من ابوها . ولكن البنت
 ماتت لمرض . ثم بنا فارس حمدان خطابا رقيقا الى عدار استعمله بان " الموت حق
 لا منجى لكل حي بعد الله منه " . ثم اخبره بان ابنته " هلكت بالقضاء " . وبعمست
 بجاريتهما اليه ليؤكد بنفسه من صدق حديثه . ثم اخبره بان ابنه مكن " في امان
 وعفى جرح الرصاص " الذي اصابه في المعارك الاخيرة . واخيرا طلب منه دخول
 الاسلام والا " فلا صلح الا للحرب واشتداد الشرب حتى يهلك الله اعداءه " ^{١١٣} ورد
 راس عدار بخطاب رقيق خاطب فيه حمدانا بقوله " حبيبى فى الله حضرة جناب
 الامير حمدان ابو عنجة امير امراء بقعة القلايات " . ثم تحدث له عن اكرامه لابنائيه

١١٢ المصدر السابق

١١٣ حمدان ابو عنجة الى راس عدار ، ١٥ جماد لشر ١٣٠٥ ، مصرية ، ١ / ٣٤ / ١١ / ٣٢

وعوائله وان هذا الكرم قد جعله في غاية "المنونية" ، ثم طلب ارسال ابنه حتى
 يأتى في "غاية الفرن والمنونية من جهنكم حيث اننا لم نرغب من جهنكم الا ان
 يكون بيننا غاية المعبة ٥٥٥ ولا نسمع في كل ما يكون بيننا قول قاتيل ناسد" ١١٤
 لاشك ان نوعا من الصداقة النودية قد نشأ بين القائدين حتى اعتقد حمدان ان الراس
 عدار مسلم للمندية لولا وجود منليك الذي يحول بينه وبين ذلك ١١٥ . هل كان
 راس عدار حقا ينوى عقد صلح مع الانتصار بعد استزائهم التي نقيها على ايديهم ،
 ام كان يحاول فقط كسب الوقت لانه في موقف حربي ضعيف ولان يوحنا ومعس
 تغلب الجيوش ما زال مشغولا مع الايطاليين ؟ لعل راس عدار قد اضطر فعلا باي
 عنة وبمقدرته الحربية وبحسره معاملته لابنائهم الذين وقعوا في الاسر ، ولكنه كان
 ايضا يحاول كسب الوقت وتغاضي اس هجم عليه وهو في موقف ضعيف لذلك كان

١١٤ تكلا هيانوت (راس عدار) الى حمدان ابن عنة ، غاية شعبان ١٣٠٥ هـ ، مندية ،

١٦٢ / ١١ / ٢٤ / ١

١١٥ حمدان ابو عنة الى الخليفة ، ١٥ رمضان ١٢٠٥ هـ ، مندية ، ١ / ٢٠ / ١٢٠٥

لبن الجانب حتى اعتقد حمدان انه مسلم للمهدية .

وبدأت صلات حمدان بمنليك بنفس الرسالة التي لفت بعثها الى راس عدار ،

الا ان منليك لم يعطهم مع ابى عنجة في معركة حربية بعد ، لانه كان طوال تلك

المدّة بعيدا عن منطقة الحدود . وبعد انتصار حمدان الاخير قام يوحنا بارسال

منليك الى الجبهة الغربية بتفويض كامل . فقام منليك من ديرتاير الى قنديل ومنها

الى دهبيا ^{١١٦} . وقد انتزع حمدان لتلك الاخبار وكانت سببا في تأخير الحملة

التي كان ينوي لخارجها ضد عجيل . فقام ابو عنجة باجراء الاستعدادات اللازمة

فاخرج " قلعة امباراندين واسرايات والسلاح والجهد خاتمة بالبرازة خارجا عن الديم" ^{١١٧}

ثما بعث بخطاب الى منليك ذكره بما عى " بمجموع الضلال التي هي مع عدو الله

راس عدار " تم اخبره بانو قد علم من امير اسيرتة انه " مسلم وامن مسلم ويحب

المسلمين واسمك احمد النبشير " . ثم قال لمنليك انه اذا كان حضوره لديرتاير

١١٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٦ رجب ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٢٣

١١٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ رجب ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٢٥

حيث في الاسلام ورغبة في الانضمام للانتصار فان حمدانا يحده بان يعينه امير على
 عموم ارض الحبشة ، اما اذا كان مصرا على الكفر وعناد الله فان حمدانا يتوعد قائلاً
 " باننا مستعدون لصدك وتدميرك بعون الله وقوته وان لم تأتنا بمسئلتك" ^{١١٨} .
 ووصلت لخبار اكيدة الى حمدان بان منليك قد وصل فعلاً ووضع يده على كافسمة
 " تعلقات النفس يوحنا . . . وحتى بيوتهم . . . ونزل في واحد منهم بالفعل ووضع يده
 على ارض قجام وكافة جنات راس عدار وغيرها من نواحي امدار" وان منليك قد
 فعل ذلك بعد موت يوحنا ^{١١٩} . ولكن الخليفة نفي لابي عنجة خبر موت يوحنا
 وخبره بان النفس يستعد لمحاربة الانتصار في فصل الصيف وأنه قد أوكل الجهمسة
 الايطالية للراس الولا ^{١٢٠} .

وفي منتصف ابريل (اواخر رجب) تأكد لابي عنجة وصول منليك بجهات دمبيا
 وان جيشه بمكان يسمى شين قبروه يقع بين دبرناهر ودمبيا . وقد نيه منليك

١١٨ حمدان ابو عنجة الى منليك ، ٩ رجب ١٣٠٥ ، مزديّة ، ١ / ٢١ / ١ / ١٠٤
 ١١٩ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ ، مزديّة ، ١ / ١١ / ١ / ١٢٩
 ١٢٠ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٢٩ رجب ١٣٠٥ ، مزديّة ، ٢ / ٣١ / ٥ / ١٢٤

على جيشه بالاعتقاد . استعمال الدقيق في الكهف نسبة لخلول الرحلة ، مما جعل حمدان يستنتج انه يفوى الوصول الى الغلابات . وكان ابو عنجة قد سمع بان منليك ينوي فعلا وصول الغلابات واقامة ثلاثة كنائس بها ، وينوي كذلك مهاجمة حمدان على حين غلة ^{١٢١} . وفي هذا الاثناء ارسل منليك خطابا الى ابي عنجة يستفسره عن امر رسالة استلمها منليك من حمدان وفيها يطلب حمدان من منليك ان يقوم باجسراء الصلح بينه وبين- يوحنا ، وبما ان الرسالة ليس بها ختم ولا تاريخ فقد شك منليك في صحتها ولذلك كتب الى حمدان مستفسرا ^{١٢٢} . ورد عليه حمدان بخطاب مخول ملاء بالارشاد والموعظة ، ونفى مسألة طلب الصلح نفيًا باتًا قائلا " وبالجميع لا نريد منكم صلحا الا بدخولكم الاسلام ورفضكم دين الفرة اعداء الله اللبام وهدت الاصنام " . وهدده وتوعده واخبره بانته مستعد بجيشه للحرب . ثم استعجله

١٢١ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ؟ رجب ١٣٠٥ هـ ، مديدة ، ١ / ٢١ / ١٢٦

في الغالب ان هذه الرسالة كتبت يوم ٢٦ رجب .

١٢٢ منليك الى حمدان ابي عنجة ، ١ رجب ١٣٠٥ هـ ، مديدة ، ١ / ٢٤ / ١٢٦

الرد بالخبر بان هذا سيكون آخر خطاب يرسله له ^{١٢٣} . ويدعى حمدان ابن منليك
 ارسل خطابا الى امير الجيعة في القلايات يطلب منه ان يحصل له على تأكيد من
 حمدان على الصحف بان حمدانا سيجعل منليك فعلا اميرا على كل بلاد الحبشة .
 وقد وعد منليك في خطابه بانه اذا عين اميرا فانه سيصالح الانصار ويجاهد معهم حتى
 ضد يوحنا نفسه . وكان رد فعل حمدان على الاقتراح " هيهات ان ينسل الصلح
 سوى الشرب بالعضب والورود للمنازل النائية " ^{١٢٤} . ولاشك ان رفض
 حمدان لطلب منليك - اذا كان ما ادعاه حمدان صحيحا - كان يعتمد فيه على
 انتصاراته الاخيرة التي حققها فقد كان معتدا بقوة وعقده حتى انه قام باطلاع
 رسول منليك على كل اسلحته وعقده حتى يقوم بإبلاغ ذلك لمنليك . كما ارسل
 لمنليك جبة الانصار لتكون اساسا لاي صلح ، فلما الدخول في سلك المهديين او
 الحرب ^{١٢٥} . وبهذا يكون حمدان قد أغلق اى باب كان يمكن ان يكون منفذا الى

١٢٣ حمدان ابو عوجة الى منليك ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٣٥ / ٧ / ١١٥
 ١٢٤ حمدان ابو عوجة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٤٠
 ١٢٥ حمدان ابو عوجة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٣٨

نوع من الاتفاق ودعى الى الحرب ، ولم يبق بعد ذلك الا الصدام مع منليك .
ولكن منليك لم يواصل زحفه على القلايات بل كر راجعا من بجارة الى دهرتابور
وهنا الى شوا . وكانت اسباب ذلك التحول ان يوحفا قد اشتبك في حرب مع
الايطاليين ولم يشأ ان يفتح جبهة ثانية مع الانتصار ولذلك ارسل الى منليك يطلب منه
ان ينسحب من دميا ويعود ادراجه . كما بعث باثنين من قواده ليقوما بجمع
البركة من الغلال وان يحفظاها في جبل " بركستان " وذلك استعداد للحرب .
كما ان اقتراب فصل الخريف سيحد من حركة منليك ولذلك قرر العودة ليستعد لاستئناف
الحرب بعد فصل الخريف . وكان منليك يشجع للنقادية وهو في طريق عودته انه
قد ابرم صلحا مع الانتصار . وهرى ابو عنجة ان سبب تلك الدعوة ان منليك كان يريد ان
ياخذ من النقادية ما يريد من بضائعهم معتمدا على ذلك الصلح الوهمي .
منليك يسعى لجمع البركة من الغذاء لجيشه اثناء فصل الخريف . وفي

١٢٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ شعبان ١٣٠٥ هـ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١٢٦

١٢٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٥ رمضان ١٣٠٥ هـ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١٢٧

منتصف يوندة (أواخر رمضان) تأكد حمدان أن منليك قد جاوز دهرتابور وأنه في جهة
 دهر من متجهما إلى شواء . وبهذا استطاعت جهة الانقلابات أن ترتاح قليلا ، فالراس
 عدار قد هزم وهو ساعى إلى إبرام صلح مع الانتصار ، ومنليك متجه بجيشه إلى شواء ،
 والخريف سيصبح جدارا يحمي الانتصار لفترة من الزمن .

وفي تلك الفترة التي توقفت فيها العمليات الحربية حقق الانتصار نصرا سياسيا
 على الحبش . وذلك أن اللن قرد ، ابن الإمبراطور السابق شيودور ، أرسل يطلب
 الانضمام إلى الانتصار . فقد كان اللن على عداوة شديدة مع يوحنا الذي انتصب
 منه الملك ^{١٢٨} . فأرسل حمدان يدعوه إلى الانقلابات وبعث له بجيعة الانتصار ودعاه
 للإسلام . وفي ٢٠ أبريل ٨٨ (شعبان ١٣٠٥) وصل اللن قرد إلى الانقلابات واسلم
 وسمي نفسه عبد الرحمن . وكان أبو عنجة يرى أن يعطيه راية ويبحث به إلى أهله
 ليعلن الجهاد ويرفع راية المهديّة هناك ^{١٢٩} . على أن حمدانا عدل عن تلك الفكرة

١٢٨ - حمدان أبو عنجة إلى الخليفة ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٥٧

١٢٩ - حمدان أبو عنجة إلى الخليفة ، ١٩ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٥٣

تلك الفترة وفضل ارسال عبد الرحمن الى امدردمان لمقاومة الخليفة ، وارسله فعلا يوم ٢ مايو ٨٨ (٢٠ شعبان ١٣٠٥) ومعه رهط من الجبهة . فاكرم الخليفة وفادته وراى ان يعود عبد الرحمن الى اهله قبل انلاء الانهر والوديان ليدعمو للمندية . وسواء صحب هذه القصة اولم تصح ، وسواء احدث عبد الرحمن فعلا تأثيرا حقيقيا في اهله او لم يحدث ، فان تلك الحادثة قد دل على تفهم قادة الانصار لاهمية حرب الدعاية واستغلال كل العوامل الممكنة في الحرب . ويبدو ان عبد الرحمن قد عاد فعلا الى اهله ولكنه لم يمتنع ان يحدث اثرا فعالا فلم يسرد ذكره بعد ذلك ، ولعل الاحداث الكبيرة التي عاشتها المنطقة بعد ذلك ، تسببت ابتلحته في دولتها .

عندما احسن ابو عنجة بان الحيش لن يستطيعوا مهاجمة في ذلك اسبقت وان رو "سأ" هم قد بعدوا عن جزئته ، وان الخريف سيحول دون تحركاتهم كرار ان يقوم " بانتهاز الفرصة في اعداء الدين ايام الخريفية هذه " ١٣٠ ولعل هذه

الفكرة كانت تنسوي على مفامرة كبيرة ولكنها بلاشك خطوة جريئة لما فيها من مفاضة
 وجرأة . وقد عبر الخليفة عن موافقته في " حضرة نبوية " رأى فيها أن الحبش " إذا
 حضروا للتحراية تكون أيديهم مغلولة التي اعتاقهم واننا منعشرون عليهم " ١٣١ . وربما
 كانت تلك " الحضرة " إشارة لحدثية حمدان ليغزو الحبش . وقد أوضح
 حمدان أهداف حملة الخريف وخطتها في قوله " انها مكيدة اردناها وخرصة لايسد
 من انتهازها ولقد عولنا على ان تستكمل خريفنا هذا ببلادهم يشن الغارات عليهم
 من كل جهة ومكان وتخريب عمران دورهم وفساد مزارعهم وتضعضع الخنى والحافر
 والصداف المساعى منهم حيث كانت ان هذا هو الوقت الذى فيه مكيدتهم " ١٣٢
 ثم ينود الى القذبات قبل تمكن الخريف . ورأى ان يكتم خبر الجهة التي سيتوجه
 اليها عن " الخاصة والعامة " حتى لا تفقد الغزوة عنصر المفاجأة .

تحرك ابو عنجة من القلايات يوم ١٧ يونية ٨٨٠ (٧ شوال ١٣٠٥) ومعه احد

١٣١ الخليفة ، (حضرة نبوية) ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مئدية ، صادر رقم ١٢ ، ٩

١٣٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢١ شوال ١٣٠٥ ، مئدية ، ١ / ٢٦ / ١٠٠ / ١٠٠

عشر ألف بندقية رامتون هذا بخلاف الأنواع الأخرى وبخلاف الأسلحة البيضاء ،
وثلاثمائة صندوق جبهة لثلاثمائة ألف ليرة أخرى فيما بعد ، وعدد من المدافع .

١٣٣

وسار بطريق طقة ورجل فو ، مساء نفس اليوم إلى كعمى . وفي ٢١ يونيو

(١١ شوال) وصل نهر عطيرة فوجد أنه لا يمنع تحركات الجيش كلفة . ومن هناك

سار على طريق بين طقة وشلقة وهو طريق اتفق أهل الدار أنه أحسن الطرق لأنه

" صاف لجميع البحار والأودية " وليس به عوائق كثيرة تمنع المرور ، ومن خلال

ذلك الطريق يعين العودة حتى في أشد أيام الخريف . وفي ٢٥ يونيو (١٥ شوال)

وصل إلى أرض دهبيا حيث أقام حمدان معسكرا في مكان يسمى تنكل . وقد قبله

أهل الجومة والجهات السبورة بالصلوة والامتنان طائعين الأمان ، وقاموا بأداسهم

حمدان وجيشه . كما انضم إليه أغلب الجيرة حتى لم يبق " أحد من المسلمين إلا

والجنتع " به . وكان أبو عنبدة قد اختار تنكل لأن بها فضاء واسع من كل الجهات

١٣٤ وهناك اقام معسكره من الحجر والحائط بجزيرة من الشوك .

ولم يجد حمدان اثرا للحبش ، فيوخنا مازال مشغولا مع الايطاليين ، ومفليك باق في شوا ، ويوجد وراس عذار في قجام ، ولذلك لم تشر تلك الحملة عن معارك كبيرة . اما حمدان فكان كلما سمع بتجمعات للحبش يقوم في اثرها وكان الحبش غالبا ما يدعون له بالصناعة . وسمع حمدان بوجود احد قواد الحبش ويدعى دجاج

مشه في قوة من جيشه في جهة ام نجارة فزحف حمدان نحوه . ١٣٥ ولكن دجاج مشه فان قد حرب فاقتنفى حمدان اثره دون جدوى . وارسل حملة اخرى بقيادة

عبد الله ابراهيم الى احدى الجزر كان قد سمع ان بها كنيسة معدة ليوحنا . فوصل اليها الانصار على اطراف من الخشب وقاموا باحرقها وقتل كل من كان بها . وقام

حمدان بارسال حملة اخرى الى مكان دهنشوم ولكن الحملة لم تحقق نجاحا كبيرا . ١١٦

١٣٤ الطراز المنقوش ، ص ٨٩ - ٩١

١٣٥ دجاج ماشى مشه الى حمدان ابر عنجة ، ١٣٠٥ هـ ، مهدية ، ١ / ٢٤ / ١٦ / ١٨٣

١٣٦ استجواب مرجان اسماعيل الجهادي بواسطة محمد احمد رحمه ، ١٤ القعدة ١٣٠٥ هـ ،

مهدية ، ٢ / ٤ / ١١ / ٩٩

وبعد تلك المحاولات المتكررة قرر ابو عنجة ان يعود ادراجه اذ لم تكن هناك
 ضرورة من بقاءه ، فحصل القلايات يوم ٧ اغسطس ٨٨ (٢٩ القعدة ١٣٠٥) • وصحب
 معه الى القلايات ثلاثة من اعيان الحبشة ومعهم واحد وثلاثون من جماعتهم وهم :

قراذرو وجماعته : ٢١

نقاش وجماعته : ١١

انزلوندي وجماعته : ٣٦

١٣٢
 وقام بارسالهم جميعا للخليفة حيث اكرمهم املا في استغلالهم في حرب امدعاية •
 كما ارسل للخليفة خمس الغنائم التي عاد بها •

منذ عودة حمدان وحتى وفاته بعد حوالي نصف عام وهو يحاول تسقط اخبار
 الجيش علم يظفر بهم في جهة ما ، خصوصا بعد ان فشلت محاولة الجيش للصلح
 مع الانصار ، وانتهت هذه الفترة وكلا الطرفين يستعد للحرب • فبعد عودته من
 غورة لم بجارة وصلت عدة رسائل من الخليفة مرسلة الى رؤساء الجيش : يوحنا

١٣٨ • فسار رسل الخليفة الى سوا لمقابلة منليك وانغاموا معه
 ونحو من خمسة عشر يوما لم يظفروا برد متنع من منليك • اما يوحنا فعا زال مشغولا
 مع الايطاليين • وعاد رسل الخليفة الى القلايات يحملون اخبارا عن الجيش انهم
 غير مخلصين ليوحنا وانهم بعد موته على استعداد للوقوف في المدينة وطائفا •
 ولعل اولئك الرسل قد عادوا باخبار مبالغ فيها وربما قابلوا في رحلتهم بعض
 الجبرته الدانقين على يوحنا فاعطوهم فكرة غير دقيقة عن موقف الجيش تجاه ملكهم •
 وفي اوائل سبتمبر (اول شهر الحجة) وصلت اخبار الى ابو عجة انه قد ان ادا السور
 الحبشة لن يبقوا مع يوحنا في حالة حربه مع الانصار • وعلم كذلك ان يوحنا يعاني
 نقصا كبيرا من المواد الهندائية مما جعله يقدم الى جبهة دمبيلا حيث قابلته
 شيخها عبد الله وركبة خاضعا بقصد خديعته • وكان يوحنا ينوي ان يسير حتى
 كجام لما فيها من " النصب في المعاش " • وظلت اخبار الحبشة تتواتر

١٣٨ الخليفة الى حمدان ابو عجة : ٨ محرم ١٣٠٦ هـ ، مهديّة ، ٢ / ٣١ / ٢١٥
 ١٣٩ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٢٩ للتعديّة ١٣٠٥ هـ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ٢٠٦
 ١٤٠ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٢٩ الحجة ١٣٠٥ هـ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ٣١٦

على ابي عتبة عن طريق الجبيرة والنفاذية مؤكدة ماوصلته من اخبار سابقة • فقد علم حمدان كذلك ان منليك قد " قطع يده وانفرد لوحده " وان راس عدار " تفسر عن اتباعه " وان جميع الدار قد خالفت يوحنا ولذلك أصبح في " اضطلال " من امره خصوصا وأنه مازال عتصيا من جهة الايطاليين • كما علم حمدان ان ابناء راس عدار قد تقاسلوا مع التقرة - قبيلة يوحنا - وان التقرة قد قتلوا ابناء الراس عدار وان هذا الحادث سيضعف يوحنا كثيرا لان كافة الامهرة - قبيلة الراس عدار - قد انصاخوا منه ولذلك فهو لا يستطيع ان يعتمد على التقرة وحدهم لانهم ليسوا " بشيء في الحبشة " لعل عددهم " ^{١٤١} • وازاء تلك الاخبار المثيرة رأى الخليفة ان يستدعى حمدان الى البقعة لاجراء مشاورات معه حول خطته للحرب القادمة مع الحبش • ووفق حمدان ان يقوم بتلك الزيارة الى امدرا مان لان الحبش " هذه الايام ليست لهم حركة لصالح بل حاصلة لهم المشغولية في انفسهم " ^{١٤٢} وعند عودته الى القلايات وجد

١٤١ حمدان ابو عتبة نلى الخليفة ، ١٦ محرم ١٣٠٥ ، مديية ، ١ / ٢١ / ٢ / ١٢٤

١٤٢ حمدان ابو عتبة الى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣٠٥ ، مديية ، ١ / ٢٩ / ٢ / ٢٣١

١. احمد على الذي اوكله في غيابه قد قام باخراج كل الرايات خارج المركب
 استعدادا للحرب وذلك لانه سمح ببعض الاخبار عن تحركات الحبش • وبعد ان
 تأكد حمدان من عدم صحة تلك الاخبار اعاد البلاغ الرايات الى مكانها • وكانت خططهم
 التي اتفق عليها مع الخليفة ان يهجم على الحبش اذا علم بمحل تجمعهم وانهم
 " متزعزين " ، اما اذا لم يعرف مكان اجتماعهم فعليه ان يقوم بالهجوم على جبل
 لهرطة وما حوله من الجهات وذلك " لمساعدة الانتصار " واعطائهم فرصة للحصول
 على قنائم وعلى معاش .
 ١٤٣

وبعد عودة حمدان مباشرة من ادمرمان وصلته رسالة من يوحنا في ٢٥ ديسمبر
 ١٣٠٤ (٢١ ربيع احر ١٣٠٤) ، وهي رسالة على جانب من الاهمية • يبدأ يوحنا
 رسالته بالحديث عن غزى الاتراك للسودان ثم محاولة غزوهم لبلاد النقرة عن طريق
 صوم وكيف تمكن الحبش من هزيمتهم مرتين • ولعل يوحنا قد قصد من ذكر تلك

١٤٣ حمدان ابو حجة اس الخليفة ، ١٩ ربيع احر ١٣٠٤ ، مهدية ، ٢٤١ / ٢ / ٢٠ / ١

ورد بهذا الخطاب في

نجوم شقير ، ص ١٠٧٣ - ١٠٧٤

الحقائق ان يقرب بين الحبش والانصار وانهم جميعا قد قاسوا من الاتراك . ثم
انتقل للحديث عن الحروب التي دارت بين البلدين وكيف انها كانت حروباً
بلا جدوى سوى هلاك المصاكين ، ولذلك فهو يرى الافائدة منها ومن استثنائها .
ويقترح ان تظل كل بلد متمسكة بحدودها دون التعدي على الاخرى . ثم ينتقل
بند ذلك للنقطة الاساسية في رسالته فيقول بان العدو الرئيسي له وللانصار هم
الافرنج (الالبيين) ، لانهم اذا هزموا الحبش فحتماً سيقومون بالهجوم على الانصار ،
واذا هزموا الانصار هجموا على الحبش . ولذلك يقترح يوحنّا ان يتحلف الانصار
لحرب الافرنج حتى تنبسط البلاد في امان * وتردد للتجار من اهل بلادنا بالتاجر
الى بلادكم وكذلك تجار بلادكم تتردد الى غدر لاجل المعاش والمكاسب لاهلهم
ولا هملنا * . ولكن يؤكّد يوحنّا ضرورة ذلك التحالف بذكر بان الحبش والانصار
اولاد جد واحد . ويذكر لابي عنجة ان الايطاليين كانوا قد طلبوا منه سابقاً ان
يفعلون معهم لمحاربة الانصار في جهة كسلا لان الانجليز سيهجمون من جهة
الشمال * . ويقول يوحنّا بانه رفض طلب الايطاليين ولهذا ناصبوه العداة . ويختتم
رسالته بقوله ان الاتراك والايطاليين اعداء له وللانصار ولذلك يرى ضرورة التعاون

بينه وبين الانتصار^{١٤٣} .

من الواضح أن يوحنا كان يسعى إلى التحالف مع الانتصار لمواجهة الايطاليين

الذين كانوا يمثلون الخطر الأكبر . وكان يريد كذلك أن يؤمن ظهره قبل الدخول

في حروب مع الايطاليين ف يسعى لمكسب جانب الانتصار أو يضمن حتى وقوفهم على

العدا^{١٤٤} . فخطاب يوحنا هذا يعكس سياسة استراتيجية أكثر من فلسفة شاملة

نابعة من فهم صحيح بضرورة الوحدة الأفريقية ضد التدخل الأوربي . على أن يوحنا

بهذا الخطاب قد وضع بلا شك البذور الأولى لتلك الوحدة ، كما حدد خطورة

التدخل الأوربي ، وتغوله على استقلال بعض البلدان في إفريقيا . ولعل هـمذا

مارس الله الدور الملكي شبيهة بقوله " وسط يوحنا بهذا سياسة إفريقيا لأفريقيين ونادى

بخلق إفريقيا من الدولتين المستقلتين استقلالا كاملا في إفريقيا لعناواة افرنجة"^{١٤٥} .

١٤٣ ورد هذا الخطاب في : نعم شقير ، ص ١٠٧٢-١٠٧٤

١٤٤ ملكي شبينة ، عبر القرون ، ص ٣٨٤

١٤٥ المصدر السابق

فماذا كان رد فعل ذلك الخطاب عند حمدان • استقبل حمدان رده الى
يوحنا بالحديث عن كلمات المودي وانتصاراته • اما فيما يختص بطلب يوحنا
لعقد صلح وحلف مع الانصار فقد كان رد حمدان قاطعا بل كان خال من اي
تقييم صحيح للموقف • فقد رد حمدان قائلا " واما طلبك للمصالح منا وانست
باق على تفرك فيعيد بعد المشرقين ودليل على ضعف عقلك وفراغ ذهنك
فيالك من سنه وبالك من جاهل تريد منا صلحا وموا اخاة ولم تدخل في انديس
الحق وكتاب الله تاء عن ذلك فان رمت الصلح نقل مخلصا من قلبك لشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله والافانا نقاتلكم ونخرب دياركم
وندمم ... احفانكم ونغنم اموالكم " ١٤٦ • وهذا الخطاب ينمى مع الفلسفة الاساسية
للدعوة المهدية والتي تنادى بالايمان بالمهدية اولا والا الحرب ، وهي الفكرة المستوية
سماها الدكتور مكي تبيكة " الجامعة الاسلامية " وكانت فكرة الجامعة الاسلامية هي
الفلسفة التي تحكت في سياسة الخليفة في الفترة الاولى من حكمه •

وكان رد الفعل الثاني ان قام حمدان باتخاذ الاحتياطات اللازمة والحذر الكافي فاقام على * الديم دالير مايدور ووزيرة متونة لها اربع اقواله بكسل ربيع طريق ورتبنا عليهم الفقرات اللازمة مستديما لايجول ولا يزول في سائر الاوقات بحيث لايدعوا احدا يخرج الا وسعه امرا منا ولا يدخل ايضا صاحب شبهة لئلا ولا نهارا الا وقد اطلعوا علينا * ١٤٧ . كما قام بترتيب الجيش وعده وتنظيمه فبلغ (سنة عشر الف وتسعمائة وتسعة وستين مجاهدا قسمهم على اربعة ارباع : ربح الزاكي طمل ، وعبد الله ابراهيم ، واحمد على ، وملازمة الجهادية ، هذا بخلاف حطمة السيوف والرماح . كما اوقف التجارة مع الحبش او ان هذا الاجراء في راي حمدان سيجلب للحشة * الضايقة لشدة احتياجهم للقطن وغيره من اشغال الجهة وقد كان ذلك . * ١٤٨ .

فما هو سبب تلك السياسة الجافة من جانب المهديّة والتي لا تعكس اى تفهم

١٤٧ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٩ جماد اول ١٣٠٦ هـ ، مهديّة ، ١/٢٩/٢/٢٥٨

١٤٨ المصدر السابق

لسياسة يوحنا او اي تجاوب معها . لم يكن سبب ذلك الترخي ان الانتصار ضد فكرة الحلف بقانا ان ان الخليفة قد قبل تلك الفكرة فيما بعد . اذا فاسبب مرتبط بظروف الانتصار وموقفهم في ذلك الوقت بالذات وتقييمهم لموقف الحبر . لقد كان لدى الانتصار احساسا - ربما مبالغ فيه - بقوتهم وقدرتهم . وقد كان مصدر ذلك احساس الانتصار انتصارات حمدان التي حققها مؤخرًا . وكان مصدره ايضا فهم الانتصار لضعف يوحنا في ذلك الوقت ومواجهته للاضطرابين من جانب وشعور مشاكله الداخلية . جانب آخر . حتى ان حمدانا اكد للخليفة بان يوحنا لا يريد الحرب وليس في موقف يمكنه من ان يحارب^{١٤٠} . اذا انقضا ان هذه الاسباب ان فكرة الجامعة الاسمية كانت من الفلسفة المتحكمة في سياسة المهدية في ذلك الوقت ليوحدنا ان رد حمدان العنيف على يوحنا كان له ما يبرره .

١٤٠. يوحنا نامه عندما استلم خطاب حمدان راي ان موقفه اصبح دقيقا وانه

١٤٠. حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٤ جمادى الاولى ١٣٠٦ هـ ، مبدية ١٤ / ٢٩ / ٢ / ٢٦٢

وتبع بين قوتين • فقرر ان يواجه الانتصار اولا ويقوم بطردهم من القلايات وربما طاردهم
حتى امد زمان ليوم من شهره • فاستدعى كل امرائه اليه واجتمع له نحو مئتين
مائتين وخمسين الف مقاتل وعلى راسهم الشهر قواده مثل راس عدار ورأس السورلا
وعيل مريم • ولما سمع حمدان بذلك الخبر اخذ في تحصين القلايات فاحاطها
بترربة مربعة متينة وفي داخلها لقام " حتراس " حصين ومن داخله لقام سورا مريحا
طوله مائة وسبعين مترا ووضع على كل جانب من جوانب السور مدنعا و" غرا " وظيفته
وحرس " ١٥٠ •

ولكن حمدانا لم يعش لمولاه - عريم ضد الحبش ان توفي يوم ٢٩ يناير ١٨٨٩
(٢٢ جماد اول ١٣٠٦) واستعدادات الحرب جارية على قدم وساق • ولانته وفاته
فجاء نتيجة علة في بطنه تناول فيها بعض الادوية المظية من الاعشاب فاودت
بحياته • وخشى المصيفة ان تحدث وفاة حمدان نوعا من الخلل في بوغاز القلايات
فارسل عددا من الرسائل الى اعملا والملازمين وانتدار الدين واعظا لهم وحائما

اياهم على الجهاد ، كما طالب منهم الوقوف بجانب أحمد على الذي حل محله
 حمدان مؤقنا وأكد عليهم مؤازرته ^{١٥١} . ولعل ما أورده الكردفاني عن حمدان يؤكده
 مكانته كعائد مقتدر من قواد الدولة المهدية . يقول الكردفاني ان ابا عنجة كان
 معبوا من جيشه العزيز احسانه الى جنوده وشفقته بهم وإشاره لهم في كل شيء*
 بحيث لا يتعدون اشارته ولا يخالفون امره . وكانت له في الصدور هيبة واحترام
 عند كبير من الانصار ^{١٥٢} . حقا ان حمدانا كان احدا القواد البارعين الذين اخرجتهم
 الثورة المهدية ^{١٥٣} . ومات حمدان ولم يكمل ذلك الفصل السام من تاريخ المهدية
 الذي بدأه وبقي على خليفته الزاكي طمل ان يكمل ذلك الدور من بعده .

١٥١ بحثا خليفة بحد من الخطابات اس القلايات وهي الواردة في :
 مهدية ، ١ / ٦٤٣١ / ٢٢٤ وما بعدها .

١٥٢ الطراز المنقوش ، ص ٧٢

١٥٣ وقد رثاه محمد العجذوب الطاهر بقصيدة مشهورة قال فيها :
 حمدان انك طالما سمعت العدي ذلا وتذكر في المحافل يرفع
 ما وجهت رايات نصرك وجهة الا وبالنظر المؤكد ترجع
 فلك الرضا بلغاء ربك شاهرا سيف الجهاد وكل قري تقصير
 ورد هذه الابيات في : نعم شقير ، ص ١٠٧٧ .

الفصل الرابع

القضارف - القلايات بين الزاكي بمل واحمد علي

١٨٨٩ - ١٨٩٣ (١٣٠٦ - ١٣١١) هـ

تنقلت الادارة في عمالة القضارف - القلايات في الفترة التي اعقبت وفاة

حمدان وحتى ديسمبر ١٨٩٣ (جمادى الاخر ١٣١١) بين الزاكي

بمل واحمد علي حتى ليصعب ان ننسب هذه الفترة لوى منهما .

فبعد وفاة حمدان آلت السلطة الى احمد علي لفترة قصيرة عين بعدها

الزاكي بمل عاملا على كل المنطقة . وفي ابريل ١٨٩١ (شعبان ١٣٠٨)
وفي

غادر الزاكي القلايات الى جنوب البلاد / هنا ، حتى نهاية عام ١٨٩٢

(جماد ثاني / رجب ١٣١٠) . وفي خلال تلك الفترة اصبح احمد علي

وكيلا لعمالة القلايات والمختصر في شئونها ثم عاد الزاكي الى القلايات وبقي

بها حتى يوليو ١٨٩٣ (محرم ١٣١١) حيث اعتقل بعدها وقتل . ثم

عاد احمد علي عاملا عموما وبقي حتى مصرعه في اغرداب في ديسمبر

١٨٩٣ (جماد اخر ١٣١١) .

وستعرض في هذا الفصل لدراسة المشاكل الداخلية التي واجهتها

المهدية في تلك المنطقة وهي لا تختلف في منحاها عن جملة المشاكل التي

تعرضت لها المهدية في السنوات السابقة . اما في السياسة الخارجية فقد شهدت هذه الفترة قمة انتصارات المهدية الحربية ، كما شهدت هذه الفترة كذلك بداية تقلص النشاط الحربي وانكماشه حتى اصبح في نهاية هذه الفترة مجرد مناوشات على الحدود بين البلدين ، بل ان حامية القلايات نفسها تم سحبها الى القضارف . وشهدت هذه الفترة كذلك بداية الصدام مع الايطاليين في اغردات . وبما ان العلاقة بين المهدية وايطاليا ليست من اختصاص هذه الدراسة قلن نتمركز لها الا في حدود تأثيرها على سير الاحداث في منطقة القضارف - القلايات .

منذ عهد حمدان كان احمد علي ينوب عنه اثناء غيابه في اندرمان ، فاحمد علي ابن عم الخليفة ومن المقربين اليه وهذا ما اعطاه وضعاً معيذاً عن بقية رؤساء الارباع في المنطقة . وعند وفاة حمدان اتفق بقيه القواد على تعيين احمد علي خلفاً له وعاهدوه على الطاعة . وقد وجد ذلك التعيين هو في نفس الخليفة . ولذلك كتب الى احمد علي

(١) يرى هولت ان الخليفة كان ينوي اساساً ان يعين احمد علي خلفاً لحمدان

Holt, The Ibadist State, P. 154

ويذهب شفير الى القول بان حمدان قد عين الزاكي خلفاً له ولكن هذا الرأي لم تؤيده الاحداث اللاحقة .

شفير ، ص ١٠٧٧ - ١٠٧٨

بحثه على حزم أمر الجيش والاهتمام بتدريبه " ومزاكرته وشبائه وتفقد
أمر الجبخانه وألة الحرب " وأن يمسك " كافة الجيش كما كان مساكه
حمدان " . وهذه الوصية تدل على قبول الخليفة لأمر ذلك التعيين .

ولكن بعد أن هدأت النفوس من أثر موت حمدان المفاجئ

كتب الزاكي إلى الخليفة موضحاً الظروف التي أحاطت بتعيين أحمد على .

فالزاكي يرى أن اختيار أحمد على لم يكن لكفاً ته بل لأنهم عند وفاة
حمدان كانوا في حالة اضطراب فاختاروا أحمد على " لأعصام الجيش

واتفاق الكلمة وعدم دخول الزعزعة والفشل " . كما أن قواد الجهادية

في المنطقة رفضوا قيادة أحمد على لهم وصاروا يتصرفون دون

الرجوع إليه " وكل واحد منهم يكتب بمراده للدار ويطلب منها عيش

وغيرها وكلا منهم حاز له حلال وأضروا بالانصار غاية الضرر " بل أن

أولئك القواد تخزبوا مع الجهادية وطالبوا بعزل أحمد على ويعثوا

برسول إلى الخليفة يحمل تلك الرغبة . وكان رأى أحمد على أن أولئك

القواد سامين لتفريق الكلمة وطالب الخليفة " بتجريدهم من سام الدنيا "

٢ الخليفة إلى أحمد على ، ٥ جماد آخر ١٣٠٦ هـ ، ١٠ / ٢٧ / ٧ / ٥٩

٣ الزاكي غمّل إلى الخليفة ، ١٥ جماد آخر ١٣٠٦ هـ ، مهيدي ١٠ / ٤ / ١ / ٨

وان ينقلهم الى امدمان^٤ . وكان على راسهم الزاكي طعل وعبدالله

ابراهيم وعيسى دفع الله وابراهيم الدفيعه وامبدى احمدون . وكان بقية

الجهلدية يقفون معهم ويرفضون الانقياد لاحمد على^٥ . وقد بلغ

الصراع بين الفريقين حد القطيعة وربما التحزب للقتال . ولعمر النور

عنقره قد صور الموقف بدقة في قوله " فمن ما راينا من قرايين الاحوال

من الرؤس فانه ان لم يحضر سيدنا يعقوب بن السيد محمد او احدا

يشابهه ويذاكرهم في الله مقدار جمعتين او ثلاثة فرما لاتحصل منهم

شعة او وقع بينهم شغل^٦ .

وعندما بلغ الصراع تلك المرحلة الحادة ادرك الخليفة ان بناء ابن

عمد في القيادة اصبح امرا مستحيلا في وجهه المعارضة المنهكة ، فصرى

ان لا يبد من وضع حد لذلك . فقرر ارسال وفد الى القربات ليطلع

على الحالة ويقرر لمن تولي الرئاسة . وتكون الوفد برئاسة احمد على

قاضي الاسلام وعضوية عثمان احمد وابراهيم عالم واحمدى محمود واحمد حمدان

وحسن حسين والخبير هارون واحمد الطليعة . وكان ارسال مثل تلك

٤ احمد على الى الخليفة ، ١٦ جماد آخر ١٣٠٦ هـ ، مهديه ١٤ / ٢٧ / ٤١

٥ الزاكي طعل الى الخليفة ، ١٥ جماد آخر ١٣٠٦ هـ ، مهديه ١٠ / ٤ / ١١

٦ النور عنقره الى الخليفة ، ٨ جماد آخر ١٣٠٦ هـ ، مهديه ١ / ٢٩ / ١٠

الوفود لحل الازمات التي تنشأ في الاقاليم من التقاليد المألوفة فسي
حكم الخليفة . ويبدو ان تلك الوفود كانت تحمل رغبة الخليفة ولسم
تكن وفودا مستقلة تقرر ماتراه مناسبا . وكان هذا الاتجاه واضحا
بالنسبة . للوفد الذي ارسل الى القلايات . فقد كتب الخليفة ابر
احمد على في ١٢ فبراير ١٨٨٩ (١١ جماد احر ١٣٠٦) يطلب
منه ان يقبل ما يحطه الوفد من قرار بالرضا والانشرار . وفي ١٥
فبراير (١٤ جماد احر) كتب الخليفة منشورا يعلن فيه تعيين الزاكي
عاملا على كافة الجيوش ، ويطلب من احمد على ان يقبل ذلك القرار وان
يقصر على ريعه فقط^٧ . فاذا طعننا ان ذلك الوفد وصل القلايات في
١٠ مارس (٢٩ جماد احر) لادركنا انه كان يحمل اوامر محددة فذهب
فقط لاعلانها بشكل فعال ، وان ذلك الوفد قد اتم مهمته في اليوم
الثاني لوصوله . ويبدو ان الوفد قد تعجل في اداء مهمته لانهم
لدر وصولهم تبين لهم ان الحيين كانوا يقتربون من الحدود وانهم على
وشك ان يقرعوا ابواب القلايات .

٧ الخليفة ابر احمد على ، ١١ جماد احر ١٣٠٦ ، مهديّة (٧١/٧/٢٧/١)
الخليفة الى احمد على ، ١٤ جماد احر ١٣٠٦ ، مهديّة (٧٣/٧/٢٧/١)
٨ احمد على (قاضي الاسلام) وثيقة اعضاء الوفد الى الخليفة ، (رجب ١٢٠٦ ،
مهديّة ، ٤٦/١٤/٢٧/١)

٩ الطراز المنفوس ، بر ١٠٤ - ١٠٥

أما أحمد علي فقد استنجد بالخليفة يطلب حمايته خوفاً من
 أن يبطش الزاكي بقواد ربهه . ويبدو أن الخليفة رأى ضرورة استدعاء
 أحمد علي إلى البقعة بفرض تهدأة الجوشد أعادته ثانية . وهكذا
 انتهت الجولة الأولى من الصراع بين الزاكي وأحمد علي بتنصيب الزاكي
 عاملاً عمومياً على المنطقة .

مراجعة سنة ١٣٠٦

وأول مشكلة داخلية واجهها الزاكي — ورثها من عهد حمدان أبي
 عنجه — هي مراجعة عام ١٣٠٦ هـ . فقد بدأت تلك المراجعة في عهد
 حمدان واستمرت إلى عهد الزاكي بل وامتدت إلى عامين من بعده .
 فعند الأسابيع الأولى لحكمه لاحظ الزاكي " تضعف المعاش " وأن القوات
 على عهد حمدان كان يجلب " بالطرق المستحسنة والتدابير النافعة
 بما يتبادل من الأهالي بالحكمة شيئاً فشيئاً بوسيلة سلف وساعدة " .
 أما الآن فصار معدوماً وليس بالمنطقة من " حقوق الله ما يقوم بكفاية عشر
 العشائر " . وقد أثرت تلك الحالة المعيشية المضنية على الجيش حتى
 " تزايد به الضرر . . . وعم ذلك الكافة صغيراً وكبيراً مجاهداً وعائلة حتى
 صاروا ياكلون الجيف ، ولتظنون الحبوب من الأرض في الطرق والحزابل

ومحلات الرماد . . . وتفرق الطالب في الجهات في الشمس المعاش وبعضهم يلتقطون
القشوش والاشجار من الاودية هدفه ثلاثة ايام او اربعة ^{١١} ولذلك قرر الزاكي عدم
ارسال اي سرية الى جهات الحبشة والانتصار بقلك الحالة ، وراى ان يرسل جزءا
منهم الى " الجبال الصعدية " مثل ابورطة عسى ان " تحصل مداركة الجيوش بما
يحضره من للمواشي وهم ايضا يتمعنون " كما خرج الزاكي بنفسه للمقرى المجاورة
للمحمل على جمع الطعام لجيشه . بل انه لم يعترض جنوده عندما كانوا يقومون
بنهب الاهالي ولغصاب ما يديهم من غلال ^{١٢} . ويبدو ان الانتصار قد تعادوا فسي
عمليات النهب هذه مما اضطر الخليفة للتنبيه على الزاكي بمنعها الوقوف ضدها بحزم ،
على ان المجاعة ظلت في تفاقم وتعاود مستمر حتى ان اردب الذرة يبلغ في بعض
الاحيان مائتي ريال وانخفض الى خمسين ريالا ^{١٣} .

ومع بداية فصل الاطوار في منتصف عام ١٨٨٩ (اولخرعام ١٣٠٦) اخذ الانتصار في
التحضير للزراعة وكانت بشائر الخريف تبعث طمس الامل .
فقام الزاكي بتوزيع اربعمائة اردب ذرة طمس الاهالي " على ذمة التواريسب " ،

١١ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٨ شعبان ١٣٠٦ ، مهدية ، ١ / ٤ / ١ / ٢٥

١٢ ابراهيم فوزي ، ص ٢٠١

١٣ المصدر السابق

كما اعطى اهتماما خاصا بقبيلتي الشكرية والضبانية لشاركهما في الزراعة

بشكل فعال نسبة لمعرفتهما الثامة بها^{١٤} . ولكن تفاؤل الزاكي كان

مبالغ فيه فلم يأت الخريف بنتائج باهرة كما كان يتوقع . ولذلك ظلت

المنطقة " على حالة يرش لها من الم الجوع . . . مع كون تلك الجهات

كانت ممن يضرب بهم المثل في الزمن السابق في ايجاد الفلال بها

ورخص اسعاره^{١٥} . فقد بلغ سعر الارنب في موسم الحصاد خمسين ريالاً

واكثر وزيادة على ذلك كانت كميات الذرة محدودة . ومع ان الاسعار

انخفضت لفترة حتى بلغت ثمانية ريال الى انها عادت ثانية الى الارتفاع

بل والى انعدام الذرة تماما^{١٦} . ولذلك لم يتمكن الزاكي من " جمع شونقولا

شيئاً . . . يتأتى منه ازالة ضرورياتهم (الانصار) " . وعاد الانصار يبحثون

عن قوتهم في " الخلا من العدار والعروق " . بل ان بعضهم اضطر

تحت وطأة المجاعة المستمرة ان يهرب من رايته متجها الى الجزيرة .

وكانت بعض رايات الجوامعة والبديرية والحمر والجهادية من اول

الهارمين^{١٧} . ويرى الزاكي ان هروب رايات اولاد العرب سيؤدي السي

١٤ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٧ الحجة ١٣٠٦ ، مهديه ١٤ / ١ / ٤ / ٢٨٤

١٥ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٦ جماد اول ١٣٠٧ ، مهديه ١ / ٤ / ٢ / ١٠٦

١٦ المصدر السابق .

١٧ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٠ رمضان ١٣٠٧ ، مهديه ١ / ٤ / ٢ / ١٥٩

”عف الجيوش از عليهم “ الثغار الكلى ” ، وسيصعب احضارهم
 بعد ذلك اذا ” تمكنوا من الفرب “ . ويقتح على الخليفة ان
 يسمح له بجلبهم من الجزيرة^{١٨} . ويبدو ان سياسة الزاكي لمنع الهروب
 نحو الجزيرة قد حققت بعض النتائج اذ تحولت عملية الهروب نحو
 الحبشة بحثا عن القوت . ولعب خير مايوضح سوء الوضع الاقتصادى
 فى القلايات الحالة التى وجد عليها بيت المال فى منتصف
 عام ١٨٩٠ (اخر عام ١٣٠٧) عند جرده . فقد كانت كالآتى :^{١٩}

نقدية	لا شئ
مواشى	لا شئ
رقيق	لا شئ
الشونة	لا شئ
زمار صفيح	٢٨
سيوف حديد	١٠٩
الواح صفيح	٧٠

على ان الزاكي قد قام من جانبه ببعض المحاولات لتحسين
 الحالة الاقتصادية . من ذلك فتح باب التجارة مع الحبشة لان النقادية

١٨ المصدر السابق

١٩ كشف ٢٠ العقد ١٣٠٧ ، مهديه ١٠ / ٤ / ٢ / ١٧٧

سجلين معهم الذرة زيادة على " العشر " المتصلة منهم ^{٢٠} . وكان الاجراء

الثاني هو الحصول على النوى اردب ذرة من الخليفة للمساعدة في وقف الهروب شرقا

وغربا . وهكذا انتهى العام الثاني والمجاعة مستمرة تهدد هير الدولة المهدية .

وجاء العام الثالث والمجاعة مازالت تفرض ظلها القاسي على المنطقة والانصار يعانون

من نقص الذرة ، والزراكي يطلب من الخليفة وبلغ في طلبه ليرسل مايجود به فائض

امدرمان من ذرة . فرأى الخليفة ان يبعث بالزراكي الى الجنوب بجيشه حتى تنفثش

الازمة . وفي ابريل ١٨٩١ (شعبان ١٣٠٨) غادر الزاكي القلايات تاركا احمد على

ليواجه المشكلة .

وجاء احمد على ليواجه نقصا في الغذاء وانعداما في الكساء فقرر سياسة جديدة .

فطلب من الخليفة ان يرسل مقدارا وفيرا من العيش والدمور " ليقوم بصرفه للانصار مقابل

رصاص وظروف وشمع " لترسل الى امدرمان لاعادة تصنيعها وتستمر هذه العملية حتى

" انقضا للخريف " وقد حققت تلك السياسة نجاحا ملحوظا . فيما ان علم بها

٢٠ الزاكي طحل الى الخليفة ، ٢ رجب ١٣٠٢ ، ممدية ، ١ / ٤ / ٢ / ١٣٣

ويبري هولت ان فرض العشر على الواردات كان احد اجراءات النور ابراهيم الجريفاوي عندما أصبح امينا لبيت المال وقد طبقت تلك السياسة في عام ١٨٩١ (١٣٠٨ / ١٣٠٩) .

Holt, The Mahdist State, pp. 237- 8

الانصار حتى زادت رغبتهم في جمعه (الرصاص ... الخ) والبحث
 ٢١
 عنه في محتاج المناصرة .

واتخذ احمد على اجراء ا ا خرابان قام " برفع جميع العمال
 الذين كانوا منقرئين بالمنطقة حتى لا " يعاكسوا " الاهالي ويتركوهم ليتفرقوا
 لعملية الزراعة .^{٢٢} ركان ذلك الاجراء يتعش مع سياسة الخليفة الجديدة
 التي ترمى الى الاستعانة بالزراعة بعد تجربة المجاعة القاسية .^{٢٣} ولذلك
 وافق الخليفة على ذلك الاجراء . وادت تلك السياسة مع جودة الخريف
 الى نهاية المجاعة الكبرى في النصف الثاني من ١٨٩١ (نهاية ١٣٠٨
 وبداية ١٣٠٩) . وقد عبر احمد على على ذلك التحول بقوله " جهتنا
 صارت في ارغد عيش وامننا نعمة لان جميع الاهالي زرع ونتاجت
 مزارعها نتاجا لم سبق لهم مثله ... وما علينا الا ما بقى من شهرنا يبتدوا
 فر الحصد " .^{٢٤}

فماهي اثار تلك المجاعة التي حثت على كاهل الانصار موسمين
 متتاليين ؟ اولا لعلها من العوامل التي ادت الى توقف العمليات الحربية

٢١ احمد على الى الخليفة ، ٢٣ المقده ١٣٠٧ ، مهديه ١٣/١٥/٢٧/١

٢٢ الخليفة الى احمد على ، ٢٥ الحجة ١٣٠٨ ، ١١/٢٧/١٩/١١٩/٨
 مهديه

٢٣ H/15, 177-8, 11. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840. 841. 842. 843. 844. 845. 846. 847. 848. 849. 850. 851. 852. 853. 854. 855. 856. 857. 858. 859. 860. 861. 862. 863. 864. 865. 866. 867. 868. 869. 870. 871. 872. 873. 874. 875. 876. 877. 878. 879. 880. 881. 882. 883. 884. 885. 886. 887. 888. 889. 890. 891. 892. 893. 894. 895. 896. 897. 898. 899. 900. 901. 902. 903. 904. 905. 906. 907. 908. 909. 910. 911. 912. 913. 914. 915. 916. 917. 918. 919. 920. 921. 922. 923. 924. 925. 926. 927. 928. 929. 930. 931. 932. 933. 934. 935. 936. 937. 938. 939. 940. 941. 942. 943. 944. 945. 946. 947. 948. 949. 950. 951. 952. 953. 954. 955. 956. 957. 958. 959. 960. 961. 962. 963. 964. 965. 966. 967. 968. 969. 970. 971. 972. 973. 974. 975. 976. 977. 978. 979. 980. 981. 982. 983. 984. 985. 986. 987. 988. 989. 990. 991. 992. 993. 994. 995. 996. 997. 998. 999. 1000.

١٤ احمد على الى الخليفة ، ١١ صفر ١٣٠٩ ، مهديه ١٣/١/٢٨/١

ند الحبشة وجاءت سياسة الخليفة الزراعية الحديدة تعبيرا عن ذلك التحول . فتوقف بذلك مصدر هام من مصادر الغنيمة . ثانيا ساعدت على انتشار ظاهرة السلب والنهب والتعدي على الاهالى مما خلق نوعا من عدم الرضا نحو الانصار وربما نحو الحركة المهدية عامة . ولعل اهتمام الخليفة باهله التعايشة وربما البقارة عامة قد اظهر للقبائل النيلية ذلك التحيز القبلى . ونتيجة لتلك العوامل فقد ضعفت روح الحماسة لدى عامة الناس ولدى اقسام كبيرة من المجاهدين الذين كانوا يقفون على حدود المهدية يحمونها ويذودون عنها . فكثر ظاهرة الهرب بينهم واخذوا يتسللون الى الجزيرة والى امدران نفسها . فهاهو بكر مصطفى يمتقل سبعة وخمسين جهاديا " طوارق متهربين من سرية رباط القلابات " كانوا يجوبون انحاء الجزيرة . وتبين للزاكى ان راية عمر ولد اليار صارت حالية من اثارها " بالكلية " وكتب احمد على الى الخليفة بعد انتهاء المجاعة " ان جماعة رايتنا من التعب الشديد في السنتين الماضية قد تفرقوا بالجزيرة . والامثلة متعددة يزخر بها ادب المهدية . فبالرغم من ان المجاعة قد زالت ^{٢٥} هزوا الا ان اثارها ظلت

٢٥ احمد على الى الخليفة ، ١٥ العقد ١٣٠٨ هـ ١٤ / ٢٧ / ١٥ / ٨٢

ملازمة للدولة المهدية بل ان اصداءها مازالت تتجاوب حتى ايامنا
هذه ويخرب بها الميثاق على الظروف المعيشية القاسية .

ادارة منطقة القصارف - القلابات .

تغيرت الحدود السياسية لهذه المنطقة تغييرا مستمرا طوان
عهد المهدية . وكانت تلك استغييرات تتبع تغيير العمال الذين اختلفوا
على المنطقة ، فكلما زادت اهمية العامل لدى الخليفة اتسعت حدود عائلته ،
فنظام الحكم فردى يعتمد على الولاء الشخصى للخليفة . كما ان
تلك التغييرات خضعت للوضع الجغرافى لمنطقة القصارف - القلابات
لوقوعها بين الجزيرة وكسلا فكان يقطع منها حينا الى هذه وحينا الى
تلك او يضاف اليها من كليهما . على ان تلك التغييرات خضعت لحد
كبير للاحتياجات الاقتصادية والحربية . وكان اوان تغيير حدث فى عهد
الزاكي هو فصل جهة بيلة وضمها الى الجزيرة . واعتذر الزاكي على ذلك
التغيير وذكر للخليفة حجتين : الاولى ان القصارف ودوكة كانتا تمدان
السرية بالعداء ، ولكن بعد مجاعة ١٣٠٦ اصابهما القحط واصبح
الاعتماد الكلى على بيلة اذ حاصل فيها " نوع فسحة " ، ثانيا ان جهن

بيلة من الطرقات المؤدية الى الجزيرة وإلى الغرب فاذا انفصلت
 عن القلايات فسيؤدي ذلك الى " تعادي انصار السرية لسلب
 طرقهم والتوجه للجهات الغربية " . وكان الزاكي قد جاء منها
 بغطاء هامه للمراقبة تمنع تسرب الانصار والسلاح^{٢٦} . اما الخليفة فقد صم
 بيلة الى الجزيرة لتصبح نقلة مراقبة تمنع تسرب الذرة شرقا . لقد
 كان الخليفة مهتما بتوفير الغذاء لادمريان اهتماما فائقا . ولا ريب ان
 الزاكي امر بضم جهات بني شنقول وتوابعها اليه . وبالرغم من ان
 الزاكي ارسل عبدالرسول عمر الى بني شنقول عاملا من قبله الا انه
 لم يمكث سوى بضعة اشهر استدعي بعدها الى القلايات وطلبت بني
 شنقول تتبع الزاكي اسما^{٢٧} .

وفي مارس ١٨٩٠ (شعبان ١٣٠٧) امر الخليفة بضم كسلا الى
 عمالة القضايف — القلايات لسبيين . اولا لتعرضها لهجمات متكررة
 من الحو — وثانيا لان في ضمها " تنفيس " للجيش المتراكم بالقلايات .
 فارسل الزاكي ثلاثة الاف من الجهادية بقيادة النصري محمد العالم
 وعبدالله ابراهيم وحسين حبيب الله خلفا لحامد علي . وتم ارسال
 ٢٠ الزاكي طعل الى الخليفة ، . العقد ١٣٠٧ ، مهدي ١٤ / ٤ / ٢ / ١٧٢

اولئك الجهادية " شقي في شقي " لان كسلا نفسها كانت
تعانى من نقص في المواد الغذائية . وعندما وصلت تلك الرايات
الى كسلا وجدوها " خرابنة ومنازلها خلا ولا فيها انصار ولا غيرهم
من اهالى البلد ولا العربان ، الاشرمة يسيرة مع حامد على " كانوا
موجهين اهتمامهم على انفسهم ^{٢٨} ، وادى حضور تلك الرايات من
القضارف الى ارتفاع اسعار الذرة حتى بلغ الاردب مائة وعشرين
ريالا وحتى ذلك السعر غير متيسر ، فاستجد انصرى بالزاكى لعله
بالذرة والخبثانة . فارتس الزاكي خسمائة اردب من الذرة وخمسة
رايات من البديرية واتبعها باخرى من الجوامعة والفديات . وهكذا ^{٢٩}
اصبحت كسلا عبئا على القلايات بل وعلى الجزيرة مما ادى الى
فصلها وحملها بوغازا منفصلا تحت قيادة محمد عثمان ابي قرجة
وذلك بعد اقل من عام من طردها الى الزاكي .

وفصلت كركوك من القلايات وضمت الى امدران لفترة عامين وذلك

لتضرر اهليها من تبعثهم للقلايات* وعندما طلب احمد على اعادتها

٢٨ : النصرى محمد العالم واخرين الى الزاكي طمل ، ٢١ شوال ١٣٠٧ هـ ، مهديّة ،

٣٧٩/٢/١٢٧/٢

٢٩ : عبدالله ابراهيم الى الخليفة ، ٢٤ الحجة ، ١٣٠٠ هـ ، مهديّة ، ١٠/١١/٢٠٠٠

ثانية ، لقريبها منه ولخصوصيتها ووفرة انتاجها ، رفق الخليفة قبول
٣٠

حججه ، على انه اعادها ثانية في نوفمبر ١٨٠٢ (جماد اول ١٢١٠)

الى الزاكي . ويبدو ان الخليفة قد اتخذ ذلك الاجراء لتأمين موقف

امدرمان من ناحية الذرة ، وعندما اطمأن الى الموقف اعادها الى

الزاكي ثانية .

ويعد عودة الزاكي من جنوب البلاد راي ان يجعل من ابي حراز مركزا

له بدلا من القصارف او القلابات . ولعل الزاكي كان يرمى الى السيطرة

على الجزيرة . ولكن الخليفة رفض ذلك الاتجاه لان القصارف مكان واسع

وغصب وكثير الخيرات . وهي قريبة من القلابات وكسلا ومنها يستطيع الزاكي

ملاحظة البوغازين . والقصارف في رايه ايضا " مطرفة " واقامة الجيش بالاطراف

" احزم وارهب للاعداء واولى واحق بعراة المصلحة الدينية " ، كما ان

اشرف الزاكي على القصارف من ابي حراز سيؤدي الى " كثرة الشكيات "

لبعده عنها . فعاد الزاكي بكل جيشه الى القصارف ومنها الى القلابات^{٣١}

حيث طلب منه الخليفة ذلك . ولكن الزاكي راي ان بقاءه بالقلابات غير

١ . الخليفة الى احمد علي ٢٤٠ الحجة ١٢٠١ ، مهدي ١٨٠ / ١ / ٢٧ / ١

٢ . الخليفة الى الزاكي طعل ٢٨٠ ربيع اخر ١٢١٠ مهدي ٣٠ / ١ / ٢٧ / ١

مناسب " لضعف معاشها " ولأن الحيش " المجاورين بالقرب اذعنوا
 للصالح " . فوافق الخليفة على عودة الزاكي الى القضاة وهذا^{٣٢}
 انتهى عهد القلايات كمركز حربي وتحولت كل الجيوش الى القضاة
 وذلك في مطلع عام ١٨٩٣ (رجب ١٣١٠) .

وأجرى الزاكي في مطلع عهده بعض التنقلات بين عماله ، فاستدعى
 النور عنقرة من القضاة وباكر الحان من دوة ومحمد ولد فرج من بسرف
 سعيد الى القلايات لانهم آذوا الناس واضروا بمصالحهم . وعين بدلا عنهم
 عمر نخاش بالقضاة وحسن ادم انجرتله بدوة وابطاهر النضيف من
 سعيد . وحدثت تلك التنقلات - في ران الزاكي - بعض " النفيس " ^{٣٣}
 والراحة للاهالي اذ هبط سمر اردب الذرة بشكل ملحوظ . اما حامد
 الجزولي وعبدالله حامد فقد بقيا في مكانيهما ببيلة والدندر والرهو .
 وعند وفاة النور فقرا لم يعين عاملا جديدا على تبارك الله بل اتبعت
 لدوة . لقد كانت تلك التحولات امرا مألوفاً في المهدية تحدث
 مع تعيين كل عامل جديد .

٣٢ الزاكي طعم الى الخليفة، ٢ رجب ١٣١٠ هـ ١٩٠٤ / ٤ / ٤ / ١٩

٣٣ الزاكي طعم الى الخليفة ٦ جمادى اول ١٣٠٧ هـ ١٩٠٦ / ٢ / ٤ / ١٩

وفي عهد الزاكي تم اخضاع قبيلتي الشكرية والغبانيمية

اخضاعا تاما ، اوق ان هاتين القبيلتين قد قبلتا حكم الخليفة اواظهرتا

تولا له بعد ان تبين لزعماهما ان مقاومة ذلك النظام لم يات

الا بالخراب والتشتت . بل ان تلك المقاومة قد جرت على افراد

القبيلتين عنتا في الحياة وضيقا بها . اما الشكرية فقد تفرقوا في

انحاء المنطقة بعضها في القضايف وبعضا في كسلا وثالثا في رفاعية .

اما الشكرية في كسلا فقد لاقتوا ضيقا في المعاش لتفقر الذرة في تلك

المنطقة . فهاهو علي عوض الكريم ابوسن يكتب الى الخليفة راجيا منه

ان يسمع له بارسال كميات محدودة من الذرة الى اهله في كسلا بعد ان

٢٤

كان بعضهم جوعا . لقد تحول ميزان القوة في المنطقة . فالشكرية الذين

كانوا في عزة ومنعة من امرهم وكانوا في خير وفي راحة تحولوا الى مجموعات

تضرب في تيه الحياة باحثه عن قوت يومها بينما صارت ارضهم ومزارعهم

ماوى للجيوش التي تعسكر في ذلك المكان ترفع راية المهدية عاليا

لتواجه بها " اعداء الله " . وهاهو محمد احمد ابوسن يكتب للخليفة عن

احوال بعض ابناء ابي سن وهم عدالله وعساره ومحمد : الب لهم الاقامة

حيث يمكنهم ان يستأنفوا حياتهم كما كانوا من قبل .^{٣٥} وما ان انتصف

عام ١٨٩١ (نهاية عام ١٣٠٨) حتى اخذت مجموعات الشكرية التي

هجرت ارضها الى الحبشة - على امر العودة ظافرة على انقاص

العهدية - اخذت تعود الى اوطانها طائفة بعد ان منحتها الخليفة الامان

الكافي .^{٣٦} وبعث الشكرية الى الخليفة برسالة عبروا فيها عن رضائهم

١٧

الكامل وامتنانهم بل وطالبوا بتخصيص ربح خام بهم ليرفعوا راية الجهاد .

لقد نجحت سياسة الخليفة الجديدة التي كانت ترمي الى ترغيب القبائل

النافرة من العودة واستفراها تحت ظل نظامه للمشاركة في تدعيم

سلطته وتثبيتها .

ولم يكن موقف الفيانية يختلف عن الشكرية . فقد رأى الخليفة ان

يعيد محمود عيسى زايد الى اهلكه بعد ان اقتنح الخليفة بعد طول

بقائه معه في ادمرمان بانه لن يكون بعد ذلك عنصرا مناوئا له . ورأى

الخليفة في عودة زيد زايد ما يساعد على استقرار الحياة الاقتصادية

والاجتماعية لاضبانية وعلى جمع شتاتهم بعد ان " نار حسن القرية " .

٣٥ محمد احمد ابرسن الى الخليفة ٢٢ جماد احر ١٣٠٧ ، مهديه ٢ / ٢١ / ٦ / ١٨٨

٣٦ عبد الله عوف الكرم ابرسن الى الخليفة فاية العقد ١٣٠٨ مهديه ،

٢ / ٢١ / ١١ / ٢٤٤

٣٧ الشكرية الى الخليفة ، ١ جماد احر ١٣٠٦ مهديه ، ٢ / ٢١ / ٥ / ١٠٠

لدى وصول ولد زايد الى القطارف رابرين ١٨٩٠ / شوال ١٣٠٧

قام الزاكي بعده بالبذور الكافية للزراعة ، كما عين مندوبين للسفر الى مختلف الجهات التي يتواجد بها الكهانية لدعوتهم للعودة الى ديارهم * ويشيرونهم بحصول الراحة * ، كما سمح لولد زايد بان يعمل له ختما خاصا به .^{٢٨} وقام ولد زايد بالتصدي لمهمته الجديدة مؤمنا

النظام الجديد وسطوته فسمى لجمع شتات اهله وعمران ديارهم

وزراعة اراضيهم ، وارسل " للشاتين " منهم بديار الحبشة احد اعيان قبيلته ويدعى الضو ولد رانق ليورد غريبتهم . واستطاع ولد رانق ان ينجح في مهمته وان يعيد منهم جمعا كبيرا . وارسل الزاكي حملتين

الى جهتي غورة وغبقة لتشتيت بعض تجمعات الكهانية وقد ساعدت تلك^{٣٩}

الحملات في اعادة بعض قلوبهم . واظهر ولد زايد حماسا مبالغا للمهدية

حتى انه غلب ان يسير في احدى الحملات مجاهدا ، ولكن الزاكي اثر

بقائه ليتم مهمته في التعمير واقتنع الخليفة تماما بأوبة ولد زايد الى

حظيرة المهدية ان نجده يوصى به احمد علي خيرا ويطلب مساعدته

والاخذ " بخاطره " .

٣٨ الزاكي طعل الى الخليفة ، ١٠ العقدة ١٣٠٧ هـ ، ١٠ / ٤ / ٢ / ١٧٢٢

٣٩ الزاكي طعل الى الخليفة ، ٩ رمضان ١٣٠٨ هـ ، ١٠ / ٤ / ٣ / ٢٥٥

وهكذا شهدت الفترة الاولى من عهد الزاكي ومن عهد احمد على استقرارا في المنطقة تمثل في خضوع قبيلتي الشكرية والخيانية خضوعا كاملا . كما ان مجاعة سنة ١٣٠٦ جعلت سياسة المهديّة تتجه الى تشوير الزراعة عن طريق استقرار القبائل في مناطقها وتأمينها بعد ان تبين للحكام ان قبائل الغرب لا تحسن نوع هذا المعسر ولذلك تركت لتبأشر عملية الفزرو . ويمكننا ان نقول ان سياسة الخليفة في هذه الفترة كانت تهدف الى استمالة القبائل المحلية لاعطائها الفرصة لتستقر وتساهم في عملية الزراعة بشكل فعال .

ولابد ان نستعرض طبيعة الجيش الذي كان بعسكر في القلايات لانه من اكبر الجيوش في دولة المهديّة . لم يختلف ذلك الجيش في تكوينه عن جيوش المهديّة الاخرى التي تراجعت في البوغازات المختلفة فكما ستكون من : - اولاً العرب وهم في الغالب حملة الاسلحة البيضاء ، ومن جهادية وهم الجنود المحترفون حملة الاسلحة النارية . وكان دور اولاد العرب في المرحلة الاولى للثورة المهديّة دورا اساسيا . ولكن بتطور الثورة واحتكاكها بانظمة حربية معقدة احتل الجهادية الدور الرئيسي في الحروب . وفي منطقة القلايات كان هذا الاتجاه اكثر

وضوحاً . ولعد الجهادية قد تحولوا الى نوع من المحترفين او الانكشارية
كالتي عرفتھا الامبراطورية العثمانية . فكان الجهادية هم يد العهدية
الغاربة واولاد العرب حملة فكرتها وروحها .

وبما ان القلايات اصبحت اكبر معسكر حربي في العهدية على الحدود،
فان تحليل قوة ذلك الجيش تصبح امراً ضرورياً . فعندما قام الزاكي
طمل بجرد الجيش في مارس ١٨٨٩ (رجب ١٣٠٦) فكان مجموعة تسعة
وخمسين الفا وثلاثين جندياً منهم خمسة عشر الفا وتسعمائة وخمسة وتسعون
جهادياً وثلاثة واربعون الفا وخمسة وثلاثون من اولاد العرب . وكان
تسعة الاف وسبعمائة وخمسة من الجهادية باسلحة نارية . اما اولاد العرب
فكان منهم ستة الاف واربعة وسبعون باسلحة نارية (اي السبع) .
يلح جملة الفرسان من الشقيين الدومانيين وعشرة . ويكون مجموع الاسلحة
النارية في كل الجيش خمسة عشر الف وسبعمائة وتسعة وسبعون واكثر من
نصفهم من الجهادية وبالرغم من ان الجهادية اقلية في الجيش الا ان
عليهم الاعتماد الاول في اي صدام بل كانوا في واجهة ذلك الصدام .
وعانى ذلك الجيش من الحروب المستمرة من المعجاة حتى انه بعد مضي
عام اصبحت تعداده خمسة وعشرين الفا مجاهداً وفي العام الذي يليه بلغ

سبعة الاف وواحد وسبعين ، وعندما غادر الزاكي القلايات الى الجنوب ترك بها الفين وستمائة وستة واربعين مجاهدا فد. ٤٠

وشهد الجيش بالقلايات تحولا هاما وهو ان اولاد السرب وبعض الجهادية اخذوا يتسربون الى الجزيرة اما هروبا من المحاة او عزوفا عن الجهاد وقنوطا ، حتى اصبحت الجزيرة - على حد تعبير الزاكي - " محشوة من انصار السرية " ، واستمرت هذه الظاهرة حتى اصبحت جهات القضارف ودوكة خالية من اولاد العرب. ٤١ وادت تلك الهجرة الى فقدان عنصر اولاد العرب في الجيش حتى صار " كله جهادية " واصبح هذا التحول في تركيب الجيش ماثرا قتل للسلطة الحاكمة ، اذ ان اختلاط الجيش من اولاد السرب والجهادية هو الاتجاه السائد ، والهدف منه احداث توازن داخل الوحدات المقاتلة . فالجهادية لم تكن تشن كثيرا في الجهادية لانهم غير " مامونين ... بدون ضبط من اولاد السرب . فوجود اولاد السرب مع الجهادية " فيه نوع من الاطمئنان " لان الجهادية يتصفون بعدم " استقامة احوالهم ... ولو ابرههم

٤٠ الزاكي طمل الى الخليفة ٢١ رجب ١٣٠٦ هـ ، ١٤ / ١ / ١٧

٤١ الزاكي طمل الى الخليفة ١٢ جماد اول ١٣١٠ هـ ، ١٤ / ٤ / ٣٨٨

٤٢ الزاكي طمل الى الخليفة ٢ شعبان ١٣٠٨ هـ ، ١٤ / ٤ / ٢٤٣

٤٣

مقدمهم بأن يفعلوا منكرا لفعلوه " . بل انهم اذا عين لهم امير

من اولاد العرب فانهم لن يمثلوا له عن " خالدر نيتهم " .

ر في منتصف عام ١٨٩٣ (اواخر عام ١٣١٠) رأى الزاكي

ان يجرى تمديلا في الجيش لان الارباع صار بعضها اقلية من

الجهادية والبعض الاخر اولاد العرب ، وقد يبدو من ظاهر الامر ان

الزاكي يريد ان يجعل توازنا داخرا الارباع فحسب الا انه كان

يهدف كقده الى تركيز الجهادية في ربيع عبدالله ابراهيم واولاد العرب

في ربيع احمد على فنقل الى احمد على خمسة عشر راية من اولاد العرب

من ربيع عبدالله ابراهيم^{٤٤} . وهذا يوضح انه بالرغم من التشكك في

الجهادية فهم مازلوا القوة الضاربة في جيون المهدية وهم الذين

يروجون ان كفة في ان صراع حول السلطة .

ولاشك ان من الاحداث الهامة التي عرفتها تلك المنطقة بناء

حصن القلابات . ولعل ذلك الحصن من المظاهر المعمارية النادرة

٤٣ احمد على الى الخليفة ، ٢٤ رمضان ١٣٠٨ هـ ، ١٠ / ٢٧ / ١٥ / ٧٠

٤٤ الزاكي قسما الى الخليفة ، ٧ المحرقة ١٣١٠ هـ ، ١ / ٤ / ١٠ / ٥٦

التي عرفت بها المهدية . ففي فبراير ١٩٦٥ (جماد ثاني ١٣٠٧)
 امر الخليفة بتشديد سور من الحجارة حول القلايات حتى اذا خرج
 الجيش الى الحرب تكون العائلات والموءن في امان . فاستشار
 الزاكي بعض الانصار ممن لهم دراية بالبناء وعلى راسهم اسماعيل
 حسن المهندس . وتم الاتفاق على بناء السور حول القلايات القديمة
 قبل ان تتسع بيد اقامة معسكر الجيش حولها . ويتكون السور من
 جزئين داخلي واخر خارجي عرضه مائتان واربعون مترا ونصف وسمكه
 مترا ووضع في السور الخارجى بندقيتين بين كل متر والثاني . وبنى
 السور على ثلاثة درجات بحيث يكون الجنود الذين في الدرجة السفلى
 جلوسا وفي الدرجة الوسطى على ركبتيهما وفي الدرجة العليا وقوفاً .
 بهذا يصبح في كل صف اربعمئة وثمانون بندقية فاذا اضفنا العدد
 من الصفوف الثلاثة ثم الجهات الاربعة لاصب ذلك السور في هياة
 حصن ٤٥٠ واقامت كل بندقية على " مزغر " حتى بدى ذلك السور كان
 شبكة من اسلحة . واقيم مكان للاستكشاف فوق بوابة الاستحكام . وشيدت

اربعة طوابق على اركانها . ووصف اسماعيل المهندس ذلك البناء

بانه قوي الصنع و " لا يكون له سبوق منى على صنعته

وعندما يصير قذف نيران السلاخ (منه) . . . فان شاء الله لا يمر

امامه احد من الاعداء ويرتبت . . . ولا يوجد به فسح حتى تصله

الاعداء من شدة التحام نيرانه . . . وان الاعداء ان كثروا او قلوا

لا يجدوا لهم حيلة لدخوله ولا التحكن من ادنى تاثير فيه . " ٤٦

اما السور الداخلى فالغرض منه حماية العوائل ومخزن الجيخانة والسوق

ومكان امير الجيش . ونبه الخليفة المهندس لتوفير المياه النازمة .

وقد وضعت لها الضمانات الكافية فهي محيطة بالسور من كل الجهات

" تحت مرما الرصاص " . كما تم حفر بئر داخل السور عمقها ثمانية قامات .

وفي منتصف عام ١٨٩٠ (اخر ١٣٠٧) تم بناء الاسوار كلها وغادر

اسماعيل المهندس القلايات . ^{٤٧} لاشك ان ذلك السور كان عملا

هندسيا رائعا بالنسبة لظروف البلاد في ذلك الحين . وهو من

الاثار المعمارية القليلة التى خلفتها المهدية بسجلات كاملة . ويعتبر

بناء ذلك السور نقطة تحول في السياسة الخارجية لدولة العهديات

٤٦ اسماعيل حسن المهندس الى الخليفة ، ٩ رمضان ١٣٠٧ ، سهدية

٣٥٨/٩/٢٠/٢

٤٧ انظر خريطة السور ملحق .

وفي علاقتها بالحبهة اذ تحولت القلايات الى نقطة للدفاع فقط.

سياسة المهديّة مع الحبهة في عهد الراكي طمل

عندما توفي ابو عنجة ترك استمدادات الحرب مع الحبهة قائمة على قدم وساق حيث اكمل الانصار تحصين مواقعهم . اما يوحنا فقد خرج بجيش ضخم قاصدا القلايات . في ذلك الجو الملبد بغيوم الحرب تولى الزاكي قيادة الجيش .

ظل الانصار يتتبعون تحركات الجيش عن طريق جواسيسهم او عن طريق النقادية . فعلم الزاكي ان يوحنا خرج بجيشه مطلع فبراير في اوائل جماد ثاني (الى جهة دعبيا على نهر عطبرة وانه سيصل القلايات اما في اواخر جماد ثاني " او مطلع " رجب " وفي دعبيا اجتمع مع قواده وسار بجيشه الى جهة تنكل وكان يدعو قومه للاجتماع به فانضم اليه " ما لا يدخر تحت حصر " .^{٤٨} واعلن يوحنا لجيشه ان هدفه هو الوصول الى امد رمان .^{٤٩} وفي اول مارس (٢٨ جماد ثاني) وصل بجيشه

٤٨ احمد علي الى الخليفة، ١٨ جماد آخر ١٣٠٦، مهديّة، ١٤/٢٧/٤٤
 ٤٩ كان يوحنا حسب رواية الكردفاني - ينوي ان يجعل من القلايات مركزا يستطيع منه الوصول الى امد رمان وان يجعل من القلايات كذلك مركزا للتشجير المسيحي راجع : الطراز المنفوس ص ١١٠

الى بحر قنود حيث ان الاسار يشاهدون نيرانا معسكرة * ومن
هناك ارسل جيشه امامه مسافة ثلاثة ايام حتى وصل بهم عطبرة *
وفي ٦ مارس (٤ رجب) حط رحله على منهل ماء على بعد ساعة
من القلابات * بحيث تسمع اصوات نفاقيره * وتسم يوحنا جيشه على ستة محلات
وفي كل جهة وضع عددا وافيا من الاسلحة والجنود فوضع حملة الاسلحة
النارية في المقدمة يليهم حملة السيوف والدرع ووضع الخيالة على الجانبين *
اما خطة الزاكي فكانت البقاء خلف تحصينات القلابات وعدم الخروج لملاقاة
الحش لان اغلبهم * ذروا خيل وربما خرجنا نحن بالكلية ومن ميكنتهم
ارسلوا الخيالة لحرق الديم * كما ان الزاكي لم يكن على يقين من الجهة
التي سيهجم منها الحش وعلم اخيرا انهم سيهجموا من جهة نهر عطبرة
وان هجومهم سيكون اما بالثلاثاء او الخميس كما هي * عادتهم النحسية *
لذلك خرج الراكي بجيشه خالي الفديات واقام حوله زريبة *
٥١

٥٠ الزاكي طلع الى الخليفة ، نايه رجب ١٣٠٦ ، مهدي ، ١٨٨١/١/٤/١
يقسم سلاطين جيش يوحنا الى قسمين على اساس قبلي ٠٠٠ اما القسم
الاول فيكون من قبيلة التقري ومن جيش منليك ، وهذا القسم يرئاسة الولا
واما القسم الثاني يتكون من قبيلة الامهرة بقيادة راس برمهاس *
٥١

الزاكي صعد الى الخليفة ، رجب ١٣٠٦ مهدي ، ١٨٨١/١/٤/١

بدأت المعركة صباح السبت ٨ مارس ١٨٨٩ (٦ رجب

١٣٠٦) بهجوم الحش على القلايات واحاطوا بالانصار من كل

الجهات بخيول واسلحة " في شىء لا يكاد يوصف " وجعلوا معسكرهم

" كحلقة الخاتم " فسد غبارهم الافق واخفتت الشمس تماما . ثم بدأ

الحش بالضرب من اذسلحة النارية من الجهات الاربعة دون ان

يرد عليهم الانصار . وما ان " ملوا اقواه السلاح " حتى ابتدروهم

الانصار بالضرب . وفى اثناء المعركة تمكن الحش من اختراق صفوف

الانصار من جهة احمد على " لاتساعها وضعف الزريبة فيها وعدم

الكفاية فيها من الانصار " . والتحم الجيشان وصار الضرب بكل انواع

الاسلحة وتمكن الحش من احراز نصر مبكر على الانصار ، وبالرغم من

المساعدة التى رجدوها من فرس الله رجب الذى اتى بنجدة من

التومات . وعندما تبين ليوحنا ان قبيلة الامهر اظهرت شجاعة فائقة

فى القتال وانهم هم الذين اخترقوا صفوف الانصار بينما قبيلته من

التقى كانت ضعيفة الراء ، قام بنفسه ليتقدم الصفوف الامامية

ليستحث قومه على القتال . فتقدم يوحنا محمولا على كرسى وحوله

مجموعة من اتباعه . وعندما لاحظ الانصار الملابس الامبراطورية الزاهية

والحشد الطنف وجهوا نيرانهم الى جهته ، ولعلهم كانوا يجهلون ان ذلك

هو الامير الطور . فاخترقت احدى رصاصات الانصار زراع يوحنا
ودخلت صدره وجرحته جرحا مميتا . وفي تلك الساعة احس يوحنا
بدنو اجله فاستدعى ابنه امراس منقشا واوصاه بالتراجع الى بلاده .
فحمل الجيش امراطورهم على صندوق وانسحبوا من المعركة بعد
خمس ساعات من القتال . لقد احدثت تلك الرصاصة اثرا بالغا
في تغيير مجرى الحرب ، فبعد ان كان الجيش على مقربة من
النصر اخذوا يتراجعون يلحقون جرحهم الامراطور القاتل . فجمع
الانصار اشتاتهم وخرجوا في اليوم الثاني يقتلون اثر الجيش . فوجدوا
في الطريق جثثهم تملأ الوديان وخيلهم ومواشيهم تهيم بالهدى .
لقد انفرط النظام في جيش الحس من عطية الانسحاب غير المنظمة
فاستغل الانصار تلك الفوضى الى ابعد مدى . ففي ١١ مارس
(٩ رجب) لحق الزاكي بفلول الجير على نهر عطبرة فهاجم
زريبتهم ودارت معركة ثانية استمرت لست ساعات استطاع فيها الانصار
ان يحققوا نصرا كبيرا وان يخلصوا من الجيش " كافة من اسروه من
المسلحين وملكنا زيادة على ذلك ما بيدهم من العوائل والاولاد " .
ثم قام الزاكي بقطع رأس يوحنا وعدد من قواده وهم رأس المولا
ورأس دحاج وهيلامريم وراس ^{وارسلهم} الى الخليفة حيث علقت في سوق

وكان دور عبدالله ابراهيم وحمد بن حبيب الله وعبدالرسول
 عمر - حسب رواية الزاكي - هو الدور الرئيسي في المعركة ،
 خصوصا عبدالله ابراهيم " لانه كان في اشد الحرارة " ولذلك كان
 اكثر اشهداء من ريعه . ولذلك طلب الزاكي من الخليفة ان يسمح
 له بتعيين عبدالله وكيلا عموميا للمركز لينوب عنه اثناء غيابه .^{٥٣}
 وكان الزاكي يرمى من وراء ذلك الاطراء اظهار احمد على بمظهر
 الضعف ، لابعاده كلية من الوكالة على المركز .

وحدثت اثناء المعركة بعض الظواهر السلبية التي كان لها
 بعض الاثر في ترجيح كفة الجيش في بداية الحرب . اولها موقف
 التكاير في المقلبات . واستكاير في رأى الزاكي غير مخلصين في
 ايمانهم للمهدية " وايضا تهم مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

٥٢ جاء وصف معركة المقلبات هذه في عدد من المصادر هي : -

أ / مهديّة ١٣/١/٤/١٠

ب / مهديّة ١٢٧١/٤/١٠ ج / مهديّة ٨٨/١/٤/١٠

ولعل تكرار هذه المراجع راجع الى ان الخليفة طبع خطاب الزاكي
 الاصل في مطبعة الحجر ووزعه على مختلف الجهات .

د هو الطراز النقوش دور ، ١٠٦ - ١٢٣

هـ / شقير ، ص ١٠٧٧ - ١٠٨٣

و ^{sup. cit.} ٤٤٥ - ٤٤٣ ، pp. ٤٤٣ - ٤٤٥

٥٣ الزاكي عمل الى الخليفة ، ١٠ رجب ١٣٠٦ مهديّة ١٣/١/٤/١٠

لا يعيزون بالاسلام الا من حيث النطو بالشهادتين * . ويعتقد الزاكي انهم قاموا بحرق معسكر الانتصار اثناء المعركة مما خلق جوا من الهلع وساعد الجيش على اختراق صفوف الانتصار ، بل ان التكاير هم الذين ساعدوهم على دخول معسكر الانتصار من جهة احمد على وهم الذين كانوا يمدون الجيش باخبار جيور المهدية .^{٥٤}

فما مدى صحة هذه الرواية وماهى دلائلها ؟ فى هذه الرواية جانب كبير من الصحة لان تاريخ التكاير فى القلايات كان دائما يعكس رفضهم للنظام الجديد وارتباطهم بالحش وذلك على امل اعاده مصالحهم التجارية التى ضعفت او توقفت تماما بعد نشوب اشورة المهدية . وبالرغم من ان التكاير مسلمون الا انهم اثروا الوقوف بجانب الحش مسلمين بذلك ارتباطهمهم التجارية على كل اعتبار اخر ولعل التكاير كانوا على يقين من انتصار الحش فى معركة القلايات لكن الجبر الذى قادوه الى هناك . وتعكس هذه الرواية كذلك بعض جوانب الضعف التى اكتنفت روح المهدية فى تلك المنطقة . وليس الجبل على ظاهرة الضعف هذه من تكرار هروب الجهادية اثناء المعركة . فقد قام

٥٤ الزاكي طعل ان اليفة ١٤٠٦ رجب ١٣٠٦ هـ ١٤ / ١ / ١٠ هـ

بعين الجهادية من ربحي احمد على وعبد الله ابراهيم بالهروب مما كان له اثارا عكسية

على الجنود ٥٥ .

وبعد انتهاء المعركة قام الزاكي بحصر الشهداء والجرحى وجمع الغنائم فبلغ عدد الشهداء الفين وسبعمئة وستين والجرحى الفا وتسعمائة واربعة وسبعين ولعل هذه الارقام غير دقيقة لانه من المألوف ان يكون عدد الجرحى في المعارك اكثر من القتلى . ويبدو ان العدد اكبر من ذلك ولكن الزاكي راي ان يخفى الارقام الحقيقية حتى لا يبدو النصر الذي حققه بانه كان نصرا فاليا . والشئى المؤكد من مجرى المعركة ان خسائر الانصار كانت بالغة الا ان خسائر الحبش كانت اكثر منهم خصوصا بعد المعركة الثانية على نهر عطبرة .

اما الغنائم فامر هذا كان مخيبا للامال اما لان الحبش لم يحضروا معهم من ممتلكاتهم ما يستحق الذكر او لان الزاكي طمع في الاحتفاظ باغلبها لنفسه . ولعل هذه الحادثة كانت بداية لتسرب الشك الى نفس الخليفة نحو نوايا الزاكي . فقد كتب الزاكي للخليفة يخبره بان الحبش لم يكن معهم مسن الغنائم ما يستحق ارسال الخمس منه خصوصا الرقيق والخيول لانهم احضروا معهم رقيق الخدمة فقط وجميعهم

مستقيم لا يلبث ارساله لصوب السيادة* اما رقيتهم الجيد فقد تركوه بجهات دمية . وقد طلب عبدالله وركتي ، شيخ دمية ، ارسال نجدة اليه ليسلمها مالم يه من غنائم الحين قبل ان يستأثر بها راس عدار . فارس له الزاكي عشرة الاف من الجهادية . صيدو^{٥٦} ان تلك الحطة قد عادت ببعض الفوائد فارس الزاكي الخسر من البفال الى الخليفة وباع باقى الغنمة التى لاتستحق الارسال واحتفظ بثمنها لدى امين بيت المال .^{٥٧} على ان ماورده الزاكي من شح فى الغنمة لايتفق مع ماورده الكردفانى من وفرتها حتى بلغ سعر الجارية بالقلابات ثلاثة ريار والحميلة عشرة ريار والحصار بقرشين ، ولايتفق حتى مع الروايات السماعية من ان امدرمان اعتلات بنساء الحين وغنيمتهم .^{٥٨}

وكان من انتصار الزاكي فى القلايات ان عمت الحبشة سنوات من الفوضى والاضطراب لم يفت على الانتصار ادراكها .^{٥٩}

٥٦ الزاكي عمل الى الخليفة ٣ شعبان ١٢٠٦ هـ ، مهدية ، ١/٤/١٢٧٧

٥٧ وكان من ضمن الغنمة ممتلكات يوحنا الشخصية من حلى ذهبية وملابس واثاث وحوالى ١١٨٦ بندقية و ١٢٨ من النساء

٥٨ لعل نساء الحبش اللاتى احضرن الى امدرمان واتخذن كجوارى كن فى اعداد كبيرة وانهن قد احدثن بعض الاثار الحضارية بما نقله من عتاد الحبش وملبسهم وعاداتهم

٥٩ يرى هولوت ان انتصار الزاكي على الحبشة كان له اثار وخيمة =

لا على الحبشة وحدها بل وعلى دولة المهدية كذلك . فبعد ان قتل الاسرطور يوحنا انزاحت قبضته القوية عن الحكم ودخلت الحبشة في فترة صراع داخلي عنيف مكن ايطاليا من احتلال ارتريا عام ١٨٩٠ وهذا اصبحت دولة المهدية تواجه دولة اوروبية حديثة بدلا عن دولة الحبشة . ويذهب سيبولد الى

راى غريب من هذا

Halt, The Mahdist State, p. 155

on cit,

Theobald, /pp. 155-6

ولعل الكاتبان قد حملا معركة القلايات ابعادا اكبر ما هي عليه . فتطير الاحداث في الحبشة وفي السودان في هذه الفترة كان يخضع في اماكن الاول للتنافس الاستعماري الذي شهدته القارة الافريقية في اسنوات الاخيرة من القرن الماضي أكثر مما يخضع للاحداث الطارئة مثل معركة القلايات . على ان معركة القلايات لم تكن بدون نتائج ولكن نتائجها لم تكن بذلك العمق . وقد تعرض س. وسميرنوف في كتابه "عبيان الهند في السودان " بل دور الذي لعبه الاستعمار في

احداث هذه المنطقة وستعرض لهذه الآراء ومناقستها في الفصل الاخير.

مقد وصف الزاكي الحبش بانهم في " اشد الهرج والمرج والزلزال
والهول ولقد صاروا يقتلون بعضهم بعضا " واستنتج ان " جميع الدار
بعد هذا توهم بالمهدية " .^{٦٠} ولذلك اقترح على الخليفة ان يكتب

الى بعض قادة الحبشة مثل راس عدار ومفيا، وغيرهما " لانهم اذا
اكرموا بمذاكره من لدن جنابكم يحضروا بالطاعة مهرولين لاسيما ان
تلوح لهما بان لهم الملك في الحبة على حكم المهدية " .^{٦١} فاستجاب

الخليفة لطلب الزاكي فكتب الى منليك وراس عدار وبعض قواد
الحبشة الآخرين . وجاء في مخاطبته لعنليك اشارة الى مكاتباته السابقة
له ثم ذكره بالمصير الذي لقي يوحنا ومن معه . على ان الخليفة صفح
عن منليك وما بدر منه في الماضي وطلب اليه الدخول في " طلة الاسلام
والانتظام في سلك اتباع المهدي عليه السلام والازعان لحكما " .^{٦٢}

ويبدو ان الخليفة والزاكي وبقية قواد المهدية قد بالفوا في
اهمية انتصارهم الحربي على يوحنا لانهم كانوا بجهلون في حقيقة
الصراعات الداخلية التي كان يدور رحاها داخل الحبشة ، وطمح قواد

٦٠ الزاكي طعل الى الخليفة ، ٢٤ شوال ١٢٠٦ هـ ، ١٠ / ٤ / ١١ / ٦٥

٦١ الزاكي طعل الى الخليفة ، ١٠ رجب ١١٠٦ هـ ، ١٠ / ٤ / ١١ / ٢٦

٦٢ الزاكي طعل الى الخليفة ، ١٢٠٦ (بقية التاريخ غير مذكورة) ، هـ ، مهدي ،

الحبشة البارزين في الاستيلاء على السلطة بعد مقتل الامبراطور .
ولذلك فان مصير تلك الخطابات لم يختلف عن مصير الخطابات
السابقة التي بعثها المهدي والخليفة . انها لم تفعل اكثر من
تأكيد اتجاهات المهدي الحازمة في الولاء لها . لذلك فانتصار
الخليفة على الحبشة لم يخضع تلك الامبراطورية ولكنه انهي الصراع
الدموي الحاد الذي تحول بعد ذلك الى غزوات على الحدود بين
المهديين . فلك الخطابات ، اذا ، لم تثمر عن ان نتائج بل كانت
استمرارا للصراع بين الدولتين الافريقيتين .

ولكن على الرغم من استمرار الصراع فان دولة المهدي لم تتابع
انتصارها على الحبش بالتوغل داخل اراضيهم ولم تفتتح النواحي
التي اجتاحتها . ان سياسة الخليفة فيما يختص بالتوسع داخل الحبشة
كانت محدودة وتتلخص في ان الحبشة بلاد واسعة وغزوها بالغ الصعوبة
ولذلك راي ان يكون اهتمام الزاكي منصبا في " اظهار سطوة المهدي " .
" وبانتهاز الفرصة " من الحبش وسباغتهم في حالة غفلتهم ، وان تكون
تلك السباغة في الاماكن القريبة مثل دسما واكد عليه الا يتوجه في
قلة ولا في ضعف لان " قهر الاعداء مطلوب " ، ^{٦٣} فاذنا الى هذا الاتجاه

٦١ الزاكي طعل الى الخليفة ١٨ شعبان ١٢٠٦ هـ ١٣ / ١ / ٤ / ١٩٣١

ادراك الخليفة لاحوال الحبشة الجغرافية خصوصا مرتفعاتها
الداخلية لاتضح لنا انه لم يكن يفكر في غزو الحبشة والاستيلاء عليها
بل كان يسعى في الحصول على موافقة معليك او اى قائد اخر
من قواد الحبشة للتعبية للمهدية ثم يوليه على ارضه
اميرا من قبله ، وهذا يتمشى مع سياسة المهدي والخليفة في
اشعال الثورة في المناطق المختلفة وربما كان الخليفة كالمهدي ينظر
شعلا نحو مصر ولعله كان في ذلك الاثناء ينتظر مصير حملة النجومي
التي بدا التفكير في ارسالها شمالا في يناير وخرجت من يوليو
من نفس العام . اذا فالفترة التي اعقب انتصار الزاكي شهدت سيادة
هذه الاتجاهات في السياسة الخارجية ، وشهدت عددا من الحملات
الخاطفة على المناطق القريبة .

بعد واقعة القلايات احس الزاكي بالاطمئنان من جهة الحبر

" وما نى هذه لجهتهم من حساب " ، فرأى ان يقوم بحملات على
الجمال المجاورة بفرض " ازالة ضرر الانتصار " اذ ان تلك الجبال
بها " معاش واصناف المواشى " . وهكذا تحول الجهاد الى حملات^{٦٤}

٦٤ الزاكي طعل الى الخليفة ، ١ رجب ١٢٠٦ هـ ، مهدية ، ١٠ / ٤ / ١ / ٤٤

لخاطفة بفرد توفير الغذاء وربما كان الهدف أيضا إخضاع المناطق
المجاورة تماما وهي في حالة فوضى من جراء المعركة الأخيرة . وكانت
اول تلك الحملات بقيادة عمر محمد الشيخ وابراهيم الدبيعة الى جبل
غوره . وتمكنت تلك الحملة من ضرب الحبش واستاعهم من قلول الحملة
والتكاير وتوغلت داخل الاراضي الحبشية وعادت بفنائم واقرة من
رقيق وابقار وحبوب^{٦٥} . وكانت الحملة الثانية بقيادة فرج الله رجب وصحبه
اربعة الالف مجاهد الى جهات "اوسا" "والجانتوله" "وديم" "حكومة"
(وهو عبد ولد زايد) وجبل ورغي بل وصلت حتى غبته وعادت الى القلايات
يصحبها سبعمائة وسبعة وخمسون الجبرته من الذين امنوا بالمهدية
ويمميتهم الف وثلاثمائة وخمسة عشر من عوائلهم^{٦٦} . وارسل الزاكي الحملة
الثالثة بقيادة عبد الله ابراهيم وحمد بن حبيب الله على راس اربعة الالف
ومائتين من المعاتلين الى جهات غبته للمرة الثانية وذلك لان اغلب سكانها
من الجبرته "المسلمين وداخليين تحت الطاعة" وكان من اهداف تلك
الحملة ايضا القضاء على عجيل الحمراني اذ هو محاصر في تلك المنطقة
بمياه الامطار واحتلاء الاودية . وكذلك من اهدافها اغتنام الفرصة في
الحبش وهم في حالة من "الزلزله... والقفلة" ويمكنها كذلك ان تساعد

٦٥ الزاكي ، ط ١ الى الخليفة ، ١٤ شعبان ١٣٠٦ هـ ، ١٠ / ٤ / ١ / ١٠

٦٦ الزاكي ، ط ١ الى الخليفة ، ٢٤ شوال ١٣٠٦ هـ ، ١٠ / ٤ / ١ / ١٠
٦٥
١

على فـ الضائقة المعيشية في القلايات إذ بلغ اردب الذر

ستين ريالاً ، ووجهة غيبة هذه " بها اغلب مدار معان اعداء الله

العبثية لكثرة الميوس فيها " ^{٦٧} ، وسارت تلك الحملة حتى جهة

' والية " بالقرب من قندر حيث مكثت حتى اكتوبر ١٨٨٩ (صفر

١٣٠٧) . و آخر تلك الحملات كانت الى " الجبال الصعيدية "

بقيادة عبدالرسول عمر . وهكذا وزع الزاكي اغلب جيشه بين عبدالله

ابراهيم وعبدالرسول عمر وبقي هو بالقلايات مع عدد قليل وحل بذلك

ازمة القرب التي كانت تعار من قبل القلايات حلاً موتنا .

وراء الزاكي ان يقوم في ذلك الاثناء وحتى يستطيع ان يجمع

سقات جيشه لحرب جديدة - ان يقوم بمخاطبة الجيش " بما يلزم من

التهديد والوعد " بغرض بث الخوف في نفوسهم على يحدث اثر

في نفوسهم فهذا اجدى من بقاءه في القلايات و " قطع مخابراتنا عنهم "

ويبدو ان تهديدات الزاكي قد احدثت بعض الاثر ان يمتدح راس

عذار يملك نجدة بن الزاكي و وعد بان يقوم " بلوارم الانتصار من المعاد

وذلك بما لفتته من خيم شديد اثر تفرق اغلب قواده من حوله

٦٧ الزاكي عمل الى الخليفة ، ١٤ العقدة ١٣٠٦ هـ ١٤ / ١ / ١٣ / ٧٣

وانضمامهم الى منليك . واكد للزاكي بانه اصبح بمعزل عن الحبش
ولذلك يريد ان يستعين بالانصار والا سيحصد نفسه باحد الحبال .
وذكر رارعدار كذلك ان منليك في بلاده شوا وانه " مدعى النفسية "
وانه يتحين قدوم الانصار اليه ليقتض عليهم . ولكن الزاكي لم ياخذ كل
شئ مأخوذاً به رارعدار فالحبش في رايه " لا امان منهم " ويعتقد ان عدار
مع منليك . وما قاله في الاخدعة انه مازال يحصد لمخينة لانصار منذ
انتصارهم عليه عد عهد حمدان .^{٦٨}

وعند ا حل خريف عام ١٨٦٠ (١٢٠٧) انقطعت اخبار الحبش

١١ النذر اليسير الذي كان يتسرب عن طريق النقادية . ومن تلك الاسرار
علم الزاكي بالصرح بين قبيلتي التقرى والامهرة وكيف استطاع منليك ان
يعقد اتفاقاً مع التقرى ثم قام باخضاع الامهرة والقضاء على احد زعمائهم
ويدعى نقاش . وكان نقاش هذا قد جمع حوله عدداً من الامهرة واعلمن
ولاءه للمهدية . وعلم الزاكي كذلك ان منليك صارت له " اليد على الجميع "
وانه استطاع اخضاع الحبشة لنفوذه . ولذلك يرى الزاكي ضرورة القضاء على
ال جيش يرسله منليك الى جهات القلايات لانه " لو حصل ذلك . ولم

٦٦

سار ردعهم فيكون موعدي لغرورهم . " ويؤكد الزاكي ضرورة السرب

من منليك لان الحبس امر مكر وخداع " وسعيد منهم الدخول في

السلام " ما لم يروا شديد عذاب يحل بعدو الله منليك . ٧٠

اما الخليفة فلم يوافق الزاكي تماما ويرى تعتيا مع سياسة السابقة -

عدم الحرب مع منليك ما لم تتوفر " الكفاءة لضرب الاعداء " ولعل الخليفة

قد اكتفى بانتصاره الاخير على الحبس ولا يريد ان يقحم حيشه في

حرب جديدة مجهولة المصير في مرتفعات الحبشة الغريبة عليهم .

واخذ حسان الزاكي للحرب يفتر بعد ذلك وزاد من فتوره انشغال

الحبر بالصراع مع الايطاليين وتحولهم عن جهته وعندما جاء الخريف علم

الزاكي من احد الجبهة ان الحبش ليسوا راغبين في حرب الشتاء الا بعد

انقضاء موسم الامطار . وما ان انتصف عام ١٨٩٠ (مطلع عام ١٣٠٧)

حتى كان الزاكي قد استنفذ طاقاته الحربية في المنطقة واستنز

امكانيات المناطق القريبة منه ولذلك رحل عن القلايات الى " السعيد . "

فاعالى النين . وخلفه احد طلي وكلا على المركز .

٦٩ الزاكي طمل الى الخليفة، ٤ شوال ١٣٠٧، مهيدي ١٤ / ٤ / ١٥ ١٥٤

٧٠ الزاكي طمل الى الخليفة، ٨ رجب ١٣٠٧ مهيدي ١٤ / ٤ / ١٥ ١٣٧

احمد على في القلايات .

لم تختلف سياسة احمد على عن الزاكي في فترة العامين اللذين
تولى فيهما قيادة المنطقة . فاستمر في ارسال بعض الحملات الصغيرة
الى المناطق المجاورة وظل يترقب اخبار الجيش وتحركاتهم . ولعل
الحروب المستمرة التي خاضتها الحبشة داخليا وخارجيا ادت الى
تدهور الحالة الاقتصادية الى درجة ان " نزل القحط بساحتهم واهلك
ضعفاءهم واغلبهم ماتوا جوعا وقد حضروا (الى القلايات) ... هاربين
من الجوع " ^{٧١} . وعندما حل خريف عام ١٣٠٩ (نهاية عام ١٢٠٨) تقلصت
المناوشات الحربية بين البلدين ، ولكن الانصار ظلموا يعانون من نقص
في العلب فقرّر احمد على " ضرب البازة والحبشة بجهة غبلة لاجل كسوة
الاصحاب لان اغلبهم " مستتبون بالشمال والجلود ... وجهتنا هذه
بردها شديد " ^{٧٢} فكانت حملة من ستائة وخمسين جهاديا بقيادة عبد الله
حامد ابو فلاح مكنت نصف شهر بالحبشة هاجمت فيه تسع قرى وعادت
ببعض الخنائم منها خمسة وسبعون اسيرا وتضائة وتسعة وعشرين ريالا . ^{٧٣}

٧١ : احمد على الى الخليفة ، ٤ رجب ١٣٠٨ هـ ، ١٤ / ٢٧ / ١٥ / ١٥ / ٦٥

٧٢ : احمد على الى الخليفة ، ١ محرم ١٣٠٩ هـ ، ١ / ٤ / ١ / ٨

٧٣ : القرى التي هاجمتها الحملة هي : شكيل مرافمة ، شندو ، المحار ، هيسقن ،
نفارة ، خوركليت ، حمرا ، والهيج .

احمد على الى الخليفة ، ٣ جماد آخر ١٣٠٩ هـ ، ١٤ / ٢٨ / ١ / ٤٣

الناشئة بالناك ...

وفي فبراير ١٨٩٢ (رجب ١٢٠٩) علم احمد علي ان بربراس
 بيتو وهو " من رؤساء الحبشة المعروفين وهو الرئيس بلا مشارك
 بالحدود ... لغاية قنر وام بجواره " ، قد نزل بجيشه من حصنه
 الذي يتحكم فيه على جبل شاهق وكان نزوله بخرخر جمع الذرة .
 فرأى احمد علي ان يقوم بمهاجمته دون ان ينتظر موافقة الخليفة
 خوفا من ان يعود بربراس الى حصنه قبل وصول تلك الموافقة
 فقام احمد علي على رأس حملة قوامها الف وستمئة وواحد وعشرين
 من الجهادية ولكنه وجد ان بربراس قد عاد الى حصنه قبل ثلاثة
 ايام . فما كان من احمد علي الا ان قام بقتل واسر " جميع من
 وجدناه بداره واحرقنا مساكنهم وبعوشتهم ... ولقد احرقنا كنائسهم
 المشهورة وعددها سبعة " . ^{فتقدم} بربراس طالبا الصلح والامان ، الا ان
 احمد علي يرى انه " مادام على هذا الدين فلا امان له " . رعات
 الحملة الى القربات بالقنائم فبلغ الخمس اربعمئة واثنين وسمعين
 ريالاً كما ارسلت اثنتي عشرة جارية صغيرة الى الخليفة . وفي
 ابريل (مطلع رمضان) علم احمد علي ان جيشا من التقري بقيادة
 ران حقور ودجاج برهي ودجاج تقري ودجاج دسنة قد قدم الى

'ولغاية' وقتل زعيمها . فرأى ان يقوم اليهم دون ان ينتظر
 اذنا من الخليفة ، فصار على رأس الف وثلاثمائة وخمسين مجاهدا .
 وقضى يومه الار يتجول في الاراضي الحبشية في قتل واسر ونهب .
 وعندما علم احمد علي بتجمع الجيش سار اليهم ودارت معركة بين
 الفريقين . وعند بدايه المعركة اكتشف الانصار ان الجيخانسة
 التي معهم تالفة از هن مجموع دستين صرفت لكل جهادى وحدت
 خمسة رصاصات فقط صالحة . فتحولت المعركة الى ضرب بالايادي
 والاسلحة البيضاء تمكن بعدها الانصار من هزيمة الجيش وقتل
 ثلاثة من قاداتهم ارسلت رؤوسهم الى الخليفة وبلغت خسائر الانصار
 ثمانية واربعين جريحا وثلاثة وعشرين قتيل . وبلغت خسر الفخام
 خمسمائة ريال^{٧٥} . ولعل تلك الحملات الاخيرة قد احدثت بعض
 الاثر في المنطقة اذا خذت بعض مجموعات من التكاير نفذ الى
 القلايات والتومات .^{٧٦}

ويبدو من تتبع تلك الحملات انها كسابقاتها كانت بلاهدف محدد
 سوى الحصول على القوات والمليح . فلم تكن حملات منظمة بغرض
 احتلال الحبشة او جزء منها . والانتصارات التي حققها الانصار

٧٥ احمد علي الى الخليفة ١٦ شعبان ١٢٠٩ هـ مدينة ١٤/٢٨/١٦٦٧

٧٦ احمد علي الى الخليفة ١٦ العدة ١٣٠٩ هـ مدينة ١٤/٢٨/١٦٦٧

كانت ترجح الر الضعف الذو طرا على الحبشه ولان تلك الحملات كانت تعتمد على عنصر المباغتة لذلك كانت تهتم قبل الحصول على الذن من الخليفة . وهذه من الطواهر البادرة في المهدية لان موافقة الخليفة كانت ضرورية لكل الامور ، ولكن لصله احمد على به ولمكانته فقد سمح لنفسه بتلك الدرجة من حرية التصرف . ولعل تلك الصالغات التي وصف بها احمد على انتصاراته كان الغرور منها ان يبدو في مكانة مثل الزاكي طمل . وقد انتقد الخليفة طريقة احمد على في تسجيل انتصاراته الحربية قائلا ان مثل غزوتكم هذه التي حصل الظفر فيها . . . لا تدخلوا فيه (الرسالة) امر الخص . . . بل يكن بالنصره فقط ودعار العدو لاجل يتلى على الاصحاب بالمسجد .^{٧٧}

عودة الزاكي طمل الى القذارف - القلابات

وفي مطلع عام ١٨٩٣ (رجب ١٣١٠) عاد الزاكي الى القلابات . وشهدت الايامر الباقية من عهد الزاكي تقلد النشاط الحربي وتزايد

٧٧ الخليفة الى احمد على ، ١٧ شعبان ١٣٠٠ هـ ، ١٢٧ / ٩ / ١٦٦

رغبة الجيش في احلال السلم . ولم تكن تلك الرغبة من جانب
 الجيش الا لضعفهم الداخلي وتهديد الايطاليين لهم . فعند
 وصول الزاكي وجد مندوبا من عظيم شلقا "مريد الصلي . . . والامان
 لدارهم . . . وفتح الطريق للنقادية" كما وجد رسالة من الرار
 ساما ، وحسب تقدير الزاكي فانها كتبت بايعاز من منليك . وتعتبر
 الرسالة عن رغبة في الامان والاتفاق . وعلم الزاكي ان بعض قادة الحدا
 راغب حتى في دفع الجزية للانصار . فبعث الزاكي برسالة الى منليك
 يوافق فيها على عقد الصلح بشرط دفع "القبرا" ^{٧٨} وبعض عهد الزاكي
 دون ان تثمر تلك المحاولات عن شيء محدد . ونلاحظ ان دلة المهدية
 في هذه الفترة أصبحت متحفظة في حروباتها ضد الحبشة . وليس خادبا
 الخليفة الى الزاكي في مارس ١١٩٣ (رمضان ١٣١٠) يوضح هذا الاتجاه
 بقول الخليفة في وصيته " ان تلك الجهة . . . هي عظم فائز امرضا . . .
 وينبغي ان تستدفعهم عن تثق به عن المنازل منزل منزل والعياء منهل
 منهل وتوضح لنا ذلك ايضا كاكافيا وان العياء المذكورة هل على سرف او
 ايار . ونستطيع ان نقول ان نهاية فترة الزاكي شهدت نهاية الحروب

٧٨ الزاكي الى الخليفة ٢٤ رجب ١٣١٠ هـ ١٤ / ٤ / ١٦٦٤

٧٩ الخليفة الى الزاكي طم ١٤ رعدا ١٣١٠ هـ ١٠ / ٢٧ / ١٠٧٠

د الحبيشة حتى ان مركز الجيش نقل من القلايات الى

القضارف . وقد اخبر الزاكي تلك النهاية في قوله " ان الحبش

المجاورين بالقرب اذعنوا للصالح واوردوا القبرا وما دام ان راحة الانصار

الانصار بالقضارف ونحن بالقرب منهم فما عليهم الا اعطانا الحوادث

اول باول وحتى ماراينا اهمية تفهيمها (القلايات) فاننا بالقرب " .

فانتقل الزاكي الى القضارف وترك بالقلايات حامية من خمسمائة جنود .

ولعل من ابرز معالم العلاقة بين دولة المهدي والحبيشة

تلك العلاقة التجارية التي كانت تتم عن طريق النقادية . وبالرغم من

ان الفترة الاولى من عهد الزاكي قد شهدت ركودا في الحركة التجارية

بل توقفا تاما قبيل معركة القلايات وبعدها ، الا ان الاشهر التالية

شهدت انتعاشا في الحركة التجارية ، ففي منتصف عام ١٨٨٩ (نهاية

عام ١٣٠٦) تسلم الزاكي رسالة من احد قادة الحبيشة لعلها تحديدا

لسياسة الحبيشة التجارية مع الانصار . يقول الراس زاوده في رسالته

" انتم بالقلايات ونحن بالحبيشة وقصدنا ان نبقى حالة واحدة . . . اما

المساكين التجار المسافرين بين بلدنا وبلدكم اعطوهم الامان فهم

٨١

مساكين والمولى سبحانه وتعالى أمر بالبيع والشرا وهم يعمروا الاسواق .

وطلب بعض زعماء المكافاة من الزاكي ان يمطيهم الامان لانهم يحايضون من

٨٢

العجيب هنا زعماء منهم باننا نرسلهم صوب السادة بالبقعة * ويبدو

ان التجار الحش قد احسوا ببعض الاطمئنان ان اخذوا يتوافدون على

القبائل بما لديهم من الحبوب . . . ولقد حصل بسبب ذلك التنفيس

على الاصحاب . . . ولما وجدوا (النقادية) عدم من يعارضهم في بيعهم

٨٣

نساؤل حضورهم بعد ذلك بما ينتفع به .

وحدد الزاكي اسعار السلع حتى لا يطمع النقادية في الانصار .

* فجرب * الذرة الفدان به كيلتين ثمنه ريالين وقرية العسل الكبيرة سعة نصف

قطار بثلاثة ريال والصغيرة بريالين والقمح بريالين او ثلاثة . وحتى هذه

٨٤

الاسعار فانها تنخفض عند نهاية السوق . ولكن ذلك الانتعاش لم يستمر

ان شهدت الاشهر التالية حضور النقادية باعداد اقل . وانزعج الخليفة

لنظرة الظاهرة ورأى انها قد تؤثر على الحالة الاقتصادية في المنطقة .

٨١ را رزاوده الى الزاكي طمل ، ١٨٨٩ (اواخر ١٣٠٦) مهدي ، ١٩٧/١٦/٢٤/١

٨٢ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١ شوال ١٣٠٦ مهدي ، ١٣٨/١/٤/١

٨٣ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٨ ربيع اول ١٣٠٧ مهدي ، ١٣٠/٢/٤/١

٨٤ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٢٥ رجب ١٣٠٧ مهدي ، ١٤٩/٢/٤/١

والقى باللائمة على الزاكي وانتقد سياسته قائلا " ان النقابية اناس
اعجام فان كنتم وليتم امرهم للناسات مدربين اهل ميز من اولاد العرب
لاجل ان يباشروا اخذ المشور منهم ولا يتعدوا عليهم في حقوقهم فما
كانوا ينقطعون ولكن بالنظر لعدم تولية انسان مميز لهم حصل مد
اليده عليهم وانقطعوا " ويوصي الخليفة باستخدام اشخاص من اولاد
العرب " اهل دين وميز وعقل وعفة " ليتحصلوا عشور النقابية حتى يستأنفوا
نشاطهم التجاري ويساعدوا بذلك في ازالة " المضايقة الحاصلة من
الفلا^{٨٥} " كان هذا هو تعليل الخليفة لانخفاض عدد النقابية .
ولكن الزاكي رفض ذلك التعليل ورد بانه هو الذي يباشر امرهم ولم
يملكه لاحد اخر ، بل انه يعمل دائما على ترغيبهم في الاسلام بكسوة
رؤسائهم وبذل العطاء لهم والاشراف على راحتهم للبيع " اشغالهم ..
وضع المعتمدين عليهم وحفظ حقوقهم " فانقطاع النقابية لا يعود الى سياسته
في القذبات لانها سياسة سليمة بل يعود الى اسباب داخلية خاصة

٨٥ م الخليفة الى الزاكي لعل بدون تاريخ مهدية ١٢/٤/٢٧
وجدت ان تاريخ هذه الوثيقة وهو ٢٤ رمضان ١٣٠٧ وذلك من وثيقة
اخرى هي : مهدية ٢/٤/٢٦٢ في ٧ شوال ١٣٠٧

بأحوال الحبشة وحروباتها • ومن تلك الأسباب انه طلب من النقاديسه ان يحضروا معهم كميات وافرة من الذرة ، ولكن الحبشة نفسها كانت تعاني من نقص فيها ولذلك منعهم التجار من الحصول عليها ، ولم يستطع النقادية احضار كميات وافرة منها وحتى ما كانوا يحضرونه فانهم يأتون به " بالنفقة " • اما السلع الأخرى مثل البهار والكمبرة والحسل فانها موجودة ولكنها سلع لا تمتلككم بكميات كبيرة ولذلك حضور النقادية الى القلايات •

من هذا الحوار تتضح بعض معالم السياسة التجارية لدولة المؤدية بالمؤدية ترغب في انتماع التجارة وترى ضرورة تشجيع النقادية وتوفير الجو الملائم لهم لممارسة نشاطهم^{٨٦} • وكانت دولة المؤدية ترغب كذلك في القضاء على تشجيع المواد الغذائية مثل الذرة • ويمكننا ان نخلص الى القول بان النشاط التجاري ظل مستحرا يقل حيناً ويزداد حيناً آخر غير متأثر بالعداء بين الدولتين •

٨٦ يرى هولت ان هناك عوامل أخرى لم تشجع التجارة منها سلوك الانتماع مع التجار ومحاملتهم لئلا يمتدأ العمل للصالحه الخ • ويرى كذلك ان الخليفة كان يشك في التجار ويعتبرهم جواسيسا مرسلين من الاعداء ولذلك لم يكن يشجع التجارة مع مصر • وفي رأي ان هذا الشك كان قاصدا على مصر اساسا ولم يشمل القلايات الا في حدود صيقة • راجع :

الصراع بين الزاكي طمل واحمد على

الصراع بين الزاكي واحمد على ليس كالصراعات السابقة التي نهدها هذه المنطقة بين الامراء والقواد الآخرين بل هو صراع حاد وعنيف ، وصورة لاستبداد الحكام عندما ضعفت روح المهدية في نفوسهم ، ومثال لتفول التعايشة على الحكم ، ولذلك سنتعرض له من جدره .

يرجع تاريخ هذا الصراع الى وفاة حمدان وتعيين احمد على بدلا عنه . في ذلك الوقت عمل الزاكي للحصول على القيادة ونجح في ذلك واصبح احمد على قائدا لاحدى ارباع الجيش . ولاشك ان احمد على لم يهن تلك الحادثة ولعله ظل يتحين الفرص منذ ذلك الوقت للإيقاع بالزاكي . ولم يغب عن الزاكي ذلك الشعور فعمل من جانبه على اضعاف احمد على واظهاره امام الخليفة بمظهر القائد غير المقتدر كما اضعفه ربه بشكل فعال .^{٨٧}

وعندما غادر الزاكي القسرات الى اعلى النين عين احمد على وكلا عنه بعد تردد ولمجرد ارضاء الخليفة الذي ابدى رغبة

ننى ذلك التعيين . وما ان تسلم احمد على زمام السلطة حتى
 اخذ يطر الخليفة بسيل من الانتقادات نحو سياسة الزاكي
 ومسلكه منها ان الزاكي امر بعض العمال وهما حامد الدحيزي
 والله حابو الزاكي (عبد الزاكي طمل) بجمع غلال الزكاة وعدم
 ارسالها الى القلايات بالرغم من احتياج الانصار لها . كما ان
 الزاكي اخذ معه كل "مرا" والمقاديم وكافة البروجية " مع ان
 قوام حركة الجهادية هي البروجية " واخذ معه كذلك مدفع المتريوز
 و" الطوسجية والتوفلجية والقندقلية " ولم يترك من الجهادية سوى الف
 وستائة . بينما ادعى للخليفة بانهم الف وثمانائة واربعة وتسعون .
 ٨٨
 كما ان الزاكي اجتمع قبل سفره بخاسته " وذاكرهم سرا " وقدم عليهم
 واحدا من اعوانه وامرهم بعدم الانقياد الى احمد على دافع الزاكي
 عنه نفسه بان انتقد احمد على وذكر ان الانصار " من سببمتهم
 بالقلابات فان لم يجدوا الرئيس حريصا عليهم متفقدا لاحوالهم فيكون
 ذلك داعيا لتفرتهم . . . والمكرم احمد على يحتاج لزيادة الارشاد
 وتقويته " . وظل الخليفة يرقب ذلك الصراع عن بعد اوفى شكر نصائح

٨٨ احمد على الى الخليفة ٩ رمضان ١٣٠٨ هـ ١٠ / ٢٧ / ١٥ / ٢٨

٨٩ الزاكي طمل الى الخليفة ١٥ رمضان ١٣٠٨ هـ ١٠ / ٤ / ٢٥ / ٢٥٩

عامة مؤكدا فيها قيادة الزاكي على المنطقة . ولكن عندما اشتكى احمد على من ان الزاكي اوكل جديد حمدان لجمع عشور النقادية وحفظها لديه تدخل الخليفة وامر بتسليم العشور الى احمد على . ودافع الزاكي عن ذلك الاجراء بان عشور النقادية من الاشياء الخاصة بالخليفة وان حفظها يقع تحت مسؤوليته . واختلف الزاكي مع احمد على حول تعيين العمال بالمراكز المختلفة . فالزاكي يرى ان تعيينهم يجب ان يتم بمعرفته ويخشى ان يعزلهم احمد على . بينما يرى احمد على ان عزلهم امر ضروري لان اغلبهم متسلطين على الاهالى لتسديد بعض الديون التي اخذها الزاكي من التجار . فنذر الخليفة احمد على وراى ان يقوم بتعيين العمال مادام هو المسئول المباشر عن المنطقة .^{٩٠} واشتكى احمد على من كثرة عائلة الزاكي التي بلغت مائة واربعة وستين زوجة وسبعة وعشرين طفلا حتى ان ملابسهم كان يحتاج الى اكثر من الف ثوب .

واغتتم احمد على فرصة غياب الزاكي عن الغلايات فعمل على تقوية نفوذه داخل الجيش . فاجرى تعديلات في قيادة الارباع بعزل

نن من جديد حمدان ومحمد نور كلاب وعين مكانهما عبدالله
 .حامد ومحمد فن ،كما عين عددا من مقادير الجهادية من خاصته .
 ثم قام بتحويل اغلب الجهادية تحت قيادته المباشرة . وعزل حامد
 الدخيري عامل القصارف متبهما اياه باخذ حقوق بيت المال . بل
 انتهى الى اتهام الزاكي بانه عمل على تشتيت الجيش حتى لا ^{لنظر}عادة
 جمعه قاصبي جيشا قويا .^{١١}

وذهب احمد على الى محاولة اثبات قيادته المطلقة للمنطقة
 بان انكر على الزاكي اصدار الاوامر له وتشتت في جهته التي ذهب
 اليها والصفة التي خرج بها . وطلب من اهل القصارف عدم
 الاستماع الى اوامر الزاكي فليس له " ادنى سلطة على الرباط بل
 ولا على جهتكم (ان) انفصلنا من المعكم الزاكي من مدة
 قيامه والى يومنا هذا . . . وان اتاكم امر من المعكم الزاكي . . . يطلب
 جرعة ماء او ابرة من الدار لاتسلموا . . . شئ " ولا تعملوا (بامره)^{١٢}
 ولكن الخليفة اعترض على اجراءات احمد على هذه واكد ان الزاكي هو
 الرئيس على احمد على باشارة منه .

٩١ احمد على الى الخليفة، ٣ جماد آخر ١٣٠٩ هـ ، ١٤ / ٢٨ / ١٠ / ٤٥

٩٢ احمد على الى احمد ابى سن واخرين ، ١٤ جماد اول ١٣١٠ هـ ،

وخشي الخليفة ان يقوم الزاكي بالتقليل من شأن احمد
 وذلك بنقض الاحكام التي اصدرها مدة وكالته فطلب من الزاكي قبول
 كل الاحكام التي اصدرها احمد على ان معه " قاضي شريعة " .
 وان الخليفة قد استشير فيها . ولكن الزاكي اعترى على تلك الاحكام
 لانها تمت " بدور وجه جاز وبغير الشريعة " مما ادى الى ككرة
 الشكوى من اعيان البلد والامراء والانصار . واورد بعض الامثلة
 من تلك المظالم . فوافق الخليفة على اجراء تحقيق في تلك المظالم ،
 وادان التحقيق مسلك احمد على ^{٩٣} .

وبلغ ذلك الصراع قمته عندما قام الزاكي باستدعاء احمد على
 ووجه اليه عدة تهم اهمها انه يتصل بالخليفة راسا دون علم الزاكي . وكان
 مسلك احمد على يتصف بعدم العبالة " وظهر منه ما كان كامنا بالضمير " .
 وهو " مبني على الحقد " . وراعى الزاكي في ذلك المسلك وفي مخالقات
 احمد على مايؤدى " للفتنة " بالجيش فقام بوضع احمد على واتباعه في
 السجن . وقد وصف احمد على الاسباب والظروف التي ادت الى
 اعتقاله بان الزاكي منذ عودته الى القضايف وهو يسلط الامهالى لكى

٩٢ الخليفة الى احمد على ٦ جماد اول ١٣١٠ هـ ١٠ / ١٧ / ١ / ٣٤

٩٤ الزاكي طمل الى الخليفة ٢٧ شعبان ١٣١٠ هـ ١٠ / ٤ / ٤ / ٤٤٤

يدعو علي احمد علي امام القضاء حتى كما يقول " صرنا اثناء الليل والطراف النهار نحن وجماعتنا امام القضاء في الشريعة " فالبلغ احمد علي الامر الى الخليفة . فاستدعاه الزاكي علي حين غفلة هو واعوانه " وفي الحان اجري هبط منازلنا واجري تجريد هسم مما جميعد حتى ثياب النساء " ^{٩٥} . ولكن الخليفة سرعان ما امر باطلاق سراح احمد علي حتى لا يشتت منهم الاعداء .

خرج احمد علي من السجن - تسنده قرابته من الخليفة - وهو اكثر تصميما لتحطيم الزاكي . فاخذ يتصل بالخليفة سرا يخبره ان الزاكي لا يعمل باي امر ياتي به من الخليفة بل بما يقتضيه رايه وان جميع تصرفات الزاكي ستؤدي الى احداث خلل في الجيش . وذهب الزاكي الى اثاره الخليفة اكثر عندما ذكر له ان الزاكي قال باستدعاء " عيال التعايشة " لوقوفهم ضد الجهادية ومنعهم من الاستيلاء على الجبخانف وذلك عندما اشيع عن موت الزاكي . فقد ارسل الزاكي بعضا من الجهادية ليلا وقاموا بضبط وتكتيف عيال التعايشة " واغلظ عليهم في القول ... وصار ... تجريد هسم حتى من عمهم واسلحتهم

وحرابهم وما كان بطرفهم من الجبهة وتركهم مجردين بهذه
 الصفة لأنهم نساء.^{٩٦} وكان من جراء تلك الروايات أن استدعى
 أحمد علي الر البقعة . ولعله وجد فرصة احتلى بها من الخليفة
 وأوغر صدره ضد الزاكي .

وتذهب بعض الروايات إلى أن الخليفة قد وصلته معلومات
 عن شراء الزاكي ويطرده ونزعه الاستقلالية فقد اشتكى بعض الأمراء
 في جيش الزاكي بعدم عودتهم من أعلى النيل عن بطش الزاكي وطمعانه
 وأنه لن يتردد من إعلان استقلاله عن الخليفة إذا وجد القوة
 الكافية.^{٩٧} وكان من مظاهر شراء الزاكي أنه إذا حضر إلى أدرمان
 يخرج في موكب عظيم يحيط به خمسون حارسا مسلحا.^{٩٨} وكان من جراء
 الصراعات المستمرة التي عاشها الزاكي خاصة مع التعايشة أن بدأ
 يفقد حظي الخليفة.^{٩٩} وما زاد من شكوك الخليفة أن الزاكي طلب

٩٦ أحمد علي إلى الخليفة ٢٧٤ رمضان ١٣١٠ هـ ١٠/٢/٢١/٩٩

٩٧ Slatin, /pp. 987-8

٩٨ إبراهيم فوزي، ص ٢٩٢ - ٣٠١

٩٩ Eit, The Mahdist State, I, 196٩٩

عند عودته من اعالي النيل مزيدا من الاسلحة النارية . فرفض
 الخليفة طلبه نائب الزاكي وذكر له ان لديه " بذلك البقاز من
 صنف السلاح الرامنتون وغيره مقدار وافر لم يحصل مثله في مركز آخر"
 وان جميع القواد الاخرين بالبوغازات ليس لدى واحد منهم " ربيع
 في معك من الاسلحة . " ١٠٠

وفى عنده عام ١٨٩٣ (مطلع عام ١٣١١) استدعى الخليفة

الزاكي الى امدريان بعمره " النفع بالزيارة ومشاهدة الانوار
 الساطعة " ، كما طلب منه ان يحضر معه جميع رؤساء الارباع مقاديم
 الجهادية بحجة خروج الحبش الى محاربة الايطاليين . ^{١٠١} فاذا علمنا
 ان الزاكي صاحب معه في تلك الزيارة ثلاثة من امراء الارباع وثلاثة
 وعشرين من مقاديم الجهادية وثلاثين من امراء الرايات وثلاثة وعشرين
 من المقاديم العفار لادركنا ان الزاكي قد ذهب فعلا الى امدريان
 دون ان يعلم بنوايا الخليفة وانه بذلك اصبح هو وقواده تحت قبضة
 الخليفة وحرسه الخاص . فالخليفة لم يشأ ان يدخل في مناصرة باعتقال
 الزاكي في القضايف وهو بين قواده وجيشه وكان احمد ^{علي} قد ذهب سرا

١٠٠ الخليفة الى الزاكي طمنا ٢١٠ جماد اول ١٣١٠ هـ ١٢/١/٢٢/١

op.cit,
 Glavin ,/p. 500

لمقاومة الخليفة لان الزاكي رفض اصطحابه معه .

وفي ابدمان وضعت خدعة محكمة لمباغطة الزاكي واعتقاله
وقام بتنفيذها يعقوب والقاضي احمد علي لكراهيتهما للزاكي انه كان
يحتقرهما . وتم اعتقاله في سبتمبر ١٨٩٣ (صفر ١٣١١) ووضع في
السجن مكبلا بالقيود . وشرح الخليفة اسباب اعتقال قائده الكبير
بان " بد عارضا ننيدا وفيل انه كان معه من سابق الا انه اشتد
عليه في هذا الوقت وباسباب ذلك اجرينا زجره وحبسه بالعشيرة فان
طاب وشفى من ذلك العارض فيها وا لا فيصير معالجته منه الى ان
يقدر الله له الشفاء او يقضى الله امرا كان مفعولا " ومكث الزاكي
في السجن اربعة عشر يوما منع خلالها من الاكل ومن الشرب ومات
في ٢١ سبتمبر ١٨٩٣ (١٠ ربيع اول ١٣١١) . ووصف الخليفة بانه
" هلك في السجن على صفة فظيعة وحالة شنيعة وانه بمجرد خروج
روحه اشتعلت النار في جسمه واسود وجهه . ١٠٢

وفي الحار سين احمد علي اميرا على القصارف فغادر ابدمان

عبرا حتى يستنصر مباغطة اعوان الزاكي هناك . وفي القصارف حاصر

منزل الزاكي حتى قبل نزوله من ظهر الزوامل . فصادر كل
ممتلكاته وممتلكات اعوانه ، كما صودرت في امدرا من خمسة الاف
ريال وكميات من خواتم الذهب والجواهر . واعتقل جديد حمدان
وحامد طمل واربعة اخرين من اعوان الزاكي وجلدت اخته حتى
الموت . وطلب احمد علي من كل شخص له ثلامة على الزاكي
ان يقدمها للقضاء بل وقرر مراجعة كل احكامه ولكنها كانت مهمة
صعبة " والتبس " الامر على القضاء .

لقد نجح احمد علي في القضاء على الزاكي وسجن في الاستيلاء
على السلطة ، وبذلك انتهى فصل هام من صراعات المهدي فهاهي
اسباب ذلك الصراع وماهي اهميته ، قد يبدو ذلك الصراع في
مظهره شافيا بين قائدين ولكنه في الواقع صراع بين تيارين بين التيار
الذي سماه البروفسير مكي شبيكة اولاد العرب وسماه هولت اوتقراطية
التعايشة " وسماه سعيرنوف في كتابه عصيان المهدي " ارسنقراطية
البقاوة من جانب وبين القيادات الاخرى للدولة المهدي سواء ان كانوا

قواد مشهورين او اشراف او " اولاد البلد " . فقد شهدت السنوات
الاخيرة لو رها النصف الثاني بأكمله من حكم الخليفة مـمـلا
من جانبهم نحو اهله التعايشة لتوليهم المناصب الهامة في الدولة .
وقد استغل التعايشة ذلك الاتجاه واخذوا يطمحون في كل القيادات
الهامة . وكان الاحتفاظ بالزكاي لعفدته الحريفة السني
تفوق مقدرة احمد على وبغرض الاستئسادة منه ضد الحبشة وفي
اطالي النيل . وعندما فقدت الحروب دورها الهام في الدولة اصبحت
وجود الزكاي غير مرغوب فيه . وبمعكس ذلك الصراع كذلك بعض
الجوانب الادارية لدولة العهدية . فالاقاليم المتداسة والجيوش الضخمة
المرابطة في البوغازات والثروات التي تكونت من الغنية كلها مظاهر تقم عن شبه
استقلال . وبالرغم من تدخل الخليفة المستمر لغرض سيطرة مركزية الا ان
البنوح نحو نوع من الاستقلال كان غير مقبول لدى الخليفة . والطريقة الفظة التي قتل
بها الزكاي كانت انتقاما لاشياء تراكت عبر سنوات وسنوات . والطريقة التي اعتقل بها
الزكاي توضح قوته الاقليمية . فالزكاي لم يعتقل كما يعتقل اي شخص خارج على
نفوذ الخليفة بل استدرج رويدا رويدا وجرد من مصادر قوته واتخذت

تلك
احتياطات/ ثم قبض عليه . حقا لقد كان ذلك الصراع من الفصول الهامة
في تاريخ الدولة المهدية

غزوة احمد على الى اغردات .

عندما تولى احمد على زمام القيادة في القضايف وجد
نفسه يرث حكما ثقله انتصارات الزاكي الحربية التي مازالت اصداءها
تردد في سهول القضايف ومرتفعات القلايات ولذلك كانت فترة احمد
على - على قصرها - محاولة دائبة من جانبه ليمضي لنفسه مجدا
حربيا يقتضيه به من الزاكي وبما ان الحروب على جبهة القلايات لم
تسد ذات وزن فقد اتجه الى جبهة كسلا التي كانت تواحه في ذلك
الوقت خطر الزحف الايطالي فما ان عاد من امدرامان حتى طلب الاذن
من الخليفة بغزو جهات كسلا لنجدة مساعد مقدم وللحصول على
كساء للانصار . ويعتقد احمد على ان الاوان مناسب للذزو " بالنظر
لنشاف البحر ورطوبة الارض واستور القندول ووجود المياه بكثرة بالطرق
فوافق الخليفة بحذر شديد ولعله كان يدرك مقدرات احمد على
الحربية . فحذره من مهاجمة اي جنود محصنين ولا يقترب من

١٠٣
"بحر العالج بالنظر لعدم اشرة" وان يكون متيقظا لمَر

الاعداء " ولربما انهم يكمنوا لكم الكائنات " وطلب منه ان يستشير
اهل الراى " اما مثل ولد فرج الله وغيره من الخبراء فلا تدخلهم
في المشورة بل اطلب منهم خبرة الطريق فقط " ويؤكد احمد على
ان الفرقة من العزوة ليس مهاجمة الايطاليين بل تاديب القبائل
الضاربة في الصحراء . ويوصيه بالا يركن الى اولئك الرطانة "
ويقصد الخليفة بتلك القبائل بعض الهندوة والبنى عامر .^{١٠٤} وخرج
احمد على من كسلا يصحبه خمسة الاف وثمانمائة وسبعة واربعين
جهاديا ومائتين وسبعين من الخيالة .

ولكن احمد على - جريا وراء الشهرة الحربية لم يتبع راى
الخليفة تماما وتوغل بجيشه داخل ارتريا حتى وصل اغردات بطريقة
غير منظمة ورى النور عنقرة السبب ف ذلك هو خاطر حميدان الذى
افسد راى احمد على . فكلما اتفق القواد على راى ياتى حميدان

١٠٢ الخليفة الى احمد على ١٢ جمادى آخر ١٢١١ هـ ١٠ / ٢٧ / ١٠ / ٢٣٦
op.cit,
١٠٤ 503 ١٠ / ٢٧ / ١٠

ويغير رأى أحمد على فعندما اتفقر القواد على السير بأسرهم
 خور بركة لسهولته ووفرة مياهه تدخل حصدان وافر على أحمد
 على حتى سار بطريق الجبال المتعب . وعندما قرر السواد
 أن يعسكروا في منهل "كوفيت" لضرب "عربان احبار" كان رأى
 حصدان العسير الى "سقليب" حيث لا توجد مياه واضلر الجيش
 للمسير اثناء الليل يحثا عن ماء . وهكذا وصل الجيش السرى
 اغردات " على حالة سيئة " . ١٠٥

وكان حاكم اغردات الايطالى " ارمندى " على علم بتحركات
 أحمد على وبحالة جيشه المعنوية وهو يتجور ب هدى فى هضاب
 اترىا . فارسى بعفر المنشورات وشها فى طريق الجيش مخاطبا فيها
 الجهادية قائلا " علم طرفنا انه بدون اختياركم مجبورين من الدراويش
 المتعصبين عمالين غشوا ضد القبائل الذى تحتنا وقصدى
 الامان والراحة للجميع قبل ان نقاتلكم ونعدكم تتركوا امراكم
 وتحضروا طرفنا باسلحتكم بالشرف المستحق للعساكر الطيبين ويعطى لكم

١٠٦

الامان والراحة . " ولكن تلك التهديدات لم تؤثر على احمد على واستمر يستحث جيشه للمسير نحو اغردات . ولعله قد سمعوا به شمس حاميه اغردات ان كان بها حوالى الفى جندى فقط .

وفى ٢٢ ديسمبر (١٣ جماد ثانى) دارت المعركة بين الطرفين وهزم فى نهايتها الانصار وفقدوا تسعمائة وواحد وتسعين قتيل ونفس العدد مفقودين بالجبال . وقت فى تلك المعركة احمد على وعبدالله ابراهيم وعبدالرسول عمر فاصبح مجموع الخسائر الفا وسبعمائة وتسعة وخمسين كما فقدوا الفا وخمسمائة وتسع وثلاثين من البنادق الرامنوف وكميات من الذخيرة واربعه وسبعين من الخيول ، وعادت قلوب الجيش الى كسلا تجر اذيال الهزيمة وانفتح الطريق امام الابطاليين للزحف غربا نحو كسلا .

وبهذا اختتمت احدى فصول الدولة المهدية وهى تعاني ضعفا داخليا وتواجه خطرا خارجيا استعماريا . وفى عى احمد فضيل ان يشوق على الفصل الاخير من تاريخ هذه الدولة .

١
احمد فضيل وشهادة دولة المهدية

هـ
١٨٩٤-١٨٩٦ (١٣١١-١٣١٦ هـ)

شهدت السنوات الخمس التي قضاها احمد فضيل في منطقة القضايف - القلايات
انول نجم المهدية وزوالها • لقد قضى احمد فضيل معظم تلك السنوات متنقلا بين
كسلا والقضايف والقلايات ورفاعة والسيلقة وامدرمان واخيرا غرب السودان حيث لقى
مصرعه • وكانت تلك التنقلات عليها الظروف الحربية التي نضرا من حين لآخر • ولذلك

١ قبل ان يتولى احمد فضيل ادارة القضايف قام بعدة مهام حربية واصبح من اكثر
التعايشة معرفة بالجهادية وقربا للخليفة • وكانت اول مهمة قام بها في يوليو ١٨٨٧
(شوال ١٣٠٤) حيث بعث الخليفة الى شات وبقى بها حتى ابريل ١٨٨٨ (شعبان
١٣٠٥) • ثم ذهب الى الابيض واصبح عاملا للشرطة الغربية وهناك قام بالقضاء القبض
على الهاربين في سرية القلايات • وفي يونيو ١٨٨٨ (شوال ١٣٠٥) ذهب الى الاضية
ولم يبق بها حتى نوفمبر ١٨٨٨ (ربيع اول ١٣٠٦) واستطاع القضاء على قبائل الحمر •
ثم ارسله الخليفة الى الفاشر لتعزيز موقف عثمان ادم ضد ابو جيمزة • ورجل الفاشر في
١٢ / ١ / ١٨٨٩ (٩ جماد اول ١٣٠٦) حيث اشترك في معركة الفاشر ضد ابي جيمزة •
وفي فبراير ١٨٨٩ (جماد ثاني) كان في الاضية للمرة الثانية لمتابعة اخضاع الحمر • وفي
نفس الشهر تحرك الى البقعة حيث تولى قيادة الجهادية بالكاره خلفا لفضل المولسي
صاحبون • واشترك مع يعقوب في القضاء على الاشراف • وبقى قائدا للجهادية حتى

لم تلق تلك المنطقة اهتماما منه ، ولعل هذا يعزى ايضا الى ان الدولة المهدية اخذت شكلا تنظيميا محددًا ولم تطرأ عليها اى تحولات اساسية . فكانت تملك السنوات اعوام حركة عنيفة وحرب لا اعوام هدوء واستقرار . حقا انها سنوات عاصفة في تاريخ الدولة المهدية وهى تصارع فى عدة جهات للحفاظ على كيانها من الخطر الخارجى الذى اخذ يشد من خفافه عليها حتى قضى على كيانها .

الاضاع الداخلية فى عهد احمد فضيل

كانت هزيمة احمد على عربة كبيرة على دولة المهدية ان فتحت ثغرة فى جبهة كسلا يصعب حراستها . وادراكا لخطورة هذا الموقف قام الخليفة فوراً بتعيين

== بعثه الخليفة الى كسلا وخلفه ابراهيم الخليل فى قيادة الجهادية . راجع :

مهدية ، ١ / ٢٠ / ٢ / ٤

مهدية ، ١ / ٢٠ / ٣ / ٢٤

مهدية ، ١ / ٢٠ / ٤ / ٣٠

مهدية ، ١ / ٢٠ / ٤ / ٣٤

٢ لا يمكننا ان نتعرف بوضوح الى الاوضاع الداخلية فى عهد احمد فضيل ان لم نضع فى اعتبارنا حادثتين هامتين . الاولى تعدى الايطاليين لكسلا ثم احتلالها فيما بعد فى يوليو ١٨٩٤ (محرم ١٣١٢) والثانية بداية الاستعداد لحملة كشنر ثم تحركها فيما بعد ايضا نحو دنقلا فى مارس ١٨٩٦ (شوال ١٣١٢) . وقد عولجت الحادثتان فى عدة مراجع لعل اهمها :

Shibeika, British Policy, Chapter x
The
Holt, Mahdist State, pp. 195-7 and 204-6

أحمد فضيل حامدًا عمومياً خلفاً لأحمد علي • وطلب في نفس الوقت بقاء فليسول

الجيش العائدة من أغردات في كسلا • وفي ٥ فبراير ١٨٩٤ (٢٩ رجب ١٣١١)

وصل أحمد فضيل إلى كسلا وتسلم القيادة من عبد الله حامد أبي فلج^١ •

ويبدو أن غزوة أحمد علي أحداث بعض المظاهر السلبية أهمها تسليح الانتصار

من جبهة كسلا إلى القشارف غرباً من جهة المواجهة وبحيث انقوت • فقد عانى

الجيش في كسلا شبه مجاعة ، وحتى عندما خرجوا إلى أغردات كان مع كل واحد منهم

"كيلة" واحدة من الذرة وعند عودتهم من أغردات مكثوا خمسة أيام بدون قوت وعندما

صرفت لهم الذرة كانت شحيحة "بواقع التفريقراط واحد بالتقطيع شيء في شيء" •

وانعدمت الأقمشة حتى لا لا كان حذر المبيت يدفن "تحت التراب بدون كفن عارى" •

فراى أحمد فضيل أن يواجهه الأزمة بطريقتين • فصرف نصف ريام لكل جندي

٣ منذ الأيام الأولى لأحمد فضيل والخليفة يستفسر عنه سرا وعن مقدرة الحربية وسلوكه • فقد كتب لبر النور عن خطايا سرا بهذا المعنى • ولعل هذه ظاهرة غريبة أن يكتب الخليفة مستفسراً عن واحد من التعاليم بواسطة شخص آخر • أن التعاليم كانوا هم عين الخليفة الساهرة والمراقبين لسلوك بقية القواد •

٤ عبد الله حامد إلى الخليفة ، ٢٥ رجب ١٣١١ ، مصرية ، ١٤٢/٢/٢٤/١

نخطوة أولى . ثانيا راي ضرورة القيام للغزو " في طاعة الله ورسوله منسرة دينه " . الا ان الخليفة افترض على فكرة الخروج للجهاد ولعلمه كان يخشى من توسع كارثة اخرى مثل كارثة احمد على قد توءى بالبنوية البيانية من محتويات الاصدار . فاقترح على احمد فضيل ان ينتقل بجيشه الى القضايف خصوصا بعد ان علم بمسان الانصار قد احدثوا باهل كسلا " كل التشويش من نصب رقيقهم واشدانهم " .

وصل احمد فضيل الى القضايف باربعه اربعة ومعه قواده وهم فضل الحسنه ، النور عنقرة ، محمد نور نور وعبد الله حامد لبي فليج ، ومعه حوالي ستة الاف وخمسمائة من الجنود وحوالي اربعة الاف بندقية وكمة من النجبخانة . وادى تحول الجيش الى اضعاف مركز كسلا لذلك طالب احمد فضيل بارسال رايات جديدة من ادمان راسا لان الرايات التي معه لن تقبل العودة الى كسلا " بالنظر لما شاهدوه من ضيق معاشها " . فارسل الخليفة مائتين وخمسة وخمسين مجاهد فارتفع عدد المجاهدين بكسلا الى حوالي الف وسبعمائة . وهكذا ولنا ان نسال عن الاسباب التي ادت الى نقل كل الجيوش الى القضايف وترك مركز كسلا مفتوحا في الوقت الذي كان فيه لخطر الايطالي يقترب بل ان الايطاليين يعتقدوا احتلوا كسلا في يوليو ١٨٩٤

(مخبر ١٣١٢) • عل كان ذلك التحول نتيجة للظروف المعيشية في كسلا لم
 ان الخليفة احس بضعفه امام الايطاليين فتخلى لهم عن كسلا عنوة ؟ لعلهما السببان
^{يكن}
 مدرا فبيهما / ضعف المهدية في سنواتها الاخيرة هذه : الجوع والنخول
 الاستعماري •

ظلت مشكلة نقص المواد الغذائية تواجه دولة المهدية طوال السنوات الباقية
 من عمرها • وراى احمد فضيل ان اتخذ الجهادية بالندوة في هذا الصدد قد يدفعهم
 للالتجاء بالحشة او بالايطاليين فاستعان عليهم "بكرة التذكير" • وراى احمد فضيل
 ان يتخذ عدة اجراءات لمعالجة انعدام الذرة • فطلب ارسال اربعمائة جمل
 محملة بالذرة من القلعة رانج وذلك تصرفها على الجنود على ان يعتمد الانصار
 المقيمين بالقنارف على زرعهم • كما طلب ارسال عبد القادر ابي سن بولد زايد
 من امدرمان لمساعدته في عملية الزراعة • وكان الاجراء الثالث ان يقوم بعدة

غزوات لجلب الغذاء • ففي لآخر عام ١٨٩٣ (منتصف ١٣١١) ارسل احمد فضيل حملة لغزو ثلاثة جهات في الحبشة هي " البرون " وجبل " تايو " و " الدنكسر " . وفي منتصف ١٨٩٥ (آخر ١٣٠٢) خرج فضل الحسنة قائدا غزو بعض جهات الحبشة ولكن بحلول الامطار ادى الى عودته الى المركز • وشغل الاجراء الرابع في ارسال مجموعات من الجهادية للاشراف على عملية الزراعة وحراستها • فارسل احمد فضيل مائتين وعشرين من الانصار الى جهة الفاشر^٦ معهم سبعون اردبا " نواريب " وانحفظا بثلاثة وثمانين اردبا اخرى عندما شاهد " وفرة الخريف " • وقسم ائلك المجاهدين بحيث تشرف كل مجموعة على زراعة ارض احد رؤساء الاربعاء ان كان لكل قائد ريع زراعته الخاصة به • فكان من بينهم خمسة وعشرون جهاديسا للاشراف على زراعته احمد فضيل^٧ • وفي العام التالي ارسل مائتين وثمانين جهاديسا

٦ مركز الفاشر هو مشرع على الضفة الغربية لغور القاش في قبالة كسلا • وقد اقامه الانصار بعد احتلال الايطاليين لكسلا • والفاشر تعني في اللهجة المحلية نوعا معيناً من الارض هي الارض المرتفعة الصالحة للزراعة • وليس لهذه الفاشر اي صلة بالفاشر عاصمة دارفور • [هذه المعلومات مأخوذة من بعض اهالي المنطقة]

٧ احمد فضيل الى الخليفة ، ٩ محرم ١٣١٣ ، مريدي ، ١ / ٢٠ / ٢٧١

للقيام بنفس العمل السابق • وبرر أحمد فضيل اشتغاله الشديد بالزراعة لأنها
 " من رأس الربح وعين النعمة وغذاء راحة الجسد بحصول موهبة الكفاية للتغوية
 بدءاً على الجواد وبالمثل مسألة الزراعة بالقنارف حاصل الاستعداد لها وبجاري حيث
 الأصحاب عليها^٨ " ويبدو أن سياسة أحمد فضيل الزراعية قد حققت بعض النجاح إذ
 توفرت الذرة حتى بلغ الأردن في القنارف ريالاً بل أن المزارعين " صاروا يطلبون
 الناصر يأخذ الغلال منهم بالدين ٠٠٠٠ ولم يجدوا رغب في ذلك " ^٩ وشجعت
 تلك الوفرة الغذائية على انتشار قطاع الطرق الذين يعترضون المسافرين وينهبون
 ممتلكاتهم • فعين أحمد فضيل دوريات للمناطق الخطرة • وتدل ظاهرة قطي
 الطريق هذه بالرغم من وفرة المحصول والوفرة توزيع الذرة مما جعلها معدومة
 عند البعض •

وفي عام ١٣١٦ (١٩٠١) والانسار يواجهون خطر الغزو الانجليزى - المصرى
 من الشمال اتخذت اسرار الذرة ترتفع نسبياً فبلغ الأردن بريالين قوشلى في القنارف

١ أحمد فضيل إلى الخليفة ، ١٦ الحجة ١٣١٣ ، مزدية ، ١ / ٢١ / ١٣٦

٢ أحمد فضيل إلى الخليفة ، ٦ صفر ١٣١٣ ، مزدية ، ١ / ٢٠ / ٢٨٣

وبريال ونصف في مناطق الزراعة • وعندما اخذت جيوش كوش تتوغل داخل اراضي السودان بدا الانصار ينغرون من الزراعة فارسل احمد فضيل مايتي جوادى لمراقبة الزراعة على نهر عطبرة • وعند انتقال احمد فضيل مع جيشه الى امدريمان طلب ارسال اعداء وافرقة من الجبال الى القضايف لحمل اذرة لانها متوفرة هناك بينما " جهات الارعر [حاصر بها] الشيق وسحوبة العيش وتعالده في الاسعار وعدم تمييزه " ١٠

وتحت فـ تلك الفترة بعض التغييرات في حدود المراكز وفي قيادات الارباع • فاخذت سبعة جهات من القضايف وضمت الى الجزيرة " لخدمة الانصار بالبقعسة " ، واعيدت جثة " كركوج وتوايحها الثلاثة " الى القضايف • كما نقل المركز من التبعات الى الجيرة لقربها من القضايف ولاهميتها الزراعية • كما انشأت مراكز جديدة على الفاشر واصبرى والمقطع على نهر عطبرة لمراقبة الايطاليين الذين احتلوا كسلا • واجرى احمد فضيل بعض التنقلات في قيادات الارباع فعزل فضل لصيل من ربح الامدادية

١٠ احمد فضيل الى عبد الرحمن احمد امين سوق القضايف ، ١٨ صفر ١٣١٣ ،

وعين بدلا عنه عيسى كشوش • ونقل خاطر حمدان بربعه الى الفاشر وعزله نيمسا
 بعد ليحل محله عثمان الككر ثم محمد صالح عربي • وعزل حامد علي من كملا
 لمسه ادارته وتعميده على قوت الانتصار • فقد استولى على مائة اردب من المذرة
 كانت مرسلة " لتقوية " الانتصار • وجمع حامد على لنفسه ثروة كبيرة بلغت مائة
 وتسعة من الرقعتي وثمانية واربعين وخمسة وسبعين من الاقطام وخمسة واربعين من الجبال
 وسبعة خيول وسبعة وثلاثين ريالاً • بذلك تم عزله ووضع في القشارف تحت المراقبة •
 وفي عام ١٨٩٦ (١٣١٤) أصبح امراء الارباع هم فضل الحصف وعبد الله حامد وسد
 الله عز الدين وعبد الرحمن البرجو وعيسى كشوش • ووزع الحبش في المنطقة على
 المراكز كالآتي :^{١٢}

مع أحمد فضيل ٤٢٤٨

بالقشارف ٢٥١٨

باصيرى ٤٤٠

١ : أحمد فضيل الى الخليفة ، ١٦ القعدة ١٣١٢ ، مزدية ، ١ / ٢١ / ١١٢

٢ : أحمد فضيل الى الخليفة ، ٥ ربيع اول ١٣١٤ ، مزدية ، ١ / ٢١ / ٢ / ١٦١

٢٨٢ بالفاشر

١٤٧ بالجيرة

٢٦١ بالقينات

ولابد لنا ونحن نتعرف للاوضاع الداخلية في هذه الفترة ان نختتم الحديث
 عن قبيلتي الشكرية والغسانية . ولعل اهم ما يستحق الملاحظة ان دولة المهدمية
 لم يمتد اعتماد كثير على دائنين القبيلتين لتساعدها في عطية الزراعة . ولذلك صلب
 احمد فضيل ارجاع ولد زايد وعبد القادر ابو سن وطه ايوجن من امدردمان فورا عندما
 استدعاهم الخليفة " للمذاكرة " ^{١٣} . وبالرغم من خضوع الشكرية التام للمهدمية الا انهم
 كانوا يخفون في داخلهم تدمرا ورفضا للنظام . فقد قام عبد القادر ابو سن بالاتصال
 باحد الشكرية ويدعى حسب الله رحمة الله وكان مقبلا يكسلاتحت حماية الايطاليين .
 واشتكى عبد القادر في رسالته من سوء حالة قبيلته . ويبدو ان " المهجر هيد القو " ^{١٤}
 حاكم كملا الايطالي قد اطلع على تلك الرسالة ، فانصل بعبد القادر وعرض عليه حماية

حكومتهم وطلب منه ان يرسل باهله الى كسلا^{١٤} . ويبدو ان عبد القادر قد تحايل على احمد فضيل وطلب منه ارسال بعض لغزاته كطلائع لكشف اخبار الايطاليين بكسلا بينما كان يهدف الى الاتصال بالايطاليين هناك^{١٥} . ولكن تلك الاتصالات لم تثمر وظلت مجهولة لدى احمد فضيل تماما . فقد كان احمد فضيل مرتاحا لمسلح عبد القادر بل وصاحب معه جعفر ابي موسى في احدى غزواته تعبيرا عن تملك الثقة . وشهد منتصف عام ١٨٩٦ (مطلع عام ١٣١٤) وفاة عبد القادر ابي موسى وخلفه جعفر ابي موسى في زعامة القبيلة . وفي اغسطس من نفس العام (ربيع اول) توفي محمود عيسى زايد وخلفه عوض الكريم عيسى زايد . وقد تبارك هذا الزعيم الجديدان في الدفاع عن دولة المهديية ضد الخطر الاستعماري وسمح لهما بالخليفة برؤية لاجل الجهاد خلاصة بكل منهما .

وشهدت تلك السنوات الاخيرة في عهد الخليفة انقسام قبيلة الشكرية بسبب

١٤ . الميجر عبد القادر حاكم النكا الى عبد القادر ابي موسى ، ١٨٩٥ (٢٠ جمادى الاولى ١٣١٣ هـ - مديونية ، ١ / ٢٤ / ٢ / ٢)

١٥ . عبد القادر ابي موسى الى الخليفة ، ١ جمادى اول ١٣١٣ هـ ، مديونية ، ٢ / ٢٠ / ٥ / ٢١

رفاعة والقضارف انقساماً واضحاً • وكان رأى عبد الرحيم ابو دقل ، عامل جهة القضارف ،
 ان الشكرية يجب ان ينضموا على رفاعة لا القضارف لانهم احصوا من جهة " الهوى "
 وانهم لا يرغبون التبعية لجعفر " لتشوشهم من تنبئه ... وكرهيتهم لجهة القضارف " ^{١٦}
 ولكن الخليفة رأى ان يكونوا تابعين لجعفر • واقترض عبد الله عوض التريم ابو سن
 على قرار الخليفة بحجة ان الشكرية في رفاعة " مالمهم علاقه في القضارف ولا سكنة ولا تبعية "
 وانهم قد انضموا عليه في رفاعة " ومنهم المساعدة القاعة ... في امر الدين وحفظ
 البنية ورغبتهم لاقامة مع اهليهم الموجودين هنا ورجوعهم للقضارف في هذا الزمن فيسهل
 كبير ضررهم وشقة " ^{١٧} • وهكذا انتهى عهد الخليفة والشكرية يعانون انقساماً
 جبرافياً ، ويظهرون ولا ... ويخفون نفورا وتزهداً للنظام ^{١٨} .

١٦ عبد الرحيم ابو دقل الى الخليفة ، ٥ ربيع اول ١٣١٦ ، مبدية ، ٢ / ٢ / ١١٤

١٧ عبد الله عوض الكرم ابو سن الى الخليفة ، ٢٠ ربيع اول ١٣١٦ مبدية ، ٢ / ٢١ / ١٦١

١٨ ولعل الشاعر الحارثي قد عبر عن هذا الشعور في قوله :

يا يابا النفسين بالانجيز اسفونا

وحدثت في تلك الفترة بعض الأحداث الصغيرة التي تعكس تدوير الأوضاع
 الداخلية للدولة العثمانية وهي تعيين السنوات الأخيرة من عمرها • منها محاولة
 تغيير العملة • فقد كانت المعاملات التجارية من جهة ذلك مدني وحتى كركوج والعشارف
 والقلايات تنسم بالريال القوشلي • وفي عام ١٨٩٧ (١٣١٤ / ١٥) امر الخليفة
 بعدم استعمال الريال القوشلي وان يستبدل بالريال المجيدي • وادي ذلك
 الاجراء الى توقف التعامل التجاري " وتعسر الضروريات على الناس " • وقد انخفض
 الخليفة ذلك الاجراء لتعدد انواع الريال القوشلي ولتكره استعماله حتى أصبح
 مملوس المعانم ^{١٩} • ولكن احمد فضيل رأى ان يستعمل الريال المجيدي فسمى
 لدرمان ويترك استعمال القوشلي في بقية المناطق • ويبدو ان الخليفة وافق على
 رأى احمد فضيل • الا ان ذلك الاجراء يعكس ضعفا في النظام الاقتصادي •
 فالدولة غير قادرة على إصدار عملة مقبولة للناس وغير قادرة على فرض عملة معينة

٩ احمد فضيل الى الخليفة ، ٨ جوان ١٣١٥ ، مودية ، ١ / ٢١ / ٣ / ١١٦

يقبلها الناس مما جعلهم يدخلون الى عملة يرونها مناسبة دون خشية من ان النظام الحاكم • ولم يقتصر تزعزع الثقة في العملة فحسب بل انعكس في مظاهر اخرى اهمها هروب الامراء الرايات من قياداتهم • فقد هرب ثلاثة من الامراء من القضاة بعد ان باعوا " عيوشيم " وحملوا عوائلهم • بل ان بعض الامراء اخلوا منازلهم من العوائل استعدادا للتشتت في انحاء البلاد في حالة انهيار النظام الحاكم • ولخذت انصارها نفسها تستقبل مجموعات من الانصار هاربين من اعدائهم عندما اخذت تقترب منها جيوش كشمير • وقد وصل فقدان الثقة مرحلة جعلت النور عنقرة يطالب بعودة احمد فضيل الى القضاة والبقاء بها حتى يبعث الرهبة في الاعداء والثقة للانصار • واقترح الخليفة بناء حصن حول القضاة لحماية الاهالي وبعث الطمانينة في نفوسهم • كما امر الخليفة باغلاق سوق القضاة من العصر حتى لا يصبح مسرحا للجواسيس والخبون بالليل • ويمكننا ان نلاحظ ان الاختلاسات بدأت تأخذ طريقتها في هذه الفترة الى قلب النظام • فقد اعتقل اسماعيل عبودي امين بيت المال القضاة لاختلاسهم

٢١
سبعمائة ريال من لمانته .

وعانت العمودية في هذه الفترة نقضا في القوى الثورية المعادية . ولاشك
ان كثرة الحروب وامتداد المجاعة عبر سنوات عديدة وتسلسل الجهادية قد ادى
الى ذلك النقص . ويبدو ان الدولة أصبحت تعتمد على تجنيد كل افراد القبائل
مع استمرار اعتمادها على اتمقارة وخاصة التعايشة . وقد حوت كل انكشافات الخاصة
بالجيش في عام ١٨٩٥ (١٣١٣) لى عام ١٩١٧ (١٣١٥) فرقا جديدة في الجيش
بسم الخماسى والسداسى وهو لاء صبية صغار كانوا يضافون للجيش وغلبيهم من ابناء
التعايشة . فنادا وصلت الدولة مرحلة تجنيد الصبية في سن خمسة عشر وستة عشر سنة
٢٢
فان هذا يعكس بعض نواحي ضعفها .

ولاشك ان تحركات احمد فصيل المستقرة - اما منفردا او بجيشه - قد
سأمت بدورها في اضعاف الادارة الداخلية في هذه المنطقة . وكانت تلك

٢١ احمد فصيل الى الخليفة ، ٢٠ رجب ١٣١٣ ، مؤدية ، ١ / ٢١ / ١ / ٢٨

٢٢ هناك عدد من هذه الانكشافات ولكن اعمدا ،

التحركات تلبية الظروف الحربية واحتياجات الدفاع والتشاور مع الخليفة في الاخطار الخارجية المتجددة . ففي يونيو عام ١٨٩٤ (محرم ١٣١٢) ، عشية الاحتفال الايطالي لكسلا ، غادر احمد فضيل القصارف الى امدرمان ولكنه عاد في الشهر التالي ليواجه اي تطورات قد تنشأ عن احتلال كسلا . وبعد شهر من عودته رجع ثانية الى " البقعة " ويبدو ان تلك الرحلة كانت للتشاور في كيفية تلافى الخطر الايطالي ، وربط هذه التهمة الاحوال بين احمد فضيل والنور عنقرة . وفي يوليو عام ١٨٩٥ (صفر ١٣١٣) قام احمد فضيل برحلته الثالثة الى امدرمان وفي نفس الوقت من انعام التالي قام برحلة رابعة الى رحاب الخليفة . وفي طريق عودته السمي القصارف استدعاه الخليفة الى امدرمان لمعالجة الزحف الاستعماري الذي بدأ بقيادة كشنر . وعاد احمد فضيل بجيشه ليقى برفاعة على امية الاستعداد ان ان امدرمان لم تكن تحتل جيشه بأكمله . وفي اغسطس ١٨٩٢ (ربيع ثاني ١٣١٥) تحرك احمد فضيل بجيشه الى مسيلوفة وبقى بها حتى يناير ١٨٩٨ (رمضان ١٣١٥) وكان ذلك الاجراء قد اتخذ لمعالجة اي تطورات قد تنشأ من معركة عظيرة . وفي فبراير ١ (شوال) عاد احمد فضيل الى القصارف بعد هزيمة الانصار في معركة

عشيرة • وفي يوليو (ربيع أول ١٣٢٦) غادر أحمد فضيل القضاة بكل جيشه إلى
أمدريمان لتدعيم موقف الخليفة •

من الواضح أن أحمد فضيل لم يكتف بالقطار طويلا وحتى عند بقائه بها
كان مشغولا بقضايا هامة على مستوى الدولة ككل فلا غرابة • إذا تدهورت الأوضاع
الداخلية ولحق بالناس الكثير من الظلم والتعدي على حقوقهم^{٢٣} يمكننا أن نخلد
إلى القول بأن عهد أحمد فضيل شهد طغيان الأحداث الخارجية والخطر الاستعماري
على الأحداث الداخلية ولذلك كان عهده عهد تدهور داخلي وفقدان الثقة لحكم
المهدية •

الصراع بين دولة المهدية والإيطاليين

لاشك أن احتلال الإيطاليين لكسلا في يوليو ١٨٩٤ (محرم ١٣١٢) قد فتح
جبهة جديدة كان على المهدية مواجهتها مما استنزف قدرًا من طاقاتها الحربية • فقد

٢٣ عبد الرحيم البرجواني، الخليفة، ١٥ رمضان ١٣١٥، مهديّة، ٢/١٨/١٣٠٤-٣٠٥-٠٥.

قام الايطاليين بخزوا كسلا والاستيلاء عليها وحرقتها وهرب مساعد قديم من المعركة حتى لقبه الخليفة " بحليمة " • ولم يكن الانتصار على يقين من امر الايطاليين ان كانوا ينوون الإقامة بكسلا او العردة^{٢٤} • ولذلك طلب الخليفة من احمد فضيل اتخاذ من الاعتياطات اللازمة وان يكون على حذر من مكر " الايطاليين والحربان المنافقين " ، فقام احمد فضيل بارسال عمر محمد الشيخ مع خمسين جنديا للإقامة بالفاشر " لرصد اخبار الاعداء " ، كما عين عددا من المجاهدين " للإقامة ••••• بالطريق الدائنة على مركز القشارف من بحرى ومن قبلى " • ورتب عددا من الدوريات لتتم من التتبعات حتى انفاشر ودوريات اخرى من الفاشر الى جهة اصبرى على ان تتعاقب هذه الدوريات يوميا • ولاهمية نقطة الفاشر انشأ " مواليد لكسله " ارسل احمد فضيل احد عشر راية بقيادة كويس النور لتعزيزها • واصطدمت تلك الرايات بأربعة " قلعات " للايطاليين فى الملوية • فهاجم الانصار الايطاليين و " هذبهم قتلا واثخنوهم طعنا وضربا " وقتل فى تلك المعركة القائد الايطالى هرودة^{٢٥} • ويبدو ان

٢٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣١٢ ، مصرية ، ١ / ٢٠ / ١١٢

٢٥ المشارى اسحق الى احمد فضيل ، ٢ جمادى الاخر ١٣١٢ ، مصرية ، ١ / ٢٠ / ١١٢

الايطاليين تهيبوا الخروج من تحصيناتهم في كسلا بعد تلك الواقعة .

وفي ابريل ١٨٩٥ (شوال ١٣١٢) قرر احمد فضيل ان يغزو جند كسلا قبل

ان يرتفع نهر عطبرة فيحول بين الانصار و " جهة المعاش " ان ان يقاء الجيش

بالقصارف يردى الى " تضائيت بالمعاش ولزوماته الضرورية بالمركز لانه غيمـ

بيت ماله خالي " . يقترح احمد فضيل غزو المنطقة " الوسطانية بالصعيد ما بين

بحر انبرة . . . وبحر النيل الازرق . . . (ان) فيها حالات معتاد ضربها

وهي جهة دنكر وجهة الفجارة " وبها من الغنائم ما يساعد الجيش على تحمل فطرة

الخرىف^{٢٤} . واستعدادا لتلك الخزوة استدعى احمد فضيل رايات خاظر حميد ان

من الفاشر على ان يعيد تقوية مركز الفاشر والمراكز الاخرى بعد انتهاء فصل الخريف .

قد تحولت جيوش الهندية الى مجتمعات مقاتلة تبحث عن قوتها في مختلف

الاتجاهات . ويتضح كذلك الاستفادة من العوامل الجغرافية ان تسبب الجيوش

٢٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٢ شوال ١٣١٢ ، مهديّة ، ١ / ٢٠ / ٢٣٥

• المركز في زمن الخريف ويصاد تقديتها بعد انتهاء المعاجزة أي هجوم مرتقب •
 وخلال بعد انتهاء الخريف أرسل أحمد فضيل ثلاث عشرة راية إلى القاهر وتسبع
 رايات إلى مصر الشقرا ومائة وثلاثة وأربعين جنديا بقيادة عبد الرحيم
 أبو دقل إلى صيرى •

وفي مارس ١٨٨٦ (شوال ١٣١٢) حدث تطور سياسي هام في تلك المنطقة
 عندما استطاع الحبش هزيمة الايطاليين في معركة عدوة • ولم تغب أهمية ذلك
 الحدث على انتباه الانتصار فقد وصلت اخباره إلى الانتصار عن طريق جواسيسهم
 من الجبهة • ولم أحمد فضيل كيف صار الايطاليون " في وهن وخيبة وقلة جموعهم
 بكسلة " ^{٢٧} • فرأى ان يغتنم فرصة انشغال الايطاليين بالحرب مع الحبشة ويقوم
 بغزو كسلا واعادتها • وتردد الخليفة كثيرا قبل ان ياذن بذلك للغزوة خوفا من
 وقوع كارثة حربية اخرى قد تؤثر على نظامه بأكمله ^{٢٨} • وعندما علم الايطاليون

٢٧ أحمد فضيل إلى الخليفة ، ٢٠ رجب ١٣١٣ ، مصرية ، ١/١/٢١/١

٢٨ أحمد فضيل إلى الخليفة ، ٢٠ شعبان ١٣١٣ ، مصرية ، ١/١/٢١/١

تحرك الانصار قاموا بتخزين كمالات وارسلوا كميات وافرة من المؤن والذخيرة ٢٥٠٠
 جنديا بقيادة الكولنيل استقاني • وفي ٢ ابريل (١٨ شوال) خرج الايطاليون من
 تحصيناتهم وشاجعوا الانصار فتراجع احمد فضيل الى تكروف بعشرة اربعمائة رجل •
 وفي اليوم التالي هزم احمد فضيل وفقد ثمانمائة رجل اخرين وانسحب من المعركة ٢٩
 ولكن احمد فضيل لم يعط وهذا صادقا للمعركة فقد ذكر للخليفة بانه هزم الايطاليين
 حتى تراجعوا لكسلا وصاروا " يرموا جللهم من بطن زريبة الدميم ••• ويأتى منهم
 اعدام الخيول " • كما ذكر ان جبهة الانصار فرغت منهم مع العلم بان كل جندي معه
 سبع ديسنة منها • وهذا ما جعله ينسحب من المعركة ويتراجع الى نهر عطبرة ٣٠
 ومن هناك سار الى اقتدارف حسب تعليمات الخليفة ثم قام بتفوية المراتر الموجهة
 للايطاليين فارجح عبد الرحيم ابي دقل ومعه ست عشرة راية وعشرون صندوقا
 من الجبهة الى لصبري وارسل حامد علي بربع الجعليين والدنائلة وعشرين صندوقا

٢٩ شقيق ، ٩ ١١١٥

٣٠ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٤ شوال ١٣١٣ ، مذيقة ، ١ / ٢١ / ١ / ١٠٢

جبهة إلى الفاشر • كما رأى حراسة "المقطع" بالدوريات "المقتية المتصلة كسبل
 دورية تنسلم من المقدمة لها إلى أن يعتلى البحر" • ورأى أن تلك الاحتياطات
 كافية "لأن البحر دخله النفوس" ^{١١} • ويتضح من تلك الاجراءات أن أحمد فضيل
 قد هزم فعلا في تكروفي وأنه اتخذ تلك الاحتياطات لاحتمال تقدم الايطاليين •
 وشهدت الأشهر التالية نشاطا حربيا ملحوظا من جانب الانتصار ومن جانب
 الايطاليين أيضا • فقد قام أحمد فضيل بحملة توغل بها داخل ارتريا • وكانت تلك
 الحملة بتوجيه من الخليفة الذي رأى أن مواجهة الايطاليين في شواحي كسلا وخضاع
 القبائل الموالية لهم سيجعل بقاها في كسلا أمرا صعبا وسيخفف من ضغطهم
 على المراكز الحربية على نهر عطبرة • فأرسل إلى أحمد فضيل ثلاثمائة صندوق من
 الجبهة وقد ومدفعين • وفي ديسمبر ١٩١٦ (رجب ١٣١٤) تحرك الجيش من
 القضايف فأصدا النومات ومنها عبر نهر عطبرة وسار محاذيا لنهر سيقيت حتى مسج
 الحجار الزرق حتى وصل الجيرة • وهناك تأكد أحمد فضيل أن الانتصار لمسه

يتمكنوا من التسلل والرجوع إلى القضايف فتصرف لكل مجاهد سبع نوبت جبهاتية •
 ثم اتجه الجيش إلى سرف مبيت حتى وصل " حلال العبيد البازر محل النزع " ^{٣٢}
 في " امديب " - بين كسلا وفردات - دارت معركة مع القبائل المتحاربة مع
 الإيطاليين وكانت بقيادة علي نورين • وبعد خزيمة " العربان " بقي الجيش ثلاثة
 أيام قنابها في " شن بلفغ الغارات بالخيول وأهل السلاح على الجهات وتخريبها "
 ومارس الجيش نفس الأعمال الحربية في " مقرب " وظل في مسيره حتى سرف
 الفيل " صعيد نسلة " • وقد بلغت جملة القرى التي هاجمها الجيش منذ خروجه
 من بحر سيديتين اثنتين وثمانين قرية مفرقة في عشر مناطق ^{٣٣} • وعندما وصل الجيش
 إلى سرف الفيل وجد عليه حراسة من خمسين شخصا بقيادة حسب الله ولد رحمة
 الله الشكري فهاجمهم الانصار وولسوا مسيرهم إلى كسلا • وكان بها " اربعة
 دنانير وانكبانية برما مائة نفر " • ولم يشعر الإيطاليون بقدوم الانصار " لداعى قطع

٣٩ أحمد فضيل إلى الخليفة ، ٢٩ رجب ١٣١٤ ، مريدي ، ١ / ٢١ / ١ / ٢١١

٣٣ أحمد فضيل إلى الخليفة ، غاية شعبان ١٣١٤ ، مريدي ، ١ / ٢١ / ٢ / ٢١٥

السلك * وقفل الطريق امام الجواسيس • وظلوا يتحفظون بكسلا ولم يخرجوا
 لعلاقة الانصار • ولهذا السبب وفراغ الزاد وخشية من تسلل الجهادية لجهات
 لبحر باسباع الجوع " قرر احمد فضيل العودة الى القضايف • ولعل السبب الاهم
 انه كان يخشى من هزيمة كالتى لحقت به من جراء مهاجمة الايطاليين في تحصيناتهم^{٣٤}
 بلغت غنائم الانصار من تلك الغزوة مائة جمل وسبع مائة من الاغنام ومائتى بقرة واثنى
 عشرة من الخيل ومائة من الرقيق وبلغ الخمس الخاص بالخليفة مائة وخمسين وثمانين
 من الابقار • وفقد الانصار ثمانى شهداء في كل المعارك^{٣٥} •

وكانت عودة احمد فضيل الى القضايف بدون اذن من الخليفة وهذا يخالف
 التقاليد المتبعة في المهديّة • ولذلك رأى ان يقوم بغزوة اخرى حتى لا تبدو
 عودته وكأنها خوفا من الحرب • وذكر للخليفة ان تلك الجهات لم تكن معروفة من

٣٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ٣ رمضان ١٣١٤ ، مهديّة ، ١ / ٢١ / ٢ / ١٧

٣٥ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٧ رمضان ١٣١٤ ، مهديّة ، ١ / ٢١ / ٢ / ٢٤

عبل للاتعداد واما الان فانهم صاروا في هذا خبرا " والدرب فاتح " • كما ان الجيش لم يمس ضرر من الغزوة المتتابعة • وانذرة أصبحت شحيحة بالقصارف كما ان ارتفاع نصيب الانتداری في الخليفة ^{سليمان} حانزا قويا ^{٣٦} • وبالرغم من تعدد الاسباب المستترة امر هذا احمد فضيل الا انها تتناقض مع ما ذكره من قبل من قلة المعاش بجنات سلا • ولعل الخليفة لحسن بعض تلك الحجة فرفض خروجه الجيش للغزوة • بالتشغل بعدها الخليفة بالخطر الزاحف من الشمال • وهكذا انتهت مجهودات احمد فضيل الحربية ضد الايطاليين دون ان تنير من الموج العربي في المنطقة ودون ان تحدث اي آثار سياسية •

اما مجهودات الايطاليين الحربية فقد تركزت في الهجوم على النقاط الحربية التي اقامها الانصار على نهر عذبة وبالدال مركز اصبري لانه لهذا ان يسيطر على الطريق الى البطانة وانقصارف • ففي يونيو ١٨٩٦ (مطمح عام ١٣١٤) هجم الايطاليون على مشرع المقطم بعد ان عبروا البحر سباحة • وبما ان الانتصار لا يعرفون

السباحة - فاعلبيهم من الغرب - فلم يتمكنوا من اللحاق بهم وضربهم ولذا لم يك
 طلب قائد المنطقة مدد بالمراكب • وبعد اسبوع من تلك الحادثة هاجم الايطاليون
 مركز اصبرى وظلوا يعطرونه بالرصاص من الشاطئ الشرقى دون ان يتمكن الانصار من
 العبور اليهم لامتلاء النهر • واحسن عبد الرحيم ابودقل بضعف موقفه لئ كان معه
 مائة وخمسون رجلا مقاتلا فقط فاستغاث باحمد فضيل طالبا " النجدة النجدة " •
 الا الايطاليون فقد اعدوا هجومهم مرتين متتاليتين بالرغم من وجود دوريات كانت
 تمر على الشاطئ الغربى • وعندما بدا النهر فى الانحسار زادت خطورة الموقف لئ
 كان بإمكان الايطاليين العبور الى الضفة الغربية ومهاجمة اى من المراكز المنتشرة عليه •
 فارسل احمد فضيل الرايات " اللازمة " لتعزيز الموقف فى اصبرى والفاشر •
 ٣٧
 يناير ١٨٩٢ (رجب ١٣١٤) هجم الايطاليون على مركز اصبرى ودارت معركة
 عنيفة استمرت ثلاثة ايام استولى بعدها الايطاليون على شاطئ النهر الغربى • وظل
 الانصار داخل تحصيناتهم والمعركة دائمة • وبعد اسبوع نفذت جبهة الانصار

فأرسل أبو دقل المترجم إلى الصفية بعد أن فقد أحد عشر شهيدا وجرح من جماعته
 خمس وثلاثين واستولى الإيطاليون على أصبري^{٣٨} • ثم قاموا بتعزيز مواقعهم فسي
 أصبري بأن حضروا في أعداد جديدة " أكثر مما كانوا به " كما أنهم " متغلبين ...
 بالبناء اللازم للإقامة " • ولكن أبو دقل ظل يجهل نواياهم " إن كانوا منوجهين
 للقنارف أم قاصدين أعمال فقط على شاطئ • بحرانية بمحلات معلومة لديهم"^{٣٩}
 ولعل الخليفة أدرك أن نشاط الإيطاليين المتزايد في الشرق كان الخوض منه
 شغل الانتصار حريبا حتى تسهل مهمة الجيوش الغازية من الشمال • ولذلك رأى
 ضرورة الاهتمام بمركز أصبري والفناشر حتى لا نصبحا منافذ للتسلل الإيطالي ، بل
 رأى ضرورة استعادة أصبري • ولكن أحمد فضيل اعترض على تلك الخطوة خوفا من
 أن يتسلل الانتصار وينضموا إلى الأعداء فيعلم الأعداء " بحالة ضعفهم يجد التسلل"
 واقترح لما أن يقوم الجيش بأكمله إلى أصبري والفناشر ويرسل ربح عبد الرحيم

٢٩ عبد الرحيم أبو دقل إلى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣١٥ ، مديّة ، ١/١١/٢٢

٣٠ عبد الرحيم أبو دقل إلى الخليفة ، ٢٢ شعبان ١٣١٥ ، مديّة ، ١/١١/٣٠

البرجو بأكمله التي هناك • ولكن الخليفة رأى أن تلك الخطوة تخدم لغراض
الأوربيين تماماً ورأى أن يرسل بعض الخيالة من السرية وأن يعود ليودع السي
البري مع بعض التعزيزات • ورا ذلك بدلا من إرسال خبراء من الجيش أن
ترسل دوريات تمير بين الفلشر والصبري ليصبح نهر عطبرة تحت " الاستكشاف
المستمر" ^{٤٠} • وشغل الخليفة بالخطر الذي أخذ يشتد من الشمال قاموا به دغسا
بالانسحاب إلى رفاعة ليكون بالقرب من نمرمان • وهكذا انتهت علاقة الدولة المهدية
بالوجود الإيطالي في كملا - حتى استولى عليها الانجليز - وكانت كفتهم دائما
راجحة في المعارك الحربية • وقد انهكوا من قدرات الدولة المهدية في تلك
الجهة ايما انذاك •

سياسة دولة المهدية تجاه الحبشة

تتلخص سياسة دولة المهدية تجاه الحبشة في هذه الفترة في ثلاثة اتجاهات
رئيسية : حربية ، واقتصادية ، ودبلوماسية • اما الناحية الحربية فقد شهدت

٤٠ - احمد فضيل الي الخليفة ، ٨ شوال ١٣١٥ هـ ، مصرية ، ١ / ٢١ / ٣ / ٢٩٤

تدهورا عاما في عهد احمد فضيل • وهذا التدهور هو امتداد للتدهور الذي بدأ بعد معركة القلايات الكبرى واستمر بفترة عهد الزاكي طمل واحمد علي • ولعل ابرز مظاهر ذلك التدهور انتقال المركز العسكري من القلايات الى القصارف • وبمعكس ذلك التحول انصرفت الدولة المهدية عن الحروب الحثيثة وتركيزها على الزراعة وطوى جبهتي كسلا والشمال • واصبحت القلايات مركزا عسكريا صغيرا به خمسمائة جنودى بقيادة النور صلصه (غير الخطيئة اسمه فيما بعد الى صلاح) ومعه عدد من الامراء المغمورين مثل حسن سعد النور وعمر ولد دوم وعيسى ولد لبورا بحسة • وينعكس ذلك التدهور الحربي كذلك فى تحويل نقطة الجيرة الى التويمات • ولذلك فالاعمال البحرية التي تمت فى هذه الفترة لاتعدو عن كونها مفاوضات فى الحدود وبعض اعمال التجسس وبعض حركات الشفقة • وكان اولئك الشفقة مصدر ازعاج حتى لدولة الحبشة نفسها • لقد تحول النشاط فى هذه المنطقة الى اعمال المصيرية بعد ان كانت مسرحا لمعارك هامة • ولحل انتصار الحبش على الايطاليين اد اعطى الحبشة وضعها حربيا متفوقا وساعد بذلك فى حسم الصراع بين الدولتين •

على ان ذلك التدهور العسكري لم يصرف الانتصار عن تتبع اخبار الحبش

والتجسس على تحركاتهم^{٤١} . وكان الانتصار بعض الجواسيس داخل الحبشة من بعض القبائل التي كانت تنظر صوب المهديّة ترغب في أن تستظل بظلالها . ولعل الجبيرة هم أهم تلك القواعد . وكان للجبيرة راية في جيوش المهديّة منذ بدايات الثورة واستمرت طوال عهد المهديّة تنتقل من الفجر فقرأ إلى صراحت خوجليسي وغيرهما . وظل الجبيرة ينقلون الانتصار لخبار الحبش بانتظام حتى اضطر مفليك إلى حريهم . وأرسل الانتصار الشيخ حسين الجبيري إلى شلقة حاملاً معه الأمان لاهلها وذلك بغرض إقناعهم مشاريع مفليك لضم اهل تلك المنطقة الى صفه لاستغلالهم في ازعاج حدود الانتصار^{٤٢} .

وظل الانتصار يستمعون باخبار الحبش فقد كانوا دائما في شك من نواياهم وهم في نظرهم دائما " اعداء الله ولا يؤمن لهم عاقبة كونهم مهادنين بالمكر " . وشعر الانتصار بارتياح شديد عندما اشتد الصراع بين الحبش والابطاليين فقاما ففسي

٤١ : مكين علي الى احمد فضيل ، ٨ شعبان ١٣١١ هـ ، مهديّة ، ٢٥ / ١١ / ٢٢٢

٤٢ : النور صلعه الى فضل الحسنه ، ١٩ ربيع آخر ١٣١٢ هـ ، مهديّة ، ١ / ١ / ٢٤

نظر الانتصار لعداء الله . وعندما انتصر الحبش على الايطاليين " فائزهم الله " .
 معاً لم يهدأ خاطر الانتصار وربما اعتقدوا بتقدم الحبش الى القلايات . فارسل احمد
 فضيل ربيع عيد الرحيم البرجو وسعد الله عز الدين ولكن الحبش قبعوا في مكانهم
 وتلاشت مخاوف الانتصار^{٤٣} .

النشاط التجاري فقد أصبح يمثل عنصراً هاماً في علاقة الدولتين ولم تكن
 العلاقة التجارية بين المهدية والحبيشة تتأثر بالظروف الحربية بل ظلت تسيير
 دائماً في مجراها الطبيعي وظل " النقادية واردين بحالة اطمئنان وهم لا ينسجم
 تعلق بالحراية ومن عوايدهم المتأبقة ان الحراية تكون دليلاً ما بين الانتصار
 والمكافاة وهم يحضروا يبيعوا ويشترؤا " .^{٤٤} وفي السنوات الاخيرة هذه أصبحت
 النشاط التجاري يحتل حيزاً كبيراً في تلك المنطقة . ولعل خير ما يعبر عن سيادة
 الناحية التجارية هذه ما كتبه حاكم شلقا الى النور صلاح قائلاً " ونحن طالبين عمار

٤٣ محمد فرج النور الخليفة ، ١٩ شوال ١٣١٣ ، مهديّة ، ٢٦/١٠/١٢٨

٤٤ احمد فضيل النور الخليفة ، ١٢ شوال ١٣١٤ ، مهديّة ، ١/٢٠/١٣٣

المعوق وعمل البلد بالمشورة معكم ونحن نهينا تنبيه للنقدانية بالنزول وانتم كسدا
 تنبيه تنبيه وتعظهم امان الله واما رسوله *^{٤٥} ويبدو ان اعطاء الامان للنقدانية
 كان من الضروريات الزائلة لاستمرار التجارة • فقد كانوا يحضرون احيانا الى القلايات
 بجزء من بضاعتهم لانهم غير مطمئنين على مستقبلها • ولم يتردد الانصار في تأمين
 النقدانية وتأمين بضاعتهم • ولعل الحبش لم يكونوا اقل حرصا من الانصار على استمرار
 تلك التجارة • وكثيرا ما كانوا يرسلون الهدايا الى امراء الانصار والى الخليفة تعبيرا
 عن شعورهم الودي حتى لا يعترض الانصار على عملية التبادل التجاري • بل لجأ
 الحبش ، وتبعهم الانصار فيما بعد ، الى اعطاء التجار الذين كانوا يتنقلون عبر الحدود
 أوراقا تثبت هويتهم التجارية حتى لا يتهموا بالنجس • وحيانا كانت تشك سلطات
 البلدين في بعض التجار فكانوا يضعونهم " تحت النظر لشبه بعضهم بعين " ^{٤٦}
 ونتيجة لتلك المجهودات فقد انتعشت التجارة في القلايات واصبح " المكادة طالعين

٤٥ حاكم شلقا الى النور صلحه ، ١٨٩٤ (غرة جماد اول ١٣١٢) ، مريدي ١ / ٣٤ / ١٦ / ٢٠

٤٦ احمد قسبي الى الخليفة ، ١٠ صفر ١٣١٢ ، مريدي ، ١ / ٢٠ / ٦ / ٢٤٢

نازليين * بل ان بعضهم كان يأتي من صوع ومن " اقضا ديارهم من لم يسبق له
 حصول للقلابات ككوة حتى في زمن الكفرة وكذا من سبق حضوره وانقطع المنتمين
 البعديدة " . وحتى التومات التي لم تعرف من قبل كمركز تجاري أصبح يسمره
 اليها النقابية باعداد كبيرة ان وصلها في شهر واحد ثمان وثمانون تاجرا ^{٤٧} .

ولصحت زريبة القلابات سوقا تجاريا نشطا ودار صراع بين عدد من العمال
 حول الاشراف، على تلك الزريبة لان الاشراف عليها كان مصدرا للشوة والنقود . واخيرا
 ولي امرضا الي يوسف سليمان وادم الجنولي ولعل هذه الادارة الثنائية كانت بغرض
 مادي الفلاحة بالموال الزريبة . وتقاطعت دولة المدينة من النقابية للعشور على بضائعهم .
 ولحيانا كانت تلك العشور تزيد قليلا . وبلغت ايرادات العشور في تلك الفترة مبالغ
 شائلة * ففي فبراير ١٨٩٨ (رمضان ١٣١٥) بلغت خمسمائة ريال ، وبعد شهرين
 الف ريال وفي الشهر التالي بلغت الف وخمسمائة ريال وفي نهاية نفس الشهر كانت
 الف ريال اخرى . وقد ادت تلك الايرادات البطائلة الي ان يفكر الخليفة نـ

المدخول في عملية التجارة وذلك باستخدام رؤوس أموال لجلب بضائع من الحبشة
وبعدها • وسارت الاجراءات لتنفيذ تلك الخطوة في سرية تامة وظل العندوبون من
الخليفة " يتصلون بالندادية سرا^{٤٨} • ولعل انشغال الخليفة بالزحف البريطاني في
ذلك العام ادى الى توقف تلك المصاعى •

وكانت اهم البضائع التي ترد الى القلايات الاقمشة مثل الدمورية والمرمر والزرق
والديان والولاية والجاوة • وكانت الدمورية والمرمر اكثرها انتشارا ، ويأتى البين في
المرتبة الثانية اذ يحصل الوارد منه في العام الى عشرات القناطير • ثم يأتى الحسل
بعد ذلك • وكان من ضمن الواردات بعض الكماليات مثل العطور والفناجين
وغيرهما • اما الحيوانات الواردة فاهمها الخيول والحمير • اما صادرات القلايات
فقليلة اهمها الابغار وبعض المنتجات الزراعية •

وان انتعاش الحركة التجارية الى انتشار الشقة - قطاع الطرق - في تلك
المنطقة • واضطرو الحيش الى اقامة دوريات في الطرق لحراسة القوافل التجارية •

يتحد، نشاط الشفقة القوافل واصبحوا يهاجمون القرى في كل من البلدين مثل
 هجومهم على التومات • وحدث ان ذهبوا قافلة بها مبلغ ثمانمائة ريال • واشتهر
 " كدانا مريخ " كخطر اولئك الشفقة في تلك المنطقة • وكان مصدر ازعاج كمسبر
 للحبيش انفسهم • وبالرغم من ان نشاط الشفقة قد ادى الى عوقلة الحركة التجارية
 الا انه كان مثمرا لانتعاش تلك الحركة وازدحام الطرقات بالقوافل •

وتصورت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في هذه الفترة تطورا ملحوظا •
 وكان لتدهور الاحوال الداخلية في دولة المهدية وتزايد الخطر الخارجى اثره على
 الخليفة اذ تنازل كثيرا عن التشدد المدعى اذى كان سعة لعلاقته بالحشمة
 في الفترات الاولى من حكمه • فشهدت السنوات الاخيرة من عهده محاولات جادة
 لاقامة نوع من السلم او قل الصلح مع الحشمة • فنشطت حركة اليهود التي كانت
 ترون وتتقدو بين الخليفة والنفس • على ان الحبيش كانوا اكثر ويا بضرورة احلال
 السلم خصموا قبيل سداهم وبعد انتصارهم على الايطاليين •

وبدأت تلك المفاوضات برسول من قبل منليك يدعى محمد لطبيب الجبرتي جاء

يحمل رسالة شفوية إلى الخليفة فيها عرضا للصلح • وغادر محمد الطيب بملاط منليك في يوليو ١٨٩٥ (صفر ١٣١٣) بعد أن قابل منقشا (ابن يوحنا) • وأعاد الخليفة رسول منليك إليه برسالة يطلب فيها من منليك أن يحرر مذاتية رسمية بختمه " بالتماس ذلك (السلم) للنظر فيها " ^{٤٩} • ويبدو أن محمد الطيب مرض في الطريق ولم يتمكن من مقابلة منليك فورا وفي ذلك الاثناء انتصر منليك على الايطاليين ^{٥٠} • فأرسل الرئيس بتوادد منقشا رسالة سريعة إلى الخليفة تباينة عما من منليك جاء فيها " والان فإن الامبراطور يرغب في السلام والعلاقات الاخوية وممن الإرجح أن نكتب له حالا خطابا وديا " ^{٥١} • واتبعها منليك برسالة من عنده

٤٩ الخليفة إلى منليك ، ١٣ صفر ١٣١٣ ، مصرية ، ١ / ٣٤ / ١٢ / ٢٢

يرى هولت أن هذه الرسالة حادة النغمة • ولكن إذا قارناها مع رسائل الخليفة نرى فيها تنازلا كبيرا من جانبه •

Holt, The Mahdist State, pp. 196-7

٥٠ محمد الطيب إلى أحمد فضيل ، ١٣١٣ (بقية التاريخ غير مذكور) ، مصرية ٢ / ٤١ / ٨ / ٧٨

٥١ الرئيس بتوادد منقشا إلى الخليفة ، ١٨٩٤ (١٣١٢) مصرية ، ١ / ٣٤ / ٦ / ٢١٩

حملنا رسولا خلافا يدعى الحاج احمد الجبرتي حتى يسمع الخليفة " كافة الكلام من لسانه " . يقول منليك في تلك الرسالة الشهيرة " ومن جهتي انا احب السلم والامان والمحبة كما (اخبرتكم) قبل الان والآن كذلك احب ان اعيش بالصلح والمحبة مع جيراني الامريكيين ولا اريد معهم حرب ولا اكره بل المحبة الشائبة الحقيقية التي هي طيبة - احب ايديا ان اعيش بالمحبة مع الدول الذي يحيد من بلادنا - ولكن العدو الذي يجي على من دون حق ارجعه بقوة ربنا - ولا اريد ان اموت من حدود الثيوية وادور خناقهم مع الناس " ^{٥٢} وكتب بتوارد منقشا الى الخليفة موكدا ذلك المعنى قائلا " وارجو ان الفت نغلك لتكون على حيدر من الانجليز الذي دخلوا دنقلا في الشتا ، ان عدوك عدونا وعدونا هو عدوك ونحن يدنا واحد في اتحاد متين " . ^{٥٣}

فبعث الخليفة في سبتمبر ١٨٦٦ (ربيع اخر ١٢١٤) وفدا برئاسة محمد عثمان

حاج خالد معه عبد الرحمن الجبرتي ومحمد السنوسي وادم الجزولي وعبد الرحمن

٥٢ منليك الى الخليفة، ١٦ ابريل ١٨٦٦ (٣ القعدة ١٣٠٣) ، مصرية ١ / ٣٤ / ١٦ / ٢٢١

٥٣ بتوارد منقشا الى الخليفة ، ١٢ يوليوز ١٨٦٦ (٦ صفر ١٣١٤) ، مصرية ١٢ / ٣٤ /

المعظمين والبشرى الجبرتي • وتحرك الوفد في ٢٧ أكتوبر (٢٠ - جماد أول) من
 التمدد إلى للقلبات حيث تخلف بعض أعضائه • ثم ساروا إلى شلقا وبعد ذلك
 شمسروا إلى ليو (Liou) وهي عاصمة الراير. منقشة • وهناك تأخر الرئيس
 شيوا لعرض محمد عثمان حاج خالد وبعض مرافقيه وقد أكرم منقشا الوفد غاية الكرام
 ومسيره بمقدونهم وهو في رأي ولد حاج خالد " صاحب الاهتمام الاساسي في عقد
 الصلح ليوقف غارات الانصار " ^{٥٤} • وكانت البعثة تقابل في طريقها إلى منليك
 من اديس ابابا بالحفاوة • حتى كذا مربعا على قطر يحتفلون كبراهم مسائلات بالخيول
 والبغال ويشتملوا غشنا من يوايمنا على رؤسهم ويحملونا قهقري على يدايهم
 ويوايمنا يطلقوها سدا تمنى • • • وعند وصول الوفد إلى اديس ابابا تأمله منليك
 " بعداكر الخاصة " • فسلم محمد عثمان خالد رسالة الخليفة إلى الامبراطور •
 وتختلف هذه الرسالة عن رسائل الخليفة السابقة في روحها وطريقة عرضها •

٥٤ محمد عثمان حاج خالد إلى الخليفة ، ٢٧ جماد آخر ١٣١٤ ، مصرية ، ١ / ٣٦ / ٧ / ٥

فالخليفة في تلك الرسالة يقبل مبدئيا العرض المقدم من منليك لعقد الصلح بينهما
ولكن الخليفة ايدى تحفظات معينة . فيبرير^{٥٠} أكد لمنليك بأنهم لاصلة له بالاوربيين
وليس بينهم وبينهم الا الحرب ، ويطلب من منليك ان يكون كذلك وان يمنع جميع
الاوربيين من الدخول الى بلاده . فلذا وافق منليك على ذلك عليه ان يرسل
شخصا من طرفه " لاعتقاد الصلح " . فتلقي منليك الرسالة " بغاية السرور باقبال
والانسراح وجميع مقاصد خليفة المملى وافق عليها موافقة الطباي الصحاح " ^{٥١} . وكان
منليك متحمسا لعقد الصلح ويرى ان الخلافات انديوة لانهم كثيرا بل لترح الشيا
مواصلات منتظمة بين البلدين .

وقابلت البعثة قبل عودتها الراس منتقيا ابن يوحنا وقابلت الراس عدا وعات
تحمل رسائل منهم جميعا الى الخليفة . وصحبتهما كذلك بعثة مسلم من منليك مكونة

٥٠ الخليفة الى منليك ، ربيع اخر ١٣١٤ ، مبدية ، ١ / ٣٤ / ١٢ / ٢٤

٥١ محمد عثمان حجازي ، جاهد الى الخليفة ، ١٨ شوال ١٣١٤ ، مبدية ، ١ / ٢٢ / ١٠ / ٢٤

من عشرة اشغال وفي ابريل ١٨٩٧ (نذاية شرال ١٣١٤) وصلت البعثتان الى
 القنارف في طريقهما الى اندرمان . وراى ولد حاج خالد ان تكرم بعثة عليك
 بالمستوى الدائر فاقترح على الخليفة ان يذبح لها كل يوم " خروف " وهي فسي
 الطريق . كما راى ان يتاخر بالبعثة حتى تصل الى اندرمان مع " عرصة الحديد " . . .
 ليرى (رئيسنا) مايرغبه ويرهبه " . وفي مايو (مطلع ذي الحجة) وصلت البعثة
 الى اندرمان وسلمت الرسائل الثلاثة .

وكان رد عليك على رسالة الخليفة واضحاً . فذكر له انه لا توجد بينه
 وبين الاوربيين اى علاقة ماعدا التجارة والتي هي ضرورية للحبشة وللشودان معاً وان
 ايقافها سيكون اكثر ضرراً للبلدين . واعرب عن استعدادك لقبول اى شروط اخرى
 وانك مستعد لتقديم اى مساعدة من - مال وعطاء فى حالة اى غزو اوربي على
 السودان ^{٥٧} . وجاء فى رسالة منقولة * فالآن حيث هارت المسحة ستكون اخطر

٥٧ اقوال محمد عثمان حاج خالد التى ادلى بها للمخابرات البريطانية بعد

ولقعة كبرى ، ١٨٩٨ (١٣١٦) ، مبدية ، ١ / ١٥ / ١٤٣ - ١٥٠

من الشر الذين فات " وايدى استعدادهم للتعاون مع الخليفة ^{٥٨} . وكتب السراسر
 . لار فائلا " ونحن جميعا الاثيوبيين والسودانيين ابناء بلد واحد وارسلست
 نر من تواليعى لتأكيد النجبة وبعد هذا لجعل الطريق مفتوح للمستقبل المواصلات
 بيننا " وبعث للخليفة بحصان وبغل كعنوان لتلك المحبة ^{٥٩} . على ان تلك البعثات
 السودية لم تنعز عن عقد اى معاهدة بين البلدين ^{٦٠} . ولعل الغزو البريطانى قد
 شغل للخليفة ولعلم كذلك قد صرف منليك عن الخليفة .

وطالب الخليفة من منليك ان يعاونه فى الخطايع ولد تور الخورى حاكم بنر شفقول
 الذى نمر على سلطة الخليفة . فوجدوا منليك فرصة لينحرف بحدوده غربا نغزو

٥ . منقشا يوحنا الى الخليفة ، ١٣ سبتمبر ١٨٩٧ (١٠ رمضان ١٣١٤) ، مديية ،

٢٢٧ / ١٦ / ٣٤ / ١

٥ . تلالا هيماون الى الخليفة ، ١٨٩٧ (١٧١٥) ، مديية ٢٣٠ / ١٦ / ٣٤ / ١

٦٠ . يقول عبد الله حسين انه فى عام ١٨٩٧ أبرمت معاهدة بين منليك والخليفة

وهذا عالم يحدث بتاتا . راجع ،

عبد الله حسين ، ص ٢٥١

النيل الأزرق • كما ارسل حملة أخرى نحو النيل الأبيض بخون وقف المزحف
 الاوربي على النيل • وكسب للخليفة موزعا تلك الخطوة بقوله " اخبرك ان الاوربيين
 الموجودين حول النيل الابيض مع الانجليز قد خرجوا من الشرق والغرب وقصدوا
 ان يدخلوا بين بلادى وبلاك ... والآن امرت جديشى ان يوصلوا الى النيل
 الابيض، ولربما نسمع خبر من التجار او غيرهم تفكر فى شىء اخر ولذلك كتبت
 اليك لكي تعرف القصد وانت من جهتك تحفظ ولا تدع الاقترنج يدخلوا بيننا وتشد
 لانه اذا دخلوا الاقترنج فى وسطنا يصير تعب عظيم لنا وانذا كان يحضر
 عندك لحد من الاقترنج عابر طريق اعمل كل اجتهادك حتى تصرفه بالمحبة" ٦١
 وعندما اخذت جيوش كشتى تقترب من امدرمان بحث عليك برسالتين الى
 الخليفة يطلب منه ان يفتح عينيه من الاوربيين • كما ارسل له علما فرنسيا لكي

٦١ مديونية ، ١ / ٣١ / ١٦ / ٢٥١ • (هذه الرسالة بدون عنوان وبدون تاريخ
 ولكن من الواضح انها من عليك الى الخليفة وانها كتبت حوالى

يرفعه في حدوده اذا هاجمه الانجليز • ولكن الخليفة رفض رفع العلم واعاد

٦٢
 بن محمد الطيب الى عليك •

نهاية دولة الممدية في منطقة القضايف - القلايات

عندما احتل كنشتر دنقلا طلب الخليفة من احمد فضيل ان يحضر بجيشه الى
 امدران لمعالجة اي تطورات غير مرتقبة • وفي ذلك الاثناء تم احتلال دنقلا
 بواسطة الانجليز وانسحب منها الايطاليون • فارجع الخليفة احمد فضيل الى القضايف
 لمعالجة الخطر الذي ظهر في الشرق واخذ منه رايي فضل الحسن وعبد الله
 حامد واذنهم الى جيوش محمود ولد احمد • وعندما اقترعت جيوش كنشتر من
 امدران راي الخليفة ضرورة حضور احمد فضيل • فخادر القضايف بجيشه وترك
 خلفه حامية بقيادة النور عنقرة وسعد الله عز الدين • وفي طريقه الى امدران علم
 احمد فضيل بمقتوليا فعاد اذ راجع الى القضايف • وانضم الخليفة باحمد فضيل

من مخبائه بدار الجوامعة وحته على الصعود واخبره بأنه سيعيد الكرة - عتبر .
٦١
يفتصر الدين .

لما كشفتم فقد رأى ان تراجع احمد فضيل بذلك الجيش الى القضايف سيكون
تهدد خطورة • فامر الكولونيل بارسونز (C.S.B. Parsons) القائد
البريطاني لحامية كمالا بان يتحرك الى القضايف • كما ارسل لحد معارفيه - هنتر
(H. Hunter) الى النيل الازرق لمساعدة تراجع احمد فضيل ثم للتقدم الى سنار
والنرويجيين واحتلالهما • لما بارسونز فقد اتجه الى القضايف واحتلها في ٢٢ سبتمبر
(٦ جماد اول ١٣١٦) بعد ان خرجت حامية الانتصار بقيادة للنور عنقرة وسلمت
نفسها • واتجه احمد فضيل الى القضايف بعد ان رفض كل العروند التي
قدمت له للتسليم • وفي ٢٨ سبتمبر (١٢ جماد اول) هاجم القضايف ولكن الحامية
البريطانية المتحصنة في القضايف نجحت في صد الانتصار لتراجع احمد فضيل الى

٦٢ الخليفة الى احمد فضيل ، (بدون تاريخ - ولكنها كتبت بعد واقعة كوري) ،

٦٤ . بار وظل يرسل الدوريات من هناك لقطع اتصال الجيوش بكسلا .

فارسل كشمير تعزيزات إلى القصارف بقيادة الميجر رندل (Rundle)

بهدف زعزعة احمد فضيل من موقعه . فوصل الجزء الاول من فرقة رندل إلى

القصارف في ٢٢ اكتوبر (١ جماد ثانى) بقيادة كولنسن (J. Collinson)

عند ذلك ادرك احمد فضيل ضعف موقعه وخطورة بقاءه في عمار فخادرها فسي

٢٣ اكتوبر (٢ جماد ثانى) قلعدا اللحاق بالخليفة . فسار عن طريق بيلة - الرهد

إلى الروجيرد في الطريق هجره ثلاثة آلاف من جيشه وانضموا إلى السلطنة

الجديدة ٦٥ . وهكذا انتقلت السلطة المؤدية في القصارف ٦٦ .

أما الثورات فقد قام الجيش باحتلالها عندما علموا بفزاية الخليفة فسي

أمددوا . وكسب بتواند منقشا إلى القمندان الانجليزى في القصارف قائلا " لقد

٦٤ نعم شقير ، من ١٢٩٦

٦٥ يونان ليب رزف ، من ١٧

٦٦ أما احمد فضيل فبعد مخادرتة القصارف انجى إلى الروجيرد . وهناك كان
هتترقد ترك حاميه بقيادة لوييس . وعندما كان احمد فضيل يعبر بجيشه ==

دخلنا القلايات بأمر الملك منليك والذي يرغب في خلق علاقات حسنة معكم بغرض
فتح الطريق التجاري وإنشاء علاقات تجارية بين السودان والحبشة • وقال لي منليك
أنه لا يوجد أي شيء سوى المحبة بين الحبش والانجليز^{٦٢} ثم دارت مناقشات بين
الانجليز والحبش انتهت بإخلاء الحبش للقلايات ودخولها للجيش الانجليزية بقيادة
مارسونز في ٧ ديسمبر (٢٣ رجب) •

وبالرغم من حل عام ١٨٩٩ حتى كانت الدولة المهدية قد انهارت في كل المنطقة
و فرضت السلطة الاستعمارية الجديدة ظلها على كل منطقة القضايف - القلايات •

== النيل عن طريق شلالات الدمازين هاجمه الوبس وأسربقة جيشه الذي كان
على الضفة الشرقية وأوقع خسائر فادحة في البقية التي كانت تعبر النيل • وفي
٢٦ ديسمبر تمكن أحمد فضيل من عبور النيل مع البقية الباقية من جيشه فأتجه
بشم غربا إلى النيل الأبيض • وعند عبوره للنيل الأبيض التقى بالوابور الذي
كان عائدا من فشودة فسلم جزء منه جيشه إلى الانجليز • أما أحمد فضيل فأتجه
غربا للحاق بالخليفة • وعندما أرسل كشتى حملة للقضاء على فلول المندمية
بقيادة الخليفة هاجمت تلك الحملة أحمد فضيل في الطريق • وفي ٢٤ نوفمبر
لحق أحمد فضيل مصرعه مع الخليفة في أم ديهكرات •

٦٢: نيوادد منقدا إلى قعدان القضايف ، ٢٤ يناير ١٨٩٩ (١٢ رمضان ١٣٢٦) ،
ميدية ، ١ / ٢٤ / ١٦ / ٢٥١

دولة المهدي في منطقة القضايف - القلابات

تلخيص وتقديم

تدور هذه الدراسة حول الدولة المهديّة - سياستها الداخلية وسياساتها الخارجية في منطقة القضايف - القلابات • هي دراسة منطقة او حالة معينة (case-study) في الدولة المهديّة • فها هي النتائج والاتجاهات التي ابرزتها هذه الدراسة فيما يختص بتركيب الدولة المهديّة وعلاقتها بامبراطورية الحبشة وكيف قادت تلك السياسة في اتجاهاتها العامة الى نهاية دولة المهديّة •

ماهي طبيعة الثورة المهديّة ؟ الثورة المهديّة ثورة شعبية بدأت بدعوة بسيطة خلفت في جزيرة ابا وسرعان ما سرت في كل أنحاء البلاد سريان النار في الرشيم ، وماهي الا سنوات ثلاث لو يزدن قليلا حتى اندكت كل معقل الحكم التركي - المصري وانهارت قلاع الواحدة تلو الاخرى • هي هذا ثورة شعبية لان اغلب قطاعات الشعب اشتركت فيها بحض اختيارها • فالمهدي لم يكن موجودا في كل أنحاء السودان وبالرغم من ذلك استجاب الناس لدعوته • كان يكفي أن يرسل المهدي رسالة من عنده أو رسولا من لدنه حتى يقبل الناس تلك الرسالة أو يلتفتون حول ذلك الرسول • لقد كانت استجابة تلقائية وفعالة وحاسمة • وفي

بعض الأحياء كانوا يلتفتون حول أى شخص يرفع راية المهدية بينهم • ففى منطقة
القضارف - القلايات نلاحظ هذه الظاهرة بوضوح • فالثورة هناك قامت اما على اكتاف
دعاة ارملة المهدي من جانبهم مثل الحسين عبد الواعد ، او دعاة قاموا بمحضر
اختيارهم فالتف الناس حولهم مثل محمد ارباب • فلماذا هذه الاستجابة السريعة،
وما الذى قاله المهدي للناس حتى خفوا يستظلون براية المهدية ويدافعون عنها ؟
الذى فعله المهدي هو أن جعل من الدين أداة ثورية أى حول القوانين
الدينية الى ايدلوجية ثورية • وهو بهذا استطاع ان يجعل من الدين عاملا موحدا
لمختلف قطاعات المجتمع التى كانت تترجح تحت نير الحكم التركى - المصرى • ان
تقسيم المهدي للمجتمع الى مؤمنين وكفار واعتبار اتباعه هم المؤمنون واعتبار غيرهم
من الاثراك والفئات الاخر هم الكفار ، ان هذا التقسيم وضع حدا فاصلا بين
الفئات التى يدعوها للثورة والفئات الرجعية • وقدم المهدي بذلك فكرة ثورية
لأنصاره مستمدة من ثقافتهم قريبة الى عقولهم ووجدانهم • ولذلك فان فكرة الجهاد التى
لخص فيها المهدي عقيدته الثورية هى التى دفعت الناس فى مختلف أنحاء البلاد
لحمل السلاح والثورة ضد الحكم التركى - المصرى • ولذلك فالحديث عن الدوافع

الدينية والاقتصادية والسياسة كل بمعزل عن الآخر لا يهر بحق عن طبيعة الحركة
 المهديّة • كل هذه الاسباب موجودة في احشاء الحركة وكل واحد منها يكمل
 الآخر • والتناقض الذي قد يبرزه بعض الكتاب حول هذه الاهداف هو نسي
 الحق تناقض كلّي في طبيعة تناولهم لاهداف الثورة لا في طبيعة الثورة نفسها •
 على ان المهدي لم يعيش طويلا ليشهد الانتقال من مرحلة الثورة السّي
 مرحلة الدولة في تاريخ المهديّة • على ان المهدي كان قد تعرض لبعض القضايا
 النظرية الخاصة بتنظيم الدولة تعثت في كتاباته حول الخدمة وطريقة توزيعها
 وحول الزكاة وطريقة جمعها • وشهدت الاشهر الاخيرة من حياته بروز بعض
 القضايا المالية في منطقة القصارف في القلايات وفي البقاع الاخرى من السودان ، وقد
 تناول تلك القضايا بالشرح واقترح لها الحلول اللازمة • كما وضع المهدي علمي
 ايام حياته اللجنة الاولى في بناء جيش نظامي تابع للدولة وكان تكوين ذلك
 الجيش تابع من سياسة المهدي المالية • فالمهدي اذ وضع الاسس النظرية للدولة
 المهديّة وعالج بعض القضايا العملية معتمدا على تلك الاسس مما جعلها مشتملا

يحتذى به ، على^{أن} تلك الاسس وتلك الحلول كانت محددة وفي نطاق ضيق
 مما رمى على عاتق الخليفة مسئولية التقصى للقضايا الادارية لدولة المهديسة
 في مدى ثلاثة عشر عاما .

انضم للشورة المهديسة في سنواتها الاولى مجموعات مختلفة من قطاعات
 الشعب - انضم اليها الشرق والغرب والشمال ، اولاد العرب واولاد الهند ،
 زعماء القبائل وقادة الطرق الصوفية ، ... الخ . ولكن بعد انهيار الحكم
 التركي - المصري واستقرار الدولة الجديدة اخذت الدولة المهديسة ، شأنها
 شأن أى دولة اخرى ، تلفت حول مجموعة معينة من ذلك الخليط العربي .
 وكانت تلك المجموعات التى التفت حولها الدولة هى المجموعات التى لها مصالح
 اكبر من غيرها فى التغيير الجديد - المجموعات التى فتح لها انهيار الحكم
 التركي - المصري ابوابا جديدة لتلج منها الى افاق أكثر رحابة فى حياتها
 ومعيشتها . ولعل ترمذ الاشراف الاول ورفضهم الاعتراف بأحقية خلافة عميد
 الله التعايشى كان هو الناقد الذى أعلن بداية الاستقطاب فى الدولة المهديسة

واضعاً اولاد العرب أو البقارة وبالذات التعايشة في شق ، واولاد البلد في شق آخر . فسياسة الخليفة عبد الله طوال سني حكمه كانت تأكيداً لهذا المبدأ ، مبدأ الولاء لحكمه وحكم أهله من التعايشة وقبيلته البقارة .

فتقسيم الدولة الى عمالات وتحديد حدود كل عمالة عن الاخرى كان يخضع للولاء للخليفة الذي كان رمز السلطة الجديدة . ولعل عمالة القضايف - القلايات توضح هذا الاساس خير توضيح . فقد ظلت حدود هذه العمالة لايمتقر لها فسرار حيناً تقل وحيناً اخر تزيد تبعاً للمحامل أو الامير الذي يعين بها وتبعاً لاحتياجات الدولة فيما يختص بسياساتها نحو القبائل الواردة من الغرب . ولعل موقع القضايف - القلايات بين كسلا والجزيرة قد ساعد في اضطراب حدودها طوال عهد الخليفة . وتخير الامراء والقواد كان أيضاً يعبر وفق تلك السياسة . فالشخصيات القيادية في المنطقة من اولاد البلد والتي كانت موجودة في بداية الثورة المهدية اخذت تختفي الواحد تلو الآخر ، فاختفى الطريفي ، العسوي ، المرصى ، محمد عثمان حاج خالد ، وحل محلهم قواد من التعايشة أو من

سم أكثر قربا للخليفة من التعاضد فتوالى على المنطقة يونس الدكيم وحمدان والنزكي وأحمد علي وأحمد فضيل وظهرت شخصيات مثل مساعد قيدوم ، حامد ولد علي ... الخ . نفس التحول حدث في الجيوش المربطة في القلايات وفي القصارف . فامراء الاربعاء ورواس "الميات" بل الجنود انفسهم تحولوا تدريجيا الى تلك الفئات من المجتمع ذات الولاء للخليفة والتي لها / أكثر من مصلحة غيرها في التحول الجديد . هذه هي السمة الاولى للدولة المهدية .

المظهر الثاني للدولة كان سياستها الاقتصادية المتمثلة في الغنيمة ، الزكاة ، السياسة الزراعية والتجارة . اما الغنيمة فكانت من الدوافع الرئيسية للجهاد والجهاد هو المحرك للحروب الداخلية والخارجية ضد اعداء الله . ولعل منطقة القصارف - القلايات كانت أكثر تعرضا لاغرام الغنيمة من المناطق الاخرى لانها كانت تزخر بتلك الحروب بالذات الحروب ضد الحبشة . ولذلك كان الصراع حول الغنيمة وامتلاكها أكثر حدة في هذه المنطقة من المناطق الاخرى وكانت الغنيمة سببا في سقوط هذا الامير وذاك .

أما الزكاة أو حقوق الله كما كانت تعرف في دولة المهديّة ، فقد حددها المهدي وفق الأسس المتعارفة في الفقه الإسلامي ، وسار الخليفة على نهج المهدي مع بعض العرونة التي تقتضيها الظروف المتجددة في الدولة . إلا أن الطريقة التي كانت تجمع بها الزكاة كانت تمثل مشقة على الناس وعقبا لهم في حياتهم وكثيرا ما اضطر الخليفة لرفع العمال عن كاهل الناس . بكل أن الخليفة كان يعنى الناس أحيانا من حقوق الله هذه حتى لا تشكل حاجزا بينهم وبين استمرار حياتهم اليومية أو تعوقهم عن القيام بمهام الزراعة .

وقد اهتم الخليفة بالزراعة إلا أن سياسته الزراعية كانت تخضع للظروف السياسية والحربية . فصراعه مع القبائل مثل الشكرية والضبانية وترحيل أهله للنعايشة من الغرب ووقف الجزيرة لإطعام الملازمين كلها أثرت بشكل مباشر على الزراعة . كما أن الجيوش المربطة على الحدود فاقمت من مشكلة الغذاء . ويمكننا أن نقول إذا ، أن مجاعة ١٢٠٦ هـ كانت نتيجة حتمية لهذه السياسة . وبعد عام ١٢٠٦ هـ اضطر الخليفة لتعديل سياسته الزراعية فأعطى اهتماما أكبر

باستقرار القبائل ومشاركتها في عملية الزراعة وإنتاج الطعام .

• وكان موقف الخليفة واضحا بالنسبة للتجار الوافدين من الشمال من مصر .

فمنو يعتبرهم جواسيسا وكان يشك كثيرا في نواياهم ولذلك لم يشجع التجارة مع

مصر . على أن هذا الشك لم يقتصر على التجارة مع مصر فحسب ، بل امتدت

بعض ظلاله لتأثر على التجارة مع النوبة . ولكن موقف الخليفة منها لم يكن

متشددا بقدر تشدده فيما يختص بجهة الشمال ، ولذلك اتعفت سياسة الخليفة

التجارية في جهة القلايات بالتأرجح فحينما يسمح باستمرارها وحينما آخر ينهسي

عنها ويحذر من المكاداة والنقادة . على أن العلاقة التجارية ظلت دائما في

تصاعد حتى وصلت مرحلة فكر فيها الخليفة أن يدخل بنفسه في العملية التجارية .

وبالنسبة للسياسة القبلية فإن منطقة القضايف - القلايات تمثل نموذجا

حيا لتلك السياسة . ففي هذه المنطقة توجد قبيلة الشكرية وقبيلة الضبانية وهما من

أكبر القبائل السودانية في ذلك الوقت . لقد وقعت هاتان القبيلتان موقعا مؤيدا

للثورة المعادية في سنواتها الأولى وإن كان تأييدهما لم يخل من تردد . ولكن

ما أن بدأ الخليفة يمارس سياسته الداخلية الخاصة بالاعتماد على أهله من التعايشة

وعلى البقارة عموماً ، وما أن وضع لهما الاتجاه الجديد للدولة الفتية ، وما أن بدأت مصالحهما الاقتصادية الموروثة من العهد التركي - العصري تنقلص حتى جنح زعماء قبيلتين للمعارضة غير مقدرين للتحولات الجديدة ومراكز القوة المستى فرضت نفسها على مسرح الحياة السياسية • فاضطر الخليفة للقضاء عليهما عبر مراحل مريرة من الصراع انتهكت دولة المهديدي سياسياً واقتصادياً • وما كان للخليفة أن يفعل غير ذلك والا لاصبح مركزه وخلاقته نهبا للاطماع السياسية والتحديات القبلية التي اكتنفت الدولة المهديدي بعد وفاة المهدي •

على أن الخليفة بفطرته السياسية أدرك خطورة المضي في هذا الطريق الوعر - طريق معاداة القبائل التي تجيد عطية الزراعة • فرأى أعادتها إلى قواعد الاقتصادية في مناطق الزراعة بعد تجريدتها من قوتها السياسية والعسكرية • ولكن تلك العودة كانت عبر بحر من الدماء هو الذي خضب الدولة المهديدي بذلك الصورة الدائمة التي جعلت الكثير من السودانيين يتحون فيها على الخليفة باللائمة ويحطونه نتيجة الصراع الحاد بين أولاد العرب وأولاد البلد •

وكان من نتيجة تلك السياسة القبلية في منطقة القضايف — القبائل
 ان انقسمت قبيلة الشكرية الى شقين ، وكان من نتائجها ايضا ان اضعفت
 قبيلة الضبانية حتى فقدت وجودها المستقل وذابت بين الشكرية وقبيلة بكر
 على ايماننا هذه .

وبما تقدم يمكننا ان نلمح لخطوط العريضة للتركيب العسكى لدولة
 المهديّة ، اى الجيوش التى تكونت تحت ظلها وطبيعة تلك الجيوش . فقد
 كانت الدولة المهديّة منذ قيامها وحتى نهايتها دولة ذات طابع عسكرى . فقد
 كان لكافة اهل الدولة المهديّة ان لم يكن كلهم موادا عسكريين يسيطرون على
 مجموعات من المقاتلين . فالصراعات الداخلية والخطر الخارجى فرضا على الدولة
 المهديّة هذا الطابع . فمماذ ان أعلن المهديّ دعوته فى قدير وحتى هزيمة
 الخليفة فى كبرى ، عشرين سنة كانت الدولة المهديّة فى حالة حرب ،
 ما ان تنتهى من معركة حتى تدخل من اخرى يدفعها حماس الدعوة والغنمة
 فى يادى الامر وتدفعها للرغبة على المحافظة على كيانها داخليا وخارجيا ففى

نهاية الأمر ، وقد فرضت هذه الطبيعة العسكرية ظلا قاسما على الدولة المهديّة أدّى الى ذلك الاستقطاب الذي قسم الدولة الى شقين ، كما أدى/التدهور الاقتصادي الذي أدى الى ازدياد تدهورها .

وكانت من نتيجة ذلك الصراع أن تكونت في ظل الدولة المهديّة جيوش عديدة أصبحت تتعطل في نوعين من القتالين : الجهادية وهم الجنود المحترفون حملة الاسلحة النارية ، واولاد العرب من القبائل الموالية لحكم الخليفة والتي حملت معها من مواطنها طبيعتها الحربية واسلحتها . وكان لهذه الجيوش وضع ممتاز في المهديّة . اما للذين ظلوا خارج هذا الاطار فهم مواطنون من الدرجة الثانية .

وعليه فان السياسة الادارية والاقتصادية والقبلية والعسكرية قادت ، وبالضرورة ، الى اضعاف كيان الدولة المهديّة وجعلها عرضة للغزو الاستعماري الذي كان يترصد بها خلال مايقرب من حقبين . فعادنا عن السياسة الخارجية لدولة المهديّة والتي كانت تمثل المظهر الثاني لنشاطها .

كانت سياسة دولة المهديّة سياسة قتالية لاتقيل حلا وسطا بين امّ من
والكافر . وكان من الممكن ان تكون الدولة المصريّة والانجليز الذين كانوا يحتلونها
هم الاعداء الاساسيين لدولة المهديّة . ولكن دخول الحبشة منذ السنوات الاولى
للمنورة المهديّة بجانب الحكومة المصريّة خلق جبهة جديدة على شرق الدولة
المهديّة ، وطبقت الدولة المهديّة قانونها القاسى على الحبشة القانون الذى
يفرق بين امّ من والكافر تقريرا حادا . ويرى سميرونوف ان دخول
الحبشة فى الصراع كان بايعاز من بريطانيا التى رأت ان القضاء على الدولة
المهديّة لا يمكن ان يتم بدون اضعافها وتهاكها بالحروب المستمرة^١ . وبالرغم
من ان هذا الرأى يحتاج الى دراسة عميقة وهو يدخل ضمن السياسة البريطانيّة
فى الحبشة فى اواخر القرن الماضى ، الا انه من الممكن ان نلاحظ بوادر هذه
السياسة دون الالتزام بها . فخطاب الامبراطور يوحنا الى الخليفة السنى

١ سميرونوف ، ص ٨٣-٩٣

يخبره فيه بانصال الانجليز به وظلمهم له بأن يدخل في حرب مع المهدية
 يشير الى هذا الاتجاه • وبما كانت دولنع الحبشة فان دخولها في الصراع
 ضد الدولة المهدية اضعف من تلك الدولة وزاد من مشاكلها ثقلا على
 ثقل •

على ان السياسة الخارجية للدولة المهدية تجاه الحبشة لم تدبر في
 خط مستقيم فقد اختلفت فترات صعود وهبوط • بدأت العلاقة بالحرب وصارت
 في هذا الطريق حتى وصلت قمم في معركة القلايات الكبرى التي ^{قتل} بهذا الملك
 يوحنا ثم تلتها فترة طويلة من المناوشات والحروب الصغيرة والغزوات تتخللها
 بعض الاشرافات السلمية والعلاقات التجارية • وانتهت الى مفاوضات بغرض
 احلال السلم بين البلدين والحصول الى نوع من الاتفاق حال دون الوصول
 اليه الجيوش الزاحفة من الشمال •

اما ايطاليا فقد لعبت بحق دورها في تشتيت المجهودات الحربية
 لدولة المهدية • وبالرغم من ان الدولة المهدية لم تصطدم لصطداما عنيفا مع

إيطاليا ، إلا أن الوجود الإيطالي قد لزعج الخليفة كثيرا • وكانت كسلا نقضة
 من نقاط الانطلاق التي دخل بها الجيش الانجليزى - المصرى السيسى
 السودان •

إن منطقة القصارف - القلايات تمثل فصلا هاما من فصول الدولة
 المهدية • وقد كانت مسرحا هاما لنشاط داخلى وخارجى ولعظمتنا بحق مثلا
 حيا لعله يعيننا فى تفهم الطبيعة الكاملة للدولة المهدية •

المصادر

١ - وثائق المدينة^١

(١) القسم الأول

- ٤ / ١ رسائل الزاكي طعل أبي الخليفة
- ٦ / ١ رسائل حامد علي أبي الخليفة
- ٢٠ / ١ للرسائل المتبادلة بين الخليفة واحمد فضيل
- ٢١ / ١ لرسائل المتبادلة بين الخليفة واحمد فضيل
- ٢٢ / ١ رسائل يونس الدكيم لابي الخليفة
- ٢٥ / ١ رسائل للخليفة الي حمدان ابي عنجة
- ٢٦ / ١ رسائل للخليفة الي حمدان ابي عنجة
- ٢٧ / ١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف والزاكي طعل واحمد علي من طرف لآخر
- ٢٨ / ١ للرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف وحمدان ابو عنجة ولحمد علي من طرف لآخر

١ لم تذكر الأرقام التفصيلية للوثائق لكفاً بالتفاصيل الواردة في التولموش والخاصة بكل وثيقة . فالأرقام الأولى تمثل نمرة المجموعة كلها والأرقام الثانية تمثل المجموعات الصغيرة التي تشمل عدداً من الوثائق .

٢١ / ١ رسائل حمدان ابو عنجة الى الخليفة

٢٤ / ١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف وحاكم الحبشة والايطاليين

من طرف الخمر

٤٢ / ١ رسائل الخليفة بعد سقوط الخرطوم

(٢) القسم الثاني

١ / ٢ قوائم بالجنود

٥ / ٢ رسائل من الخليفة الى اشخاص مختلفين

٦ / ٢ مختلفة

" ٧ / ٢

" ٨ / ٢

" ١٠ / ٢

" ١١ / ٢

" ١٣ / ٢

" ١٥ / ٢

" ١٦ / ٢

" ١٧ / ٢

" ١٨ / ٢

مختلفة	١٦ / ٢
"	٢٠ / ٢
"	٢١ / ٢
"	٢٢ / ٢
"	٢٣ / ٢
"	٢٣ / ٢
"	٢٤ / ٢
"	٢٥ / ٢
"	٢٦ / ٢
"	٢٧ / ٢
"	٢٨ / ٢
"	٢٩ / ٢
"	٣٠ / ٢
"	٣١ / ٢
"	٣٣ / ٢
"	٣٤ / ٢
"	٣٥ / ٢

مختلفة	۳۶/۲
"	۳۷/۲
"	۳۹/۲
"	۳۱/۲
"	۴۰/۲
"	۴۱/۲

(۲) دفاتر الصادر

۱	دفتر صادر
۲	دفتر صادر
۳	دفتر صادر
۴	دفتر صادر
۵	دفتر صادر
۷	دفتر صادر
۹	دفتر صادر
۱۱	دفتر صادر
۱۲	دفتر صادر
۱۳	دفتر صادر

دفتري صادر ١٥

دفتري صادر ١٧

(٤) القسم الثامن من وثائق المهديّة

١- اسماعيل بن عبد القادر الكردفاني ، الطراز المنقوش بهشري قتل يوحنا

• ملك الحبوشي

٢- وثائق حيدرآباد ٥/٨ قلم

(٥) تقرير اليكاشي سعد رفعت

(ب) مراجع عربية

ابراهيم فوزي • السودان بين يدي غردون وكنتشتر (جزءان) ، القاهرة ،

١٣١١هـ

يوسف ميخائيل • مخطوط غردون في السودان ، تحقيق الدكتور صالح محمد

• نور (رسالة دكتوراة لجامعة لندن - غير منشورة) ، ١٩٦٢ •

الطاهر عبد الكريم • ود زايد شحم البهل • بيروت ، ١٩٦٨

- فيليب رفاع • الجغرافيا السياسية لأفريقية • القاهرة ، ١٩٦٥
- محمد إبراهيم أبو سليم • منشورات المعهدية • بيروت ، ١٩٦٩
- محمد فؤاد شكرى • مصر والسودان : تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرنين
التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٩٩ • مصر ١٩٦٣
- مكي شبكة • السودان عبر القرون • بيروت ، ١٩٦٥
- نعوم شقير • جغرافية وتاريخ السودان • بيروت ١٩٦٧
- يونس لبيب رزق • السودان في عهد الحكم الثنائي الأول ١٨٩٩-١٩٢٤ •
٩٩ رسالة دكتوراه لجامعة عين شمس - غير منشورة (١٩٦٧)
- عبد الله على إبراهيم • الصراع بين المهدي والعلماء • شعبة أبحاث السودان
كلية الآداب - جامعة الخرطوم ١٩٦٨

ج- مقالات عربية

- محمد سعيد القدال ، الطراز المنقوش مجلة الدراسات السودانية للعدد
٢ المجلد (١) يونيو ١٩٦٩ ص ١٤٠ - ١٤٥
- سمير نوف ، من ر • عصيان المهدي في السودان - (ترجمة محمد إبراهيم نقد ،
غير منشورة)

Abu Saleem, Mohamed Ibrahim : The Central Archives and Possibilities of Research. A Paper Presented to the Philosophical Society of the Sudan (1964).

Barbour, K.M. : The Republic of the Sudan : A Regional Geography. London, 1961.

Carlson, Lucile. Africa's Lands and Nations. New York, 1967.

Hill, Richard. Egypt in the Sudan, 1820-1881. London, 1959.

_____. A Bibliography of the Anglo-Egyptian Sudan from the Earliest Times to 1937. London.

Holt, P.M. : The Archives of the Mahdia. London 1955.

_____. The Mahdist State in the Sudan, 1881-1898. Oxford, 1958.

_____. A Modern History of the Sudan. London, 1961.

Jones, A.H. and Elizabeth Monroe. A History of Ethiopia. Oxford, 1962.

Neufeld, C. A Prisoner of the Khalifa. London, 1899.

Perham, Margery. The Government of Ethiopia. London 1947.

Sanderson, G.M. England, Europe and the Upper Nile, 1882-1899. Edinburgh, 1965.

Shibeika, Mekki. British Policy in the Sudan. London 1952.

Slatin, R.C. (Von). Fire and Sword in the Sudan. London 1896.

Theobald, A.B. The Mahdia : A History of the Anglo Egyptian Sudan. London 1951.

Wingate, F.R. Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp, 1882-1892. London 1892.

- Mahdism and the Egyptian Sudan. London, 1891.
 Trimingham, J. Spencer, Islam in Ethiopia. London, 1965.

مقالات بالانجليزية

Sudan Notes & Records (S.N.R.)

- Cumming, D.C. "The History of Kaesala and the Province of
 Take," SNR, Vol. XX, Part I (1937), 1-45.
 Reid, J.A. "The Mahis Emirs," SNR, XX Part II, (1937),
 308-312.
 Sanderson, G.N. "Emir Suliman Abu Inger Abdalla?" SNR, Vol.
 XXXV, Part I, (1954), 22-71.
SNR, "The History of Gallabat," Vol. VII, No I (1920),
 93-101.
 Theobald, F.R. "The Khalifa Abdallah," SNR, Vol. XXXI
 (1980), 254-273.

The Journal of African History (JAH)

- Marcus "Ethio-British Negotiations concerning the Western
 Boarder with Sudan, 1896-1902," J.A.H., Vol. IV
 (1963), 81-94.
 al-Nagurr, Umar "Takarur : History of A name," JAH, Vol. X,
 No 3 (1969) 365-374.
 Sanderson, G.N. "The Foreign Policy of Negus Menelik II :
 1896-1898," JAH, Vol V (1964), 87-97.

Journal of Ethiopia History (JEH)

Pankhurst, Richard "The Trade of Northern Ethiopia in the Nineteenth and Early Twentieth Centuries," JEH, Vol. II, (January) 1964), 49-159.

Bulletin of the School of Oriental and African Studies

Holt, P.M. "The Sudanese Mahdism and the outside world," SOAS, Vol. XXI (1956), 276-290.